من مواقف الأنصار
في عصر الرسول ﷺ
والخلافة الراشدة

إعداد
د. حامد محمد الخليفة
١٤٣٥ هـ ٢٠١٤م

مقدم لـ
«مؤتمر السابقون الأولون ومكانتهم لدى المسلمين
(الثالث) الخلافة الراشدة
والقيم الفكرية والحضارية»

قال تعالى

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة الحشر الآية (٩)

الفصل الأول

إسلام الأنصار واستقبالهم للنبي ﷺ وتسميتهم بالأنصار

المبحث الأول: اتصال الأنصار برسول الله صلى الله عليه وسلم:

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،،،،،،،، وبعد:

كان النّبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل ليُبلغ رسالة ربّه جلّ وعلا؛ وكان يسمع منهم الاعتذار أو الاشتراط أو الرد القبيح! وظل صابرا محتسبا حتى التقى بالسابقين من الأنصار الذين حملوا معهم طلائع النور إلى يثرب، فما كان منهم إلا أن ينطلقوا هم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعرضوا أنفسهم عليه فيسلموا ويبايعوا في العقبة الأولى والثانية ثم يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم سفيرا يعلمهم القرآن ويدارسهم آدابه فأرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي فتح المدينة بالقرآن فانتشر الإسلام في كل بيت من بيوت الأوس والخزرج وحلفائهم في المدينة، ثم ذهبوا إلى مكة ليبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرضوا عليه الهجرة إلى مدينتهم ويعاهدوه على أن يحموه مما يحمون منه أهليهم وأنفسهم فكان من ثمرة ذلك هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة التي غيرت مجرى التاريخ وأقصت الوثنية ونشرت التوحيد وجمعت قبائل العرب المتناحرة في بوتقة الإسلام، وكان

للأنصار القدح المعلى في الجهاد الذي نشر الإسلام ووحد العرب وبنى المجتمع المتمدن الذي يصهر في بوتقته كل من يعيش في ربوعه على هدي ونور من الكتاب والسنة.

فالأنصار رضي الله عنهم صفحة مشرقة في صفحات الإنسانية، مفعمة بعناوين الاتباع والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها الإخلاص لقيم الإسلام والوفاء للمسلمين إلى حد الإيثار الذي شهد به لهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1] وقد تنوع إيثارهم لأبناء أمتهم من لقمة العيش والشراكة في المسكن إلى بذل الدم في ساحات القتال حين يتقدم الأنصار لحماية نبيهم صلى لله عليه وسلم وإخوانهم وهم يتسابقون إلا الشهادة باسمين مسرورين، وكذلك في ميادين الدعوة وتعليم القرآن حيث كان أُبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأمثالهم رضي الله عنهم، وفي الإعلام والمنافحة عن النّبي صلى الله عليه وسلم وعن دينه؛ كان حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم أجمعين، ولم يقف أمر نصرة الإسلام عند رجالهم بل كانت نساءهم من السابقات المبايعات الصابرات المجاهدات وما نسبة بنت كعب المازنية إلا نموذج من نماذج نسائهم رضي الله عنهم.

(١) سورة الحشر الآية (٩).

لقد حصد الأنصار رضي الله؛ ثمرة جهادهم وعطائهم وإيثارهم وصبرهم، مواقف لم يشاركهم فيها أحد من الناس بقيت شواهد لهم على تفردهم وصفائهم وإخلاصهم، فمن لديه من كنوز المجد كما لديهم رضي الله عنهم؟ وأي قوم عندهم شهيد «غسلته الملائكة» أو شهيد «اهتز له عرش الرحمن» أو شهيد «حمته الدّبر» أو رجل «شهادته بشهادة رجلين» وأي النّاس كان بلغ شبابهم ما بلغه معاذ بن جبل حين كان النّبي صلى الله عليه وسلم يناديه قائلاً: «**يا معاذ والله إني لأحبك**»[1] ولم تقتصر محبة النّبي على أفراد من الأنصار بل كان يحبهم جميعا، قال صلى الله عليه وسلم:(والذي نفسي بيده **إنكم لأحبّ الناس إلي**، قالها ثلاث مرار)[2] وليس هذا فحسب بل إنّهم تفردوا عن غيرهم حتى في اسم الأنصار الذي كان ربانياً؛ فقد سُئل أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: (أرأيت اسم الأنصار كنتم تسمون به أم سماكم الله قال **بل سمانا الله**)[3].

وكثيراً ما نوّه النّبي صلى الله عليه وسلم بفضل الأنصار ودعا لهم وأشار إلى قربهم منه، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار)[4] وبعد دعائه لهم؛ أوصى بهم فقال صلى الله عليه وسلم: (**أوصيكم بالأنصار** فإنهم كرشي وعيبتي -أي جماعتي وموضع سرّي- وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن

(١) صحيح ابن خزيمة، تحقيق: ح (٧٥١) صحيح. الألباني: صحيح سنن أبي داود: ح (١٣٦٢).
(٢) صحيح البخاري: ح (٦١٥٤) صحيح مسلم: (٤٥٦٤).
(٣) صحيح البخاري: ح (٣٤٩٢).
(٤) صحيح البخاري، ح (٤٥٢٦) صحيح مسلم: (٤٥٦١).

مسيئهم)[١] وقوله صلى الله عليه وسلم: (لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا **لاخترت شعب الأنصار**)[٢] فاصبح الأنصار علامة الإيمان لمن أحبهم وعلامة النفاق لمن أبغضهم، قال صلى الله عليه وسلم: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله)[٣].

وقد **احتوى هذا البحث** على مختارات من مواقف الأنصار وأفعالهم المشهودة كاتصالهم بالنّبي صلى وبيعتهم له على حمايته ونصرته صلى الله عليه وسلم، وقبول اتخاذ المدينة مقرا لهجرته ومنطلقا لنشر دعوته، واستقبالهم لإخوانهم المهاجرين، ومشاركتهم في المغازي والسرايا، ثم موقفهم يوم السقيفة بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وسلم وبيعتهم لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وبيعة سعد بن عبادة آنذاك، ومواقفهم مع الخلفاء الراشدين وبيعتهم لهم ومشاركتهم في إدارة الدولة الراشدة وحمايتها، وموقفهم من الفتنة في أيام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وذلك في **خمسة فصول وعدة مباحث** فيها البيان عن دور الأنصار في الجهاد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ومشاركتهم في الغزوات والسرايا ودرهم السياسي في السقيفة وبيعة الخلفاء ومؤازرتهم والمشاركة في الإدارة والقيادة، ودورهم العسكري في القضاء على الردة وفي الفتوح ودورهم الفكري في علوم القرآن والحديث والفقه والإسهام نشر ها وتعليمها.

---

(١) صحيح البخاري: ح (٣٥١٥).

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٩٨٨).

(٣) صحيح مسلم: ح (١١٠).

ثم خاتمة البحث، وما ذلك إلا غيض من فيض من أخبار ومواقف الأنصار التي يعم عبيرها كتب السير والحديث والتاريخ والأدب وغيرها رضي الله عنهم وأرضهاهم.

اتصال الأنصار برسول الله صلى الله عليه وسلم:

تمت ثلاثة لقاءات بين الأنصار ورسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته، أولها تم بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة قرب منى[١] حين لقي رهطاً من الخزرج، فأجابوه إلى ما دعاهم إليه وكانوا ستة نفر[٢].

وهناك خلاف حول أول من أسلم من الأنصار، فذكروا الرجل بعينه وذكروا الرجلين وذكروا أنه لم يكن أحد أول من الستة وذكروا أول من أسلم ثمانية نفر[٣] وهذا يوحي بقدم صلة الأنصار برسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنّ هؤلاء لم يتركوا أثرا فاعلاً على ما يبدو في قومهم فلم تشتهر بيعتهم وبقيت محاطة بالغموض فلم يجزم بها، ثم جاءت بيعة العقبة الأولى بما فيها من وضوح وشروط وثوابت اتفق عليها المتبايعون وعملوا بكل إيمان على تنفيذها، فاشتهرت على ما سواها فمثلت البداية الصحيحة لاتصال الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ينظر: ياقوت: معجم البلدان، (٤/ ١٣٤) .

(٢) ابن سعد: الطبقات، (١/ ١٠٤) .

(٣) ابن سعد: الطبقات، (١/ ١٠٤) .

- **العقبة الأولى:**

وفي العام التالي من العام الذي لقي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم النفر الستة لقيه اثنا عشر رجلاً، عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء، ثم انصرفوا إلى المدينة[1] فأسهموا في التعريف بالإسلام ونشره بين الأوس والخزرج، ثم كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا مقرئاً يقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه الذي نجح في ما أوكل إليه نجاحاً واسعاً من مظاهره بيعة العقبة الثانية.

- **العقبة الأخيرة:**

كان لهذه البيعة حين أذن الله لرسوله صلى الله علية وسلم في القتال شروط سوى ما شرطه عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء – أي لم يكن فيها ذكر للحرب والجهاد، وإنما البيعة على الالتزام بالإسلام في العبادات والمعاملات والتوحيد – وذلك أنّ الله لم يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب فلما أذن الله فيها بايعهم صلى الله عليهم وسلم في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، وأخذ لنفسه واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على

(١) ابن سعد: الطبقات، (٤/ ١٠٥) . ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (ط٢) بيروت، دار الجيل، ١٩٧٤م، (١/ ١٥٥). وقال: بيعة النساء لأنه لم يذكر فيها القتال .

الوفاء بذلك الجنة[١] عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب»[٢].

ويبدو أن البيعة تجددت فيما سوى بيعتي العقبة على المعاني والشروط ذاتها بعد الهجرة[٣] إلا أنّ بيعة العقبة بقيت مكانتها عالية في نفوس أصحابها، وذلك للظروف التي تمت فيها والسبق الذي حازه أصحابها، قال كعب بن مالك الأنصاري (ولقد شهدت مع النّبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدرُ أذكَرَ في الناس منها)[٤] وشهدها من الأوس أحد عشر رجلاً[٥] ومن الخزرج اثنان وستون وامرأتان[٦]، وكان عدد من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهنّ فإذا أقررن قال: اذهبن فلقد بايعتكنّ[٧] والمرأتان هما: من

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، (٢/ ٣٠٢) . ابن سعد الطبقات (١/ ١٠٦). ابن حجر: فتح الباري، باب وفود الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ح٧/ ٢٦٣).

(٢) مسند أحمد: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٢٢٧٥٢).

(٣) ابن حجر: فتح الباري، باب وفود الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، شرح الحديث(٧/ ٣٨٩٣) .

(٤) صحيح البخاري: ح (٣٦٠٠).

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٣٠٣) .

(٦) المصدر نفسه: (٢/ ٣٠٥) . السهيلي: الروض الأنف (٢/ ٢٨٠) .

(٧) ابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٣٠٣) . السهيلي: الروض الأنف (٢/ ٢٨٠) . أبو شهبة، محمد بن محمد: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، (ط١)، بيروت، دار القلم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، (١/ ٤٤٦) .

بني مازن بن النجار: نسيبة بنت كعب بن عمرو وهي أم عمارة رضي الله عنها[١] ومن بني سلَمة: أمّ مُنيع أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي رضي الله عنها[٢].

وحضور هاتين المرأتين دليل على انتشار الإسلام قبل الهجرة في يثرب، وشموله للرجال والنساء، وفيه دليل على شمولية الإسلام وعموم دعوته لجميع الناس، وإظهار رغبة الأنصار بما فيهم النساء على الأخذ بمبادئ الإسلام، والرغبة في الاتصال المباشر برسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعرف منه على دعوته تمهيداً للعمل على نشرها ونصرتها، فكان لهاتين المرأتين أثر فاعل في نشر الإسلام بين النساء، إذ كانتا نموذج يُحتذى به للمرأة المؤمنة لما قدمتا من الأمثلة الرائعة في الثبات على الإسلام والتضحية في سبيله كما حصل في أُحد وخيبر وحُنين واليمامة، كما هو معلوم في كتب السير.

- **النقباء:**

وبعد أن تمت بيعة العقبة الأخيرة قال رسول الله صلى الله علية وسلم للأنصار: (أَخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس)[٣] مما يوحي بالحضور الكبير للخزرج في هذه الأحداث المبكرة من عمر الدعوة الإسلامية،

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٣٠٣) . السهيلي: الروض الأنف (٢/ ٢٦٨) . الصالحي: سبل الهدى (٣/ ٢٩٢).

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ١٩٦٢) و (٤/ ١٩٤٨).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٢٩٢) ابن سعد: الطبقات (١/ ١٠٧) والسهيلي: الروض الأنف (٢/ ٢٦٨).

ويُظهر حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على النظام والوضوح في تحديد المهام والواجبات، وكذلك النزوع نحو الشورى وإشراك أكبر قدر ممكن من الأنصار في تحمل المسؤولية، والبعد عن العشوائية في العمل ومهمة تبليغ الإسلام للناس وحملهم على الالتزام بتعاليمه.

ويمكن القول بأن هذه البيعة أعطت الأحداث التي تبعتها صبغة سياسية كان ردها عنيفاً عند أهل مكة، إذ حاولت قريش إجهاضها بأي وسيلة، ظهر ذلك من تعاملهم مع سعد بن عبادة الأنصاري بعد إمساكه، وملاحقتهم الشديدة لصاحبه المنذر بن عمرو الأنصاري الذي أفلت منهم[1] ولهذا فإن بيعة العقبة فتحت صفحة جديدة في العلاقات بين مكة والمدينة بدأت بعدها الحرب الكلامية بين شعراء الفريقين مما يُنذر بتحول كبير في حياة العرب آنذاك، وأول ما قيل من الشعر في ذلك قول ضرار بن الخطاب الفهري:

تداركتَ سعداً عَنْوَةً فأخذتهَ وكان شفاء لو تداركت منذرا

فلو نلته طُلَّتْ هناك جراحُه وكان حريًّا أن يُهان ويهدرا[2]

مما دفع بالأنصار للرد على هذا الشعر بقول حسان بن ثابت الأنصاري:

لست إلى سعد ولا المرء منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمَّرا

فلا تكُ كالوَسْنَانِ يحلم أنه بقرية كسرى أو بقرية قيصرا[3]

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٢/ ٢٩٢) السهيلي: الروض الأنف (٢/ ٢٦٨) .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابيق.

استقبال الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

في قباء:

لما سمع الأنصار بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهه إلى ديارهم استعدوا لاستقباله وكلهم شوق لرؤياه، وأعدّ حسان بن ثابت الأنصاري قصيدة يُرحب فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم مما يوحي بالأبعاد السياسية التي أخذت تتخلل جميع المواقف التي يتخذها الأنصار مقابل مواقف قريش قال حسان:

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غاب عَنّهُمْ نَبِيّهُمْ وَقَدْ سُرّ مَنْ يَسْرِي إلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي
تَرَحّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلّتْ عُقُولُهُمْ وَحَلّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورِ مُجَدّدِ
هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضّلَالَةِ رَبّهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتْبَعُ الْحَقّ يَرْشُدْ
وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلّالُ قَوْمٍ تَسَفّهُوا عِمَىً وهَدَاةٍ يهتدون بمُهْتَدِي
لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ إلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ رِكَابُ هُدًى حَلّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ[1]

قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله من مكة انتظرنا قدومه في أيام حارة، فإذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، وازدحم عليه الناس وما يعرفونه هو من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله فقام

(١) الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) : المستدرك على الصحيحين في الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، (بلا. تا) (٧/ ١٠) الصالحي: سبل الهدى (٣/ ٢٩٠) .

أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك[١] وكان أول قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قُباء في بني عمرو بن عوف من الأوس، ويبدو أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اختار النزول عندهم عن قصد، فقال: (من يدلنا على الطريق إلى بني عمرو بن عوف فلا يقرب المدينة)[٢] فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم أحد بني عبيد من بني عمرو بن عوف، ويقال: بل نزل على سعد بن خيثمة[٣] وكان عازباً لا أهل له، والجمع بين هذين القولين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيت كلثوم بن الهدم ويجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وكان يقال لبيت سعد بيت الأعزاب والله أعلم[٤] وقد اختلف في إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم في قباء على عدة أقوال[٥] فصّل القول فيها الصالحي في سبل الهدى والرشاد[٦] وخلال إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه في قباء أسس مسجد قباء[٧].

فكانت قباء أول محطات المدينة من جهة مكة، ويمكن تفسير نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني عمرو بن عوف بما كانت عليه الأوضاع القبلية

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوي' (٣/ ١٩) ابن سعد: الطبقات (١/ ١١٢)، ابن سيد الناس: عيون الأثر (١/ ١٩٢)

(٢) ابن سعد: الطبقات (١/ ١١٢) .

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ٢٠) السهيلي: الروض الأنف (٢/ ٣٣١) .

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ٢١) . ابن حجر: فتح الباري (٧/ ٣٠٥) .

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ٢٢) . ابن حجر: فتح الباري (ح٧/ ٣٩٣٢) .

(٦) ابن سعد: الطبقات (١/ ١١٢) . الصالحي: سبل الهدى (٣/ ٣٧٧) .

(٧) الحاكم: المستدرك (٣/ ١٣) . الصالحي: سبل الهدى (٣/ ٣٨٠) .

آنذاك فقد كان بين الأوس والخزرج تبعات يوم بعاث[١] وما تركه من العداوة، فكانت الخزرج تخاف أن تدخل دار الأوس، والأوس تخاف أن تدخل دار الخزرج، وكان أسعد بن زرارة الخزرجي أحد النقباء أصاب رجلاً من بني عمرو بن عوف يوم بعاث، فأجاره سعد بن خيثمة وذهب إليه في بيته وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبح يروح ويغدو في النهار[٢] فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزوله على بني عمرو بن عوف رمى إلى معالجة مثل هذه الحالة وتجاوز تبعات الجاهلية وبناء علاقات أخوية جديدة بين الأوس والخزرج، ويعد ما قام به سعد بن خيثمة الأنصاري مثالاً يحتذى به في بناء مثل تلك العلاقات الجديدة، ويمكن أن يضاف إلى ما تقدم أنّ (قُباء معدودة من العالية وكأن حكمته صلى الله عليه وسلم التفاؤل له ولدينه بالعلو)[٣] وقد كان نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني عمرو بن عوف الأنصار موفقاً وناجحاً وخطوة في بناء المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة.

- **في المدينة:**

«ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف يوم الجمعة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في بطن وادي رانوناء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة»[٤] وجاء بنو النجار متقلدين سيوفهم

(١) ابن الأثير: الكامل، (١/ ٤١٧) .
(٢) السمهودي: وفاء الوفا (١/ ٢٤٩) .
(٣) السمهودي: وفاء الوفا (١/ ٢٤٦) .
(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ٢٢) . ابن سعد: الطبقات (١/ ١١٤) .

فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه وحفوا دونهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبي الله، جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم، فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله، والرسول راكب ناقته القصواء والناس عن يمينه وعن شماله وخلفه منهم الماشي والراكب فاجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا: يا رسول الله أخرجت ملالاً لنا أم تريد داراً خيراً من دارنا؟ قال: (إني أمرت بقرية تأكل القرى، فخلوها فإنها مأمورة) فواصل سيره والناس تتلقاه في الطريق وعلى الأباعر وصار الخدم والصبيان يقولون: الله أكبر جاءنا رسول الله جاء محمد[1].

ويُحدث أنس عن نفسه ومشاعره بهذه المناسبة التي غيرت مجرى التاريخ لما ترتب عليها من أحداث لاحقه فيقول: (إنّي لأسعى مع الغلمان إذ قالوا جاء محمد فننطلق ما نرى شيئاً، ثم يقولون جاء محمد فأسعى لا أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله وصاحبه أبو بكر، فكنا في بعض حِرار المدينة ثم بعثنا رجل من أهل المدينة ليؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليها فقالت الأنصار: انطلقا **آمنين مطاعين** حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً مشبهاً به يومئذ. قال أنس: ولقد رأيته يوم دخل المدينة ويوم قُبض فلم أرَ يومين مشبهاً بهما)[2] أي في الفرح

(١) ابن سعد: الطبقات (١/ ١١٣). الصالحي: سبل الهدى، (٣/ ٣٨٥). الساعاتي، أحمد عبد الرحمن البنا: الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (بلا. تا)، باب قدوم النبي صلى الله عليه وسلم (ح٢٠/ ١٥٢).

(٢) ابن سعد: الطبقات (١/ ١١٢). الصالحي: سبل الهدى(٣/ ٣٨٥).

والسرور يوم قدومه والحزن والغم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم، واستمرت مظاهر الاستبشار والفرح في المدينة قال البراء بن عازب: (فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم)[١] ولعبت الحبشة بحرابها[٢] وخرجت جوار من بني النجار الأنصار يضربن بالدُّف وهنّ يقلنّ:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار[٣]

أما ما اشتهر من أنّ الولائد كن ينشدنّ في ذلك اليوم:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

قال ابن حجر: إن سنده معضل[٤] ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك وقال ابن القيم عن ذلك: إنه وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام، وإنما كان ذلك النشيد لما تلقاه أهل المدينة قادماً من غزوة تبوك، حيث خرج النساء والصبيان بذلك النشيد، وقال الصالحي: إنّ هناك ثنيتين كلتاهما تسمى ثنية الوداع إلا أنّه يُرجح قول ابن قيم الجوزية[٤] ومن خلال استعراض روايات

(١) ابن حجر: فتح الباري، كتاب مناقب الأنصار (ح٧/ ٣٩٢٥) .

(٢) الساعاتي: الفتح الرباني، (٢ / ٣٠٧) .

(٣) معضل: الحديث الذي سقط من سنده راويان. ينظر: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، بيروت، دار الفكر، ص (٤٨) .

(٤) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١١٧٥م): زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: طه عبد الرءوف، القاعره، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، (٣/ ١٢). ابن حجر: فتح الباري (٧/ ٣٠٧). الصالحي: سبل الهدى، (٣/ ٣٩).

وأحاديث استقبال الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم تبين أنّ أهل المدينة ساهموا في ذلك من رجال ونساء وأطفال وخدم، ولم يُذكر أي معارضة أو تشويش على ذلك، مما يُنبي أنّ وجود المسلمين في المدينة منذ يوم الهجرة كان كبيراً وواسعاً، وأنّ الإسلام كان مقبولاً منذ ذلك الوقت المبكر من عمر الدعوة في المدينة .

وبهذه المشاعر التي استُقبل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وقُباء حرص الأنصار على استضافته فلم يمرّ بدار من دور الأنصار، إلا قالوا: يا رسول الله هلم إلى العزّ والمنعة والثروة، فيقول لهم خيراً ويدعو لهم ويقول: (إنها مأمورة خلو سبيلها)[1] تكرر ذلك في بني سالم بن عوف، وبني بياضة، وبني ساعدة، وبني الحارث بن الخزرج، وبني عدي بن النجار، وهم أخوال رسول الله إذ إن أم عبد المطلب إحدى نسائهم، حتى إذا أتى دار بني مالك بن النجار، بركت ناقته على باب مسجده وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من الأنصار من بني النجار[2] ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب الأنصاري حتى بنى مسجده وحجر نسائه فانتقل إليها، وكان الأنصار يتعاونون في توفير الطعام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأضيافه ويتناوبون بينهم حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت أبي أيوب؛ وكان مقامه فيه سبعة أشهر[3] قال:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، (٣/ ٢٢) ابن سعد الطبقات (١/ ١١٤) الصالحي: سبل الهدى، (٣/ ٣٩٣).

(٣) المصدر السابق.

وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق بمكة إلا مفتون أو محبوس، ولما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره، وأظهر الله بها دينه، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس النجاري، يذكر ما خصّهم الله به من نزول رسول الله بينهم ونصرتهم له :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسروراً بطيبة راضيا
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من حل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا[1]

وبعد أن استقر رسول الله في المدينة وحوله الأنصار ولحق به المهاجرون **بنى مسجده** وشارك المسلمين فيه العمل ليُرغبهم[2] فصار مصلّى المسلمين وملتقاهم، ومكان تشاورهم، وبعد بناء المسجد، كتب صلى الله عليه وسلم **(الصحيفة)** وادع فيها اليهود وعاهدهم، ونظّم العلاقة فيما بين سكان المدينة، على أسس واضحة ترك فيها الباب مفتوحاً لمن أراد الالتحاق بأهل هذه الصحيفة، والتزم بما فيها من ضوابط اجتماعية ومالية وسياسية وعسكرية، ومن الأمور المهمة نظام المؤاخاة الذي أسهم بقيام وشائج جديدة من التلاحم في المجتمع الإسلامي وأسهمت في معالجة معاناة المهاجرين، وخففت عنهم وحشة الغربة، ومفارقة

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، (٣/ ٢٨) .
(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، (٣/ ٢٥) .

الديار والأهل والعشيرة، قال أنس بن مالك الأنصاري: (حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا) فلما أعزّ الله الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة، أنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] ثم توسعت دائرة المؤاخاة لتشمل جميع المؤمنين قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] أي في المودة وشمول الدعوة. وانتهى التوارث من نظام المؤاخاة بعد أن أظهر الأنصار صدق الأخوة، والحرص الشديد على التضحية لإنجاح كل ما يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم من تخطيط أو تدبير يسهم في بناء دولة الإسلام.

وقد ثبت نجاح تجربة المؤاخاة، بما أعطت من نتائج، أثمرت مجتمع المدينة قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3] .

(١) سورة الأنفال الآية (٧٥).

(٢) سورة الحجرات الآية (١٠).

(٣) سورة الأنفال الآية (٧٤).

المبحث الثاني

مشاركة الأنصار في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه

مشاركة الأنصار في المغازي:

المغازي: جمع مغزى، يقال: غزا يغزو غزواً ومغزّى والأصل غزواً والوحدة غزوة. غزاة والميم زائدة، وأصل الغزو: القصد، ومغزى الكلام: مقصده. والمراد بالغزوات هنا: ما وقع من قصد النّبي صلّى الله عليه وسلم الكفار بنفسه[١] ولم تذكر كلمة غزوة في القرآن الكريم بصيغة المفرد، ولكنها ذكرت بصيغة الجمع[٢] قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٣] وهناك عدة روايات[٤] عن عدد الغزوات وأشهرها ما اتفق عليه الواقدي وابن إسحاق وابن سعد وهو سبع وعشرون غزوة، وسبع وأربعون سرية[٥] وقد أظهر الأنصار استعدادهم للجهاد منذ اليوم الأول الذي بايعوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في

---

(١) ابن حجر: فتح الباري، ك المغازي، شرح الحديث (٧/ ٣٩٤٩).

(٢) ينظر عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت، دار الفكر/ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص (٤٩٨)

(٣) سورة آل عمران الآية (١٥٦).

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (٦/ ١٨). ابن حجر: فتح الباري، ك المغازي، شرح الحديث (٧/ ٣٩٤٩).

(٥) ونظر ابن حجر: فتح الباري، كتاب المغازي، حديث (٣٩٤٩). شرح الحديث، وقوله: (تسع عشرة غزوة).

العقبة، وذلك قبل أن يؤمروا بالجهاد وإنما كان ذلك حمية منهم لما كانوا يعلمون من إيذاء قريش للنّبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين في مكة، قال العباس بن نضلة الأنصاري يومئذ: «إن شئت لنميلنّ عليهم بأسيافنا»[١] أي على مشركي قريش! لكنّ النّبي صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بشيئ من هذا آنذاك فكانت أول مشاركاتهم الميدانية كانت في غزوة بدر.

- **الأنصار في غزوة بدر:**

خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار في هذه الغزوة ولم يكن غزا بأحد منهم قبل ذلك (وكان معه ثلاثمائة رجل وخمسة نفر) كان المهاجرون منهم أربعة وسبعين رجلاً وسائرهم من الأنصار، وثمانية تخلفوا لعلةٍ خمسة منهم من الأنصار[٢] وقدم رسول الله أمامه عينين من الأنصار وهما: بَسبَس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء[٣] فانتهيا إلى ماء بدر فعلما الخبر ورجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاحبه في القتال قام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أجيب عِن الأنصار فامضِ يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ١٠٧) .

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٥٤). ابن هشام: السيرة النبوية، (٣/ ١٧٣) .

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٥٥).

بقي منا رجل واحد[١]. وكان لواء الخزرج مع الحبُاب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عُبيد الله[٢] .

واستشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر رجلاً منهم **ثمانية من الأنصار** ذكر أسماءهم ابن سعد[٣] وقد شارك الأنصار بأسر عدد من مشركي قريش وكانت معاملتهم لهم حسنة أثنى عليها الأسرى أنفسهم، قال أبو عزيزة بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير ـــ وكان أحد الأسرى ـــ: كانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله، فأستحيي فأردها على أحدهم فيردها عليَّ ما يمسها[٤].

وكان عدد الأنصار في بدر (نيفاً وأربعين ومائتين)[٥] في أول مشهد عسكري لهم مع المشركين وفي امتحان يُختبر فيه إيمانهم ووفاؤهم إذ كانوا خارجين إلى القافلة التي يقودها أبو سفيان لكنهم فوجئوا بهذا الجيش الذي يفوقهم بثلاثة أضعاف، فضلاً عن التفاوت في التسليح والعدة والإمداد وغير ذلك، وأمام هذه الحقيقة، قام خطيب الأنصار فقال: يا رسول الله سر إذا شئت وانزل حيث شئت وحارب من شئت وسالم من شئت، فوالذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها حتى

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٥٦) .

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٥٧). ابن حجر: فتح الباري، ك المغازي(ح٧/ ٣٩٥٧) .

(٤) الواقدي، محمد بن عمر(٢٠٧هـ/ ٨٢٢) المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، (١/ ٦٥).

(٥) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٥٨). ابن حجر: فتح الباري، ك المغازي(ح٧/ ٣٩٥٦) .

تبلغ برك الغماد من ذي يمن تبعناك ما تخلف عنك منا أحد)[1] وبهذا الإيمان والاستعداد الذي ظهر به الأنصار يوم بدر، تمكن المسلمون بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر شوكة الشرك وفك كثير من القيود التي كانت تقيمها هيمنة قريش على القبائل العربية أمام الدعوة الإسلامية، وانطلق عبد الله بن رواحة الأنصاري بشيراً إلى أهل العالية بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالفتح على المسلمين[2] ومنذ يوم بدر دخل الأنصار في باب الجهاد الذي فتح لهم على مصراعيه وأخذوا يقدمون قوافل الشهداء حتى قامت دولة الإسلام. قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ آوَوا نَبِيَّهُمْ وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
إلّا خَصَائِصَ أَقْوَامٍ هُمْ سَلَفٌ لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَنْصَارُ
أَهْلًا وَسَهْلًا فَفِي أَمْنٍ وَفِي سَعَةٍ نِعْمَ النَّبِيّ وَنِعْمَ الْقَسْمُ وَالْجَارُ
فَأَنْزَلُوهُ بِدَارٍ لَا يُخَافُ بِهَا مَنْ كَانَ جَارَهُمْ دَارًا هِيَ الدّارُ
سِرْنَا وَسَارُوا إلَى بَدْرٍ لِحِينِهِمْ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ الْعِلْمِ مَا سَارُوا

(١) ابن سعد: الطبقات (١/ ٢٦١). وينظر: الماوردي: علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م): النكت والعيون، تفسير الماوردي، (ط١) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، تفسير سورة الأنفال قول تعالى: ((وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم)) الآية (٦) (٢/ ٢٩٢).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ١٩٤).

في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بدر وأحد:

لم يشارك أحد من الأنصار في الغزوات قبل بدر إلا أنهم أوكل إليهم مهمة إدارة المدينة وحمايتها، ففي غزوة (**السويق**) في نهاية السنّة الثانية من الهجرة استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، وفي غزوة **قرقرة الكدر**[1] وغزوة غطفان إلى نجد وهي غزوة (ذو أمر)[2] لم يحصل قتال مع المشركين وكذلك في غزوة بني سليم[3] ببحران لم يحصل قتال إذ إن بني سليم تفرقوا عندما وصل رسول الله صلى الله عليو وسلم بَحران ولا تفصل الروايات في الذين صحبوا رسول الله إلا أنّ الأنصار كإخوانهم المهاجرين لم يتخلفوا عن رسو الله صلى الله عليه وسلم.

- **جهاد الأنصار في غزوة أحد :**

وفي معركة أحد سنة (٣هـ/ ٦٢٤م) قدّم الأنصار أروع صور الجهاد والتضحية في سبيل الله. وفي كتب المغازي والسير مواقف انفرد فيها الأنصار ولم يشاركهم فيها غيرهم، فقد كان أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري يسوّر نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الرجل يمر يوم انهزم الناس

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٦٤) .

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٦٦). ابن الأثير: الكامل (٢/ ٩٩)

(٣) المصدر السابق.

ومعه الجُحفة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: انثرها لأبي طلحة[١] وأبو طلحة يقول: وجهي لوجهك الوقاء ونفسي لنفسك الفداء[٢].

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقه المشركون، قال: (من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة . فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ثم رهقوه أيضاً، فقال من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة. فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله لصاحبيه ما أَنْصَفْنَا أصحابَنَا)[٣] تنويها بفضل ثباتهم وشدة إقدامهم، وفي أُحد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً وقال: من يأخذ منّي هذا؟ فقال سِماك بن خَرشَة أبو دجانة الأنصاري: أنا آخذه بحقه! قال فأخذه ففلق به هام المشركين. وبعد انتهاء معركة أُحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعداً جريحاً مثبتاً بآخر رمق فقال يا سعد: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم الأموات؟ قال: فإني في

---

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٦٦). المسند الدامع، لأحاديث الكتب الستة ومؤلفات أصحابها الأخرى وموطأ مالك ومسانيد الحميدي وأحمد بن حنبل وعبد بن حميد وسنن الدارمي وصحيح ابن خزيمة، تحقيق: بشار عواد وآخرون (ط١) دار الجيل/ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، (ح٢/ ١٢٦٦) .

(٢) المصدر السابق.

(٣) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ك الجهاد والسير (ح١٢ / ١٧٨٩) .

الأموات، فأبلغ رسول الله السلام وقل: إنّ سعداً يقول: جزاك الله عنّا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك منّي السلام وقل لهم: إنّ سعداً يقول لكم: إنه لا عُذر لكم عند الله إن خلُص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف)[١].

وفي يوم أحد جاهدت **نساء الأنصار** ومنهنّ أمّ عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، قالت: انحزت إلى رسول الله فقمت أباشر القتال وأذبّ عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ[٢]، وقد تسابق الأنصار إلى الشهادة في يوم أحد فقدموا أفواجاً من الشهداء افتدوا دينهم ونبيهم بأرواحهم، عن قتادة الأنصاري قال: ما نعلم حيّاً من أحياء العرب أكثر شهيدا أغرّ يوم القيامة من الأنصار، وعن أنس بن مالك: (أنه قتل من الأنصار يوم أحد سبعون)[٣] وقال ابن سعد: قتل من الأنصار يوم أُحد سبعون رجلاً. وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: لما قتل أبي يوم أحد جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب النّبي صلى الله عليه وسلم ينهونني والنّبي لم ينه وقال صلى الله عليه وسلم: (لاتبكه ـ أو تبكه ـ ما زالت الملائكة تُظله بأجنحتها حتى رُفع)[٤].

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) : سير أعلام لانبلاء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مصر، دار المعارف، بلا تاريخ، (١/ ٢٣٠) . الحاكم: المستدرك (٣/ ٥٦١) . السهيلي: الروض الأنف (٣/ ٣١٥) .

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٣٠) .

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ك المغازي (ح٧/ ٤٠٧٨) .

(٤) المصدر نفسه: (ح٧/ ٤٠٨٠) ونيظر: ابن حجر: فتح الباري، المغازي (ح٧ / ٤٠٧٨) .

- **مشاركة الأنصار في غزوة حمراء الأسد:**

وبعدما قدَّم الأنصار من الشهداء والصبر والوفاء لدعوتهم، أكدوا ذلك في صبيحة اليوم التالي من معركة أحد، فقد باتوا يحرسون رسول الله خوفاً عليه من كرّة العدو ثانية[١]، ويبدو أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يرهب المشركين؛ لكي لا يهاجموا المدينة أو لأنه سمع أنّهم يريدون أن يرجعوا فيستأصلوا المسلمين كما روى ذلك ابن إسحاق[٢]، فحث النّاس على الخروج في طلب العدو، وأن لا يخرج معهم إلا من شهد القتال بالأمس في أحد، وكأن أُسيد بن حضير به تسعة جراحات وهو يريد أن يداويها فلما سمع النداء قال سمعاً وطاعة لله ورسوله ولم يعرج على دواء جراحه، وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً وكان كعب بن مالك به بضعة عشر جرحاً، وخَراش بن الصمة به عشرة جراحات وهكذا حال الآخرين، فوثبوا إلى سلاحهم وما عرجوا على دواء جراحهم، فأتى عبد الله بن أبي بن سلول فقال: أنا أركب معك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا . ولم يأذن إلا لجابر بن عبد الله، الذي خلّفه أبوه يوم أحد على أخواته، فاستشهد أبوه فأذن له رسول الله قال جابر: واستأذنه رجال لم يحضروا القتال فأبى ذلك عليهم، وخرج رسول الله بعد أن حشد الناس ونزل أهل العوالي[٣] بعد أن جاءهم الخبر وكان دليله إلى حمراء الأسد ثابت بن ثعلبة

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٥٢) . الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٤/ ٤٣٨) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٥٢) . الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٤/ ٤٣٨) .

الخزرجي، وقد كان عبد الله ورافع ابنا سهل من بني عبد الأشهل أثقلتهما الجراح في أحد، فخرجا على أثر الناس يتزاحفان لكي لا تفوتهما غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان على حرس رسول الله في حمراء الأسد، عبّاد بن بشر الأنصاري، قال جابر: وكان عامة زادنا التمر، وحمل سعد بن عبادة ثلاثين بعيراً حتى وافت حمراء الأسد، وساق جزراً لتنحر هناك[1]، وبمثل هذا الاستعداد المنقطع النظير للتضحية وهذه الرغبة بالشهادة في سبيل الله انتصرت دولة الإسلام الأولى التي أسهم الأنصار بترسيم أسسها بما قدموا من جهاد ونصرة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، حتى استحقوا بجدارة اسم الأنصار الذي انفردوا به من بين المسلمين.

- **في غزوة بدر الموعد:**

وفي بدر الموعد من السنّة الرابعة للهجرة خرج الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة الأنصاري، إلا أنّ المشركين لم يخرجوا لموعدهم فرجع المسلمون كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[2] قال ابن سعد: والفضل ما أصابوا من التجارة في غزوة بدر الصغرى وهي غير بدر القتال[3] وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في ذلك:

---

(١) الصالحي: سبل الهدى (٤/ ٤٤١).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٧٤).

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٨٠) المراغي: تفسير المراغي (٢/ ١٣٤).

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد لميعاده صدقاً، وما كان وافيا
فأُقسم لو وافيتنا فلقيتنا لأُبْتَ ذميماً وافتقدت المواليا[1]

في غزوة ذات الرقاع:

وفي نهاية السنة الرابعة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريد قبائل أنمار وثعلبة بعد أن جمعوا للمسلمين الجموع، وخرج معه المهاجرون والأنصار، إلا أن الأعراب هربوا إلى الجبال، وفي هذه الغزوة قصة شراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمل من جابر بن عبد الله الأنصاري ورده عليه مع ثمنه، وفيها حراسة عبّاد بن بشر الأنصاري للمسلمين وقيامه للصلاة في نوبة حراسته، وقد لحق بهم في تلك الليلة أعرابي يريد أن ينال منهم غرّة، فأبصر عباد بن بشر يصلي فرماه بسهم أصابه ثم ثانٍ وثالث فلم يقطع صلاته، حتى خشي- أن يُهاجم المسلمون، فأيقظ صاحبه فهب قائماً فأبصره الأعرابي فعلم أن قد نذرا به فهرب، فلما رأى صاحبه ما به من جراحة قال: سبحان الله! أفلا أيقظتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع عليّ الرمي ركعت فآذنتك وايم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها[2]. ومن هذه المواقف يمكن معرفة مدى ما بلغه الإيمان وحب القرآن في قلوب الأنصار حتى إن أحدهم يضرب

(١) الواقدي: المغازي (١/ ٣٨٩) . ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١٦٧) . السهيلي: الروض الأنف (٤/ ٤٨١) .

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/ ١٦٣) . السهيلي: الروض الأنف (٣/ ٤٠٩).

ويدمى بالسهام فلا يُبالي بها، لما للقرآن عندهم من المكانة والسلطان الذي ملك عليهم شغاف قلوبهم[٣].

- **في غزوة بني المصطلق[٤]:**

بنو المصطلق من خزاعه ينزلون على بئر لهم يقال لها: المُريسيع[٥] وكان سيدهم الحارث بن أبي ضرار فدعا قومه ومن أطاعه من العرب لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما علم رسول الله ذلك انتدب الناس إليهم فانتدبوا سراعاً وقادوا الخيول وهي ثلاثون فرساً، في الأنصار منها عشرون[٦] وخرج في هذه الغزوة بشر كثير من المنافقين[٧] وذلك لاعتقادهم ضعف العدو وقلة الخطر ورغبتهم في الحصول على الغنائم والتغطية والتمويه على أهدافهم المتمثلة بالتشويش على المجاهدين وقد غنم المسلمون بني المصطلق وكان من سبيهم جويرية بنت الحارث، فصارت في سهم ثابت بن قيس الأنصاري بن شماس وابن عم له[٨] ثم صارت للرسول صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها رضي الله عنها، فأطلق المسلمون ما بأيديهم من السبي وقالوا: أصهار رسول الله صلى

(١) ينظر: الماوردي: تفسير النكت والعيون، تفسير سورة آل عمران الآية (١٧٠) فما بعدها (١/ ٣٤٦).

(٢) ياقوت: معجم البلدان (٥/ ١١٨).

(٣) ياقوت: معجم البلدان (٥/ ١١٨).

(٤) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٨١).

(٥) المصدر السابق.

(٦) الواقدي: المغازي (٢/ ٤١٥). السهيلي: الروض الأنف (٤/ ١٣).

الله عليه وسلم وبسبب هذه المصاهرة دخل بنو المصطلق في الإسلام وأسلم الحارث بن أبي ضرار[١] والد جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها.

- **الأنصار في غزوة الخندق:**

في سنة خمس من الهجرة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، ووكل بكل جانب منه قوماً وحفرت كل قبيلة من قبائل الأنصار ما يليها، وكان الخندق ما بين جبل بني عبيد بخُربى إلى راتج فكان للمهاجرين من ذباب إلى راتج، وكان للأنصار ما بين ذباب إلى خربى، وخَنْدَق بني عبد الأشهل وبني دينار وبني حارثة، رفع بنو عمرو بن عوف النساء والذرية في الآطام .

وخندق بعضهم حول الآطام بقُباء، وكذلك بنو أمية وبنو خطمة وواقل وواقف، وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فأصبحت كالحصن[٢]، وكان من أسباب غزوة الخندق ـ وهي الأحزاب ـ أن بني النضير ساروا إلى خيبر بعد أن أُجلوا من المدينة، فخرج نفر من أشرافهم فألَّبوا قريشاً وعاهدوهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك عاهدوا غطفان وسليم، فكانت الأحزاب عشرة آلاف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة[٣] الساعدي الأنصاري .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الواقدي: المغازي (٢/ ٤٥٠). ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٨٢) .

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٨٣). الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٤/ ٥٢٤) .

وقد كانت غزوة الأحزاب امتحاناً عسيراً للأنصار خاصة لما دهمهم من الخطر وهم بين أهليهم وذراريهم. قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾[1][2].

وفي هذه الأجواء كان للأنصار مواقف خالدة مفعمة بالبطولة والمصابرة أسهمت في إحراز الفوز على الأحزاب وتكريس تفوق المسلمين على المشركين منذ ذلك اليوم.

قال خَوّات بن جبير الأنصاري: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أرصد بني قريظة فانطلقت حتى دنوت من القوم أكمن لهم فكمنت ورمقت الحصون ساعة، ثم ذهب بي النوم، فلم أشعر إلا برجل قد احتملني وأنا نائم فوضعني على عنقه ثم انطلق يمشي، قال: ففزعت وعرفت أنه طليعة من قريظة واستحييت تلك الساعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حياءً شديداً، حيث ضيعت ثغراً أمرني به والرجل يرقل بي إلى حصونهم، فتكلم باليهودية فعرفته قال: أبشروا بجزرة سمينة، قال: وذكرت أنّ اليهود لا يخرج منهم أحد إلى بمعول في وسطه، فانتزعت معوله ووجأت به بطنه فوقع ميتاً فعدت من طريقي

---

(١) سورة الأحزاب الآية (١٠).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٤٣م) : تفسير القرآن العظيم (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، (٣/ ٤٣١) سورة الأحزاب الآية(١٠). وينظر: أبو السعود محمد بن محمد العمادي(ت ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م): تفسير أبي السعود ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم). دار إحياء التراق العربي، بيروت (بلا، تا) (٧/ ٩٣) .

التي جئت منها فأخبرت المسلمين بحال بني قريظة[١]، ومن هذه القصة تُستوحى الحال التي كان عليها المسلمون، من التعب والإرهاق، فهذا خوّات وهو قريب من الخطر والعدو، لا يستطيع أن يقاوم النوم إلا قليلاً، ومن إسهامات الأنصار في غزوة الخندق أنّ حذيفة بن اليمان تتبع حركة انسحاب المشركين وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمره[٢].

ومشاركات الأنصار يوم الخندق كثيرة وفي كل صفحات تلك المعركة فقد (كان عبّاد بن بشر على حرس قُبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة)[٣] وكان رسول الله يكلفه بمهام الحراسة والاستطلاع ولا سيما في الليل، قالت أمّ سلمة رضي الله عنها: (يرحم الله عبّاد بن بشر- فإنّه كان ألزم أصحاب رسول الله لقبته يحرسها أبداً)[٤].

وكان سلمة بن أسلم بن حريش الأنصاري في مائتي رجل يحرسون المدينة[٥]، وكان يقود أحياناً خيل المسلمين، فتصدى لخيل يقودها خالد بن الوليد هاجمت المسلمين فردها من حيث جاءت[٦]، وأقام أُسيد بن حضير الأنصاري

(١) الواقدي: المغازي (٢/ ٤٦٠).

(٢) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ك الجهاد والسير، (ح١٢/ ١٧٨٨). وشرحه ص (١٢/ ١٤٥). الساعاتي: الفتح الرباني، باب فضل الأحزاب ورجوعهم بالخيبة، (ح٢١/ ٢٨٨).

(٣) الواقدي: المغازي (٢/ ٤٦٠). وينظر: ابن حجر: فتح الباري، باب غزوة الخندق، (ح٧/ ٤٠٩٧) وما بعدها.

(٤) المغازي (٢/ ٤٧٣). الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٤/ ٥٣٠).

(٥) المغازي (٢/ ٤٦٥). الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٤/ ٥٣٧).

(٦) المغازي (٢/ ٤٦٠).

على الخندق في مائتين من المسلمين كانوا على شفير الخندق[١]، وقال محمد بن مسلمة: كنّا حول قبة رسول الله نحرسه، وعبّاد بن بشر على باب قبة النّبي صلى الله عليه وسلم آخذ بقائم السيف[٢].

ولما نقضت قريظة العهد بينها وبين المسلمين، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم: سعد بن مُعاذ، وسعد بن عُبادة، ومعهم عبد الله بن رواحة وخوّات بن جبير الأنصاريين، فعلموا خبرهم، فعادوا إلى رسول الله وأخبروه بغدر بني قريظة[٣] ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تضييق اليهود والمشركين الخناق على المسلمين أراد أن يخفف وطأة ذلك ويفرق جماعة المشركين فأرسل إلى قادة غطفان فأرضاهم بثلث تمر المدينة لمدة سنة على أن يرجعا بقومهما؛ فعلم ذلك أسيد بن حضير فقال: يا رسول الله إن كان أمراً من السماء فامضِ له وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف، وأشار بذلك على رسول الله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، ولم يقبلوا أن يعطوا المشركين شيئاً وقال سعد بن معاذ: فليَجْهدوا علينا[٤] وقد أرسلت قريظة للمشركين عشرين جملاً محملة بالتمر والشعير، فغنمها الأنصار من بني عمرو بن عوف[٥] وفي غزوة

(١) المغازي (٢/ ٤٧٣).

(٢) المغازي (٢/ ٤٦٨).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١٧٨). ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٨٣). الصالحي: سبل الهدى (٤/ ٥٢٧).

(٤) السهيلي: الروض الأنف (٣/ ٤٢٥)ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١٨٠) الواقدي: المغازي (٢/ ٤٧٧).

(٥) الصالحي: سبل الهدى، (٤/ ٥١٩).

الخندق أصيب سعد بن معاذ سيد بني عبد الأشهل[١]، وفيها ظهر بذل الأنصار للطعام وإيثارهم به وصبرهم على الجوع[٢]، فسجلوا صفحات ناصعة بالجهاد التي نالوا بها شرف نصرة الإسلام.

- **الأنصار في غزوة بني لحيان:**

بعد أن قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري وأصحابه، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتين من المهاجرين والأنصار حتى انتهى إلى بني لحيان حيث مصاب عاصم وإخوانه فترحم عليهم ودعا لهم، فهربت بنو لحيان الى الجبال، فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وذلك في السنة السادسة من الهجرة، وروى عنه في تلك الغزوة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما دعاءَ السفر[٣].

- **في غزوة الغابة:**

وهي غزوة ذي قرد[٤] وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسمائة من المهاجرين والأنصار ولم يذكر عدد الأنصار لمفردهم، وهذا العدد يمثل من تمكن من اللحاق برسول الله صلى الله عليه وسلم لسرعته في الطلب،

---

(١) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ك الجهاد، (ح١٢/ ٦٧٦٩) . الساعاتي: الفتح الرباني، باب هزيمة الأحزاب، (ح٢١/ ٢٨٩) .

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١٧٤). السهيلي: الروض الأنف (٣/ ٤٢٠) .

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٨٩). ابن هشام (٤/ ٢٤٢) .

(٤) الغابة: موضع قريب من المدينة من ناحية الشام. وذي قرد: ماء على ليلتين من المدينة، بينهما وبين خيبر. ياقوت: معجم البلدان (٤/ ١٨٢ و ٤/ ٢٣١) .

وترك سعد بن عبادة الأنصاري في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة[١] خشية من غارة مباغتة أو من أن تطول غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، وبعث سعد بن عبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (بأحمال تمر وبعشر جزائر)[٢].

- **الأنصار في الحديبية:**

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العمرة ومعه من أصحابه نحو ألف وخمسمائة رجل يزيدون أو ينقصون[٣] وقدّم عبّاد بن بشر الأنصاري طليعة في عشرين فارساً من المهاجرين والأنصار[٤] ولما اقترب من الحديبية[٥] دنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبّادَ بن بشر فتقدم بخيله فأقام بإزائه[٦] وقيل: كان على حرس رسول الله يوم الحديبية ثلاثة من الأنصار: أوس بن خولي، وعبّاد بن بشر، ومحمد بن مسلمة، يتناوبون الحراسة[٧] ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان سفيراً إلى قريش وأشيع مقتله، قال صلى الله عليه وسلم: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت

---

(١) ابن سعد: الطبقات(٢/ ٢٩٠) .

(٢) المغازي (٢/ ٥٤٠). ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٢٤٣). السهيلي: الروض الأنف (٤/ ٣) .

(٣) ابن حجر: فتح الباري، باب غزوة الحديبية، (ح٧/ ٤١٥٠) وما بعده .

(٤) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٩٧) . الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٥٧) .

(٥) قرية. وقيل: بئر على مرحلة من مكة وعلى تسع مراحل من المدينة، ياقوت: معجم البلدان (٢/ ٢٢٨) .

(٦) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٩٧). الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٥٧) .

(٧) الصالحي: سبل الهدى (٥ / ٨٠) .

الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم صلى الله عليه وسلم على الموت، وكان جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: إن رسول الله بايعنا على ألا نفر[١] فبايع الناس ولم يتخلف إلا الجَدُّ بن قيس من بني سلمة[٢]، ولما تم الصلح بين المسلمين وقريش وشهد على كتاب الصلح قوم، كان منهم محمد بن مسلمة الأنصاري[٣] وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من نساء الأنصار، أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، وأم مُنيع أسماء بنت كعب المازنية، وأم عامر الأشهلية[٤] قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٥].

- **الأنصار في غزوة الفتح:**

وفي السنة الثامنة من الهجرة في شهر رمضان[٦] سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة بعشرة آلاف من المهاجرين والأنصار[٧] بعد أن اعتدت بنو بكر بمساندة من قريش على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٢٧٢). ابن حجر: فتح الباري، باب غزوة الحديبية، (ح٧/ ٤١٥٠).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٢٨٢) . السهيلي: الروض الأنف (٤/ ٤٨) .

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٩٨). ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٢٨٧) .

(٤) الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٥٦) .

(٧) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٩٧) . الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٥٧) .

(٥) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٦) .

(٦) ابن حجر: فتح الباري، باب غزوة الفتح، (ح٧/ ٤٢٧٦) . وشرحه ص (٥٩٦) .

وفد خزاعة إلى المدينة يستنصر ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابهم إلى ذلك[١].

وكانت راية رسول الله يومئذ مع سعد بن عبادة الأنصاري، فبلغه عنه في قريش (كلام وتواعد لهم)[٢] فأخذهم منه ودفعها إلى ابنه قيس بن سعد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة أن يدخل من كداء[٣] وأوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ومعه العباس عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين فأقبلت كتيبة لم ير مثلها قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة ومعه الراية[٤] وكان حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم نفراً من الأنصار[٥] ويروى أن سعد بن عبادة قال: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الحرمة) فأخذ النّبي صلى الله عليه وسلم الراية منه وجعلها عند ابنه قيس، ورأى صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: ادع لي الأنصار، فدعوتهم فجاءوا يهرولون فقال: يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش؟ قالوا: نعم. قال انظروا إذ لقيتموهم غداً أن تحصدوهم

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٤٨) . ابن سيد الناس (٢/ ١٦٤) .
(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٦٥). ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٧) .
(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٧). السهيلي: الروض الأنف (٤/ ١٥٨) .
(٤) ابن حجر: فتح الباري، باب غزوة فتح مكة (ح٧/ ٤٢٨٠) .
(٥) المصدر السابق.
(٦) عيون الأثر (٢/ ١٧٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ك الجهاد والسير (ح١٢/ ١٨٧١) البخاري (٤٢٨٠).

ووضع يمينه على شماله يشير أن اقتلوهم، وقال: (موعدكم الصفا) قال فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه، قال وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا، وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله، أُبيدت خضراء قريش فلا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. فقالت الأنصار: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته، ونزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قلتم: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته ألا فما اسمي إذاً (ثلاث مرات)؟ أنا محمد عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم. قالوا: والله ما قلنا إلا ضِنّاً بالله ورسوله. قال: فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم)[1].

وقال ابن هشام : ولما دخل النّبي صلى الله عليه وسلم مكة قام على الصفا يدعو الله وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم فيها ؟ فقال النّبي صلى الله عليه وسلم (معاذ الله ! المحيا محياكم الممات مماتكم)[2] وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة يوم الفتح منها:

---

(١) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ك الجهاد والسير، (ح١٢/ ١٧٨٠) .

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٨٠) السهيلي: الروض الأنف (٤/ ١٧٦) ابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/ ١٧٩) .

تَـظَـلّ جِيَـادُنَا مُـتَـمَـطـرَاتٍ يَلْطُمُـهُـنّ بِالْخُـمُـرِ النّسَاءُ
فَـإِمـاّ تُعْـرِضُـوا عَنّا اعْتَمَرْنَا وَكَـانَ الْفَتْـحُ وَانْكَـشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلّا فَـاصْبِـرُوا لِجِـلَادِ يَـوْمٍ يُعِينُ اللهُ فِـيـهِ مَـنْ يَـشَـاءُ
وَجِـبـْرِيلُ رَسُـولُ اللهّ فِـينَا وَرُوحُ الْـقُـدْسِ لَـيْـسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَـالَ اللهُ قَـدْ أَرْسَـلْت عَبْـدًا يَقُـولُ الْحَـقّ إنْ نَـفَـعَ الْبَـلَاءُ
شَـهِـدْت بِـهِ فَقُـومُوا صَدّقُوهُ فَـقُـلْتُـمْ لَا نَـقُـومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَـالَ اللهُ قَـدْ سَيـّرْت جُنْـدًا هُـمْ الْأَنْـصَـارُ عُرْضَتُهَا اللّقَاءُ[1]

ومن هذه النصوص تظهر مشاركات الأنصار في كل صفحات الفتح ابتداءً من مسير الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة، وعلى الطريق يظهرون بأفضل مظهر وأجمل تنظيم يدخل الرعب في نفس أبي سفيان لينطفئ في نفسه أي ميل للمقاومة، وفي هذه الغزوة ظهر تخوف الأنصار من مفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم إلا أنه طمأنهم أنه أصبح منهم: (المحيا محياكم والممات مماتكم)[2] وبذلك طابت أنفسهم.

(١) المصدر السابق: (٤/ ٨٥). السهيلي: الروض الأنف (٤/ ١٨٤).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٨٠) السهيلي: الروض الأنف (٤/ ١٧٦) ابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/ ١٧٩).

- **الأنصار في غزوة حنين:**

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[1] وبعد فتح مكة في السنة الثامنة تجمعت هوازن وثقيف وأجمعوا المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم رسول الله بالمهاجرين والأنصار في عشرة آلاف، وألفين من أهل مكة[2] فجعل لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر الأنصاري، ويقال لواء الخزرج الآخر مع سعد بن عبادة الأنصاري، ولواء الأوس مع أسيد بن حضير وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء أو راية يحملها رجل منهم مسمى[3] وانحدر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي حنين، فاستقبلهم من هوازن شيء لم يروا مثله من الكثرة، وذلك في غبش الصبح فانكشفت خيل بني سليم وكانت في مقدمة المسلمين وتبعهم الناس منهزمين، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **يا أنصار الله وأنصار رسول الله** أنا عبد الله ورسوله! وجعل يقول للعباس: ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرَةِ![4] يا أصحاب سورة البقرة! فنادى وكان صيِّتاً فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها يقولون: يا لبيك! يالبيك!

---

(١) سورة التوبة الآية (٢٥).

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٢٥).

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٢٥).

(٤) هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان يوم الحديبية .

فحملوا على المشركين[١] قال أبو بشير المازني: وكنت يومئذ غلاماً شاباً وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدم فجعل أقول: يا للأنصار بأبي وأمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تولون، وأكر في وجوه المنهزمين ليس لي همة إلا النظر إلى سلامة رسول الله حتى صرنا إليه وهو يصيح: يا للأنصار، والتفت وإذا الأنصار قد كروا كرة رجل واحد[٢] فحملوا على المشركين فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال: الآن: حمي الوطيس، ولم ترجع فالّة النّاس إلا والأسرى مُكَتَّفُون عند خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحرسها عبّاد بن بشر، وأبو نائلة، ومحمد بن مسلمة، الأنصاريون[٣].

ومن مشاركات الأنصار الأخرى في حنين أن أبا قتادة الأنصاري قتل أحد صناديد المشركين وافتقد سَلَبَهُ فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام رجل فقال: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضِهِ مني. فقال أبو بكر: لا والله، لا يرضيه منه، تعمد إلى أسد من أُسد الله يقال عن دين الله تقاسمه سَلَبَهُ! أردْ عليه سَلَبَ قتيله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق يردد عليه سَلَبَه[٤]. وقال ابن إسحاق: لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١١٣) . مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ك الجهاد، (ح١٢/ ١٧٧٥) . الساعاتي: الفتح الرباني، باب غزوة حنين، (ح٢١/ ٤٠٥) .

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٢٥) . الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٤٧٠) .

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٤٧٢) .

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١١٦) . ابن حجر: فتح الباري، باب غزوة حنين، (ح٧/ ٤٣٢١) .

رجلاً[٨]، ولما انهزم الناس قال أم سليم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقْتُلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم أهل لذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو يكفي الله يا أم سليم(*)[١]، ويوم ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا هوازن قال الأنصار: (وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢].

ولما سار رسول الله إلى هوازن في حنين استخلف على أهل مكة معاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه[٣]، وفي هذا إيحاءة إلى تغير الحال وتحول المدينة إلى مصدر إشعاع ونور، وكأن معاذاً يرد لمكة فضلها السابق الذي تركه سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول مصعب بن عمير الذي كانت مهمته في المدينة مشابهة لمهمة معاذ في مكة في كثير من جوانبها، لما أوكل إليه من مهمة نشر الإسلام واقتلاع بقايا الوثنية من قلوب أهل مكة .

وبهذا يكون الأنصار قد شاركوا في غزوة حنين في القتال والصبر عليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً ونساءً؛ حيث ثبت أنّ نساء الأنصار أم سليم بنت ملحان، وأم عمارة نسيبة المازنية، وأم سليط بنت عبيد[٤]، ويقال إن

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١١٧) . الصالحي: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٤٩٤) .
(*) وفي رواية: إن الله قد كفى وأحسن .
(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١١٥)
(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١٦٣) . الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٤٦٨) .
(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١٧٨) . الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٤٦٢) .
(٥) الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٤٨٥) .

المائة الصابرة يوم حنين ثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون من الأنصار[١] وهم الذين قاتلوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان بشير رسول الله صلى الله عليه وسلم بهزيمة هوازن ونصر المسلمين، نهيك بن أوس الأشهلي[٢]، وكان يحدث كل من مرّ به بهذه البشارة ليقطع إرجاف المشركين الذين سرّهم هزيمة المسلمين في بداية معركة حنين.

- **في الطائف:**

وبعد أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرج يريد الطائف وذلك في السنة الثامنة من الهجرة أيضاً[٧] وفي حصار الطائف استشهد اثنا عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] أربعة منهم من الأنصار[٤] وفي غزوة الطائف قال كعب بن مالك الأنصاري:

قضينا من تهامةَ كل ريب وخيبرَ ثم أجمعنا السيوفا
نُخَبِّرُها ولو نطقت لقالت قواطعهن دوساً أو ثقيفا[٦]

---

(١) م. ن (٥/ ٤٨٥).

(٢) الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٥٠٠).

(٣) الواقدي: المغازي (٣/ ٩٣٨). ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٢٨). البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (٥/ ٢٢٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١٦٠) الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٦٥٦).

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١٥٢).

وقال ابن هشام: هذا البيت الأخير كان وراء إسلام قبيلة دوس التي خشيت أن تكون هي المستهدفة بعد الطائف فأرسلت بوفدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معلناً إسلام قبيلة دوس.

- **في غزوة تبوك:**

قال حسان بن ثاب يذكر خروج الأنصار رضي الله عنه إلى تبوك:

ويوم سار رسول الله محتسباً إلى تبوكَ وهمْ راياته الأُوَلُ
أولئك القوم أنصار النّبي وهمْ قومي أصير إليهمْ حين أتَّصِلُ[1]

وكانت غزوة تبوك في رجب من السنّة التاسعة للهجرة[2] واستخلف رسول الله على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري[3] ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غيرها[4] وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بطن من قبائل الأنصار أن يتخذوا لواء وراية[5]، ودفع راية الأوس إلى أسيد بن حضير، وراية الخزرج إلى أبي دجانة ويقال الحباب بن المنذر[6] واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرسه بتبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عباد بن بشر الأنصاري[7]، وكانت غزوة تبوك في زمان عسرة وجدب وحر شديد وفي وقت

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٢٤٣) .
(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٣٢) . ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١٩٥) .
(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٣٢) .
(٤) المصدر نفسه
(٥) الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٦٣٨) .
(٦) المصدر السابق.
(٧) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٣٣) . الصالحي: سبل الهدى: (٥/ ٦٥٢) .

نضجت فيه الثمار وأينعت البساتين، كما كانت إلى عدو بعيد الشُّقَّةِ(*) كثير العدد شديد القوى، لهذا كثر الحديث عن المتخلفين والمنافقين والمرجفين، وهذا ما تم الحديث عنه في مبحث المنافقين إلا أن هناك من تخلف من غير شك ولا +ريبة وإنما كسلاً وتهاوناً، وهم : كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري، ومرارة بن الربيع الأنصاري، وهلال بن أمية بن امرئ القيس الأنصاري، وقصتهم مفصلة في كتب الحديث(١) والسير(٢) والتفسير(٣) فيتضح فيها حرص الأنصار على الصدق والجهاد والوفاء بالبيعة التي كان من شروطها الجهاد في سبيل الله، كما كانوا يؤكدون ذلك في غزوة الخندق بقولهم :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا(٤)

ولما التمس المنافقون الأعذار أعذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنّ الله لم يعذرهم، قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ

(*) الشقة: المسافة .

(١) ابن حجر: فتح الباري، باب غزوة تبوك، (ح٧/ ٤٤١٨) . الساعاتي: الفتح الرباني، باب غزوة تبوك، (ح٢١/ ٤٤٧) . البيهقي: دلائل النبوة، (٥/ ٢١٤) .

(٢) الواقدي: المغازي (٣/ ٩٩٧) . ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٢١٤) . الصالحي: سبل الهدى، (٥/ ٦٧٨) .

(٣) مخلوف، حسين محمد: تفسير صفوة البيان لمعاني القرآن، (ط٣) الإمارات العربية المتحدة بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م . تفسير سورة التوبة الآية (١١٨) قوله تعالى: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا ...).

(٤) المغازي (٣/ ٩٩٧) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٢١٤) . الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٦٧٨) .البخاري (٤٠٩٩) .

فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[1][2] أما الأنصار الثلاثة فإنهم صدقوا رسول الله وبينوا له أن لا عذر لهم في عدم الخروج معه فأرجأ أمرهم، وهجرهم المسلمون لا يكلمونهم ولا يخالطونهم وغلَّظ الأمر عليهم وذلك لشناعة ما قاموا به؛ لأن الجهاد في حق الأنصار فرض عين وكأن تخلفهم عن هذه الغزوة فيه نكث لبيعتهم قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾[3] ولقد ظلت مقاطعتهم خمسين ليلة، وقيل إن الحكمة من ذلك أنها كانت مدة غيبة المسلمين في تبوك[4] ثم تاب الله عليهم بقوله: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[5] . وبذلك انتهت محنتهم وأنجاهم صدقهم.

(١) سورة التوبة الآية (٩٦).
(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٣٢) .
(٣) سورة التوبة الآية (١٢٠).
(٤) الصالحي: سبل الهدى (٥/ ٦٨٩) .
(٥) سورة التوبة الآية (١٢٠).

المبحث الثالث

جهـــــــاد الأنصـــار في الـــسرايا

قال ابن سعد: (لم يبعث رسول الله صلى عليه وسلم أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بدراً)[١] وكانت مشاركتهم في بدر أكثر من ضعفي المهاجرين، وذكر قبل بدر أربع غزوات وثلاث سرايا[٢].

في سريتي قطن وبئر مَعونة ٣هـ/ ٦٢٤م: جاء ذكر الأنصار صريحاً في سرية أبي سلمة بن عبد الأسد في السنة الثالثة من الهجرة؛ إذ كان معه مائة وخمسون من المهاجرين والأنصار، وكان هدف تلك السرية إلى ماء قطن لبني أسد بن خزيمة[٣]، ومشاركة الأنصار في سرية المنذر بن عمرو الساعدي الأنصاري «ئر معونة» تؤكد أنّ استعداد الأنصار للجهاد كان كبيرا منذ اليوم الأول لإعلانه، ففي هذه السرية (بعث رسول الله سبعين رجلاً من الأنصار شبية يسمون القراء وأمّر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي، فلما نزلوا ببئر معونة وهو ماء من مياه بني سليم بين أرض بني عامر وأرض بني سليم، ... وقدموا حرام بن ملحان الأنصاري بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل، وثب على

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٥٣) .

(٢) م. ن (٢/ ٢٥٢) و(٢/ ٢٥٣) .

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٧٤) . ابن حجر: فتح الباري، باب سرية بئر معونة (٧/ ٤٠٩٠) .

حرام فقتله)[١] واستنفر عامر بن الطفيل قبائل عُصَيَّةَ ورِعْل وذَكْوَان من بني سليم فقتلوا بقيمة أفراد هذه السرية في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً[٢].

وفي سرية الرَّجِيع: وفي السرية التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالشهر والعام الذي بعث فيه السبعين، كان الأنصار يمثلون أكثريتها وكانت للغرض نفسه وللهدف نفسه؛ إذ جاء وفد من عَضلَ والقارة يطلبون من يفقههم ويقرئهم القرآن فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم معهم عشرة من أصحابه[٣] عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، فخرجوا حتى إذ كانوا على الرَّجيع ـ وهو ماء لقبيلة هذيل ـ غدروا بالصحابة وقتلوا أكثرهم وأسروا بعضهم[٤] وقال ابن هشام: (بعث رسول الله نفراً ستة من أصحابه)[٥] وهذه الظاهرة بحاجة إلى دراسة معمقة لإظهار الإمكانيات الدعوية للأنصار وتفرغ الكثير منهم للتعلم وحفظ القرآن واستعدادهم لتبليغه للآخرين.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١٣٩) . الطبقات (٢/ ٢٧٥) . السهيلي: الروض الأنف (٣/ ٣٦١) .

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١٣٩) . ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٧٥) .

(٣) ابن حجر: فتح الباري، باب غزوة الرجيع، (ح٧/ ٤٠٨٦) . قال بان حجر في توفيقه بين من قال كانوا ستة نفر وعشرة نفر: وقد جزم ابن سعد أنهم كانوا عشرة وذكر الستة الذين ذكرهم ابن إسحاق وزاد: معتب بن عوف. قال ابن حجر: فلعل الثلاثة الآخرين كانوا أتباعاً لهم فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم . وينظر ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٧٧) .

(٤) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٧٧) . ابن الأثير: الكامل (٢/ ١١٥) .

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١٢٢) السهيلي: الروض الأنف (٣/ ٣٦١) .

سرية عبد الله بن أنيس ﷺ: بلغ رسولَ الله أنّ سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي ثم اللحياني يجمع الجموع في وادي عُرْنة قرب مكة لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ضوى إليه بشر كثير من أفناء النّاس، فبعث إليه رسول الله عبد الله بن أنيس الأنصاري، بعد أن وصفه له وصفاً دقيقاً فخرج إليه ابن أنيس فقتله في عُرنة ثم قدم المدينة سالماً وقال في ذلك :

وقلت له خذها بضربة ماجدِ حنيف على دين النبيّ محمد

وكنتُ إذا همَّ النبي بكافرٍ سبقت إليه باللسان وباليدِ

فلما رآه رسول الله قال له: أفلح الوجه وأعطاه عصاً وقال له: هذه آية بيني وبينك يوم القيامة، فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، فضمت في كفنه ثم دفنا جميعاً[1].

سرية محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ إلى القرطاء:

وفي بداية السنة السادسة للهجرة قاد محمد بن مسلمة الأنصاري ثلاثين راكباً إلى القرطاء، وهم بطن من بكر ينزلون البكرات بناحية ضريّة على سبعة أميال من المدينة، ولم تذكر المصادر أسماء أفراد السرية الذين خرجوا معه.

---

(١) المغازي (٢/ ٥٣١) ابن هشام السيرة النبوية (٦/ ٣٠) الحلبي، علي برهان الدين (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٣م) السيرة الحلبية وبهامشها السيرة النبوية والآثار المحمدية، السيد أحمد زيني دحلان، بيروت، دار إحياء التراث العربي (بلا. تا) (٢/ ٦٨).

سرية محمد بن مسلمه ﷺ إلى ذي القَصّة:

وفي السنة السادسة قاد محمد بن مسلمة سرية من عشرة نفر إلى بني ثعلبة بذي القصة، على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة،فلما وردوهم ليلاً أحدق بهم القوم فرموهم بالسهام ثم حملوا عليهم حتى قتلوهم، وجُرح محمدَ بن مسلمة فظنوا أنه قتيل، فمر رجل من المسلمين إلى مصارعهم فاحتمل محمد بن مسلمة حتى ورد به المدينة، وكان النفر الذين مع ابن مسلمة ثمانية من الأنصار ورجلين من مُزَيْنة، قال محمد بن مسلمة: فلما كانت غزوة خيبر نظرت إلى أحد النفر الذين تولوا ضربي يوم ذي القصة، فلما رآني قال: أسلمت وجهي لله ! فقلت: أولى![1].

سرية عمرو بن أمية الضمري ﷺ: ولما حاول أبو سفيان بن حرب اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بوساطة أحد الأعراب، الذي أُمسك به في المدينة وأسلم[2]، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريش الأنصاري لاغتيال أبي سفيان؛ لكي لا تكرر قريش مثل هذه المحاولة، لكن قريشاً عرفت عمراً؛ فعادا إلى المدينة[3] سالمين بعد أن هابت قريش أن تعود لمثل هذه المحاولة مرة أخرى.

---

(١) الواقدي: المغازي (٢/ ٥٥٢) .

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٦٩) . الزرقاني: شرح المواهب اللدنية (٣/ ١٦٧) .

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٦٩) . الزرقاني: شرح المواهب اللدنية (٣/ ١٦٧) .

سرية بشير بن سعد الأنصاري ﷺ إلى فَدَك (٧هـ/ ٦٢٨م) :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بفَدَك فغنموا نَعماً وشاءً إلا أنّ المريين أدركوهم فقتلوا أصحاب بشير وكانوا ثلاثين رجلاً، وأصيب بشير حتى ظن أنه قتل، فقدم إلى المدينة بعد أن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصاب أصحابه[١].

سرية بشير بن سعد الأنصاري ﷺإلى يمن وجُبار(٧هـ):

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري إلى يمن وجبار في الجناب مما يعارض خيبر ووادي القُرى[٢] ومعه ثلاثمائة رجل إلى جمع من غطفان كانوا ينوون مهاجمة المدينة؛ إلا أنّ جمع غطفان حذر وهرب فأدرك بشير نعماً وشاء لهم وأسر أسيرين منهم قدم بهما إلى المدينة[٣].

مشاركتهم في عمرة القضية(*):

شارك الأنصار في عمرة القضية في السنة السابعة من الهجرة، فلم يتخلف أحد ممن شهد الحديبية إلا رجالاً استشهدوا بخيبر أو ماتوا[٤] وحمل رسول الله

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٠٩) . الزرقاني: شرح المواهب اللدنية (٣/ ٣٠٥) .
(٢) الواقدي: المغازي (٢/ ٧٢٧) . ياقوت: معجم البلدان (٢/ ١٦٥) .
(٣) الواقدي: المغازي (٢/ ٧٢٧) . ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٠) . ابن القيم: زاد المعاد (٢/ ١٦٥) .
(*) ينظر صحيح البخاري، ح (٤٢٥١) .
(٤) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٠) .ابن الأثير: الكامل (٢/ ١٥٣) .

معه السلاح وقاد مائة فرس فلما انتهى إلى ذي الحليفة[١] قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة الأنصاري، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد الأنصاري، وقدم السلاح إلى بطن يأجج وخلّف عليه أوس بن خولي الأنصاري في مائة رجل، فدخل رسول الله الحرم وعبد الله بن رواحة الأنصاري[٢] آخذ بزمام ناقته وهو ينشد:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إني مؤمن بقيله أعرف حق الله في قبوله[٣]

ومن أسماء هذه العمرة أيضاً: عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشا، لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها، لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها، بل كانت عمرة تامة، وتسمى أيضاً عمرة القصاص[٤]، ولم يحصل قتال في هذه الغزوة، ومع ذلك كان أثر الأنصار بارزاً إذ كانوا على السلاح والخيل وحراسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيادة راحلته والمعبرين عن مشاعره، عندما دخل مكة كما ظهر ذلك في شعر عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه.

---

(١) قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ومنها ميقات أهل المدينة، ياقوت: معجم البلدان (٢/ ٢٥٩).

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٠). الزرقاني: شرح المواهب اللدنية (٣/ ٣١٧).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١٩). السهيلي: الروض الأنف (٤/ ١١٤).

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ١٩). الزرقاني: شرح المواهب اللدنية (٣/ ٣١٧).

الأنصار في مؤتة(٨هـ/ ٦٢٩م) :

شارك الأنصار في مؤته[١] وكان عبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري أحد الأمراء الثلاثة[٢] ولما ودع المسلمون جيش مؤتة قالوا: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين، فقال عبد الله بن رواحة الأنصاري:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرعٍ[*] تقذف الزبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشده الله من غازٍ وقد رشدا[٣]

ولما انصرف جيش مؤتة وغاب عنهم رسول الله صلى الله عليهم وسلم قال عبد الله بن رواحة الأنصاري:

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مشيع وخليل[٤]

ولما بلغ المسلمون معان[٥] من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم واجتمعت إليهم جموع من القبائل العربية، فأقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، فوقف عبد الله بن رواحة الأنصاري موقفا طالما وقف الأنصار مثله لا يعرف سوى الإقدام فقال: « يا قوم والله إنّ

---

(١) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. ينظر: ياقوت: معجم البلدان (٥/ ٢١٩) .

(٢) وهم: زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة الخزرجي، ينظر: ابن هشام: السيرة (٥/ ٢٤) .

(*) ذات فرع: ذات سعة .

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٢٣) . ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٤) .

(٤) المصدر السابق.

(٥) مدينة في طرف بادية الشام، تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. ياقوت: معجم البلدان (٥/ ١٥٣) .

التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أمرنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين)[1] فتشجع النّاس ومضوا إلى هدفهم قائلين: صدق ابن رواحة، فقال رضي الله عنه:

أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جموم

فلا وأبي مآب لنأتينها وإن كانت بها عربُ وروم[2]

فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه وممن ذكر من الأنصار في موقعة مؤتة ثابت بن أقرم العجلاني الأنصاري الذي سلم الراية لخالد بن الوليد بعد استشهاد عبد الله بن رواحة، وكان على ميسرة المسلمين في مؤتة عباية بن مالك الأنصاري[3]، ولا شك أن هناك كثيراً من الأنصار في جيش مؤتة إلا أن المصادر لا يمكن أن تسمي جميع أفراد تلك الجيوش.

في ذات السلاسل(٨هـ/ ٦٢٩م) :

وفي سرية ذات السلاسل وهي وراء وادي القرى، بينها وبين المدينة عشرة بُرد، خرج عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار ثم أتبعه أبو عبيدة بن الجراح في مائتين من سراة المهاجرين والأنصار[4]، ذكر من

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٢٤) . السهيلي: الروض الأنف (٤/ ١٢٣) .

(٢) المغازي (٢/ ٧٥٩) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٢٧) .

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٥/ ٢٥) .

(٤) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٥) . ابن القيم: زاد المعاد (٢/ ١٧٤) .

الأنصار أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر وسعد بن عبادة وسلمة بن سلامة وقيس بن سعد بن عبادة[١].

في سرية الخَبَط(٨هـ) : أميرها أبو عبيدة في ثلاثمائة من الهاجرين والأنصار إلى ساحل البحر من جهة جهينة، وقد أكلوا الخبط لقلة الزاد معهم وهم على أرجلهم[٢] فاشترى قيس بن سعد الأنصاري خمس جُزر كل جزور بوسقين من تمر، ونحر كل يوم جزوراً، فلما علم والده سعد بن عبادة بفعله كافأه بفعله مكافأة جزيلة من بساتينه[٣] في المدينة، مما يشير إلى ثبات هذا الخلق في هذا البيت من الأنصار وأنّ الكرم سجية فيهم.

سرية أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري ﷺ إلى خضرة (٨هـ/ ٦٢٩م) :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان بنجد فغنموا وعادوا سالمين إلى المدينة[٤].

سرية أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري ﷺ إلى بطن إضم:

ولما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو مكة أرسل أبا قتادة بن ربعي الأنصاري في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم ليوهم بأنه توجه إلى تلك الناحية،

---

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٥) . ابن القيم: زاد المعاد (٢/ ١٧٤) .

(٢) المغازي (٢/ ٧٧٦) الحلبي: السيرة الحلبية (٢/ ٢٣٣) ابن القيم: زاد المعاد (٢/ ١٧٦).

(٣) الواقدي: المغازي (٢/ ٦٧٠) . أبو زهرة : محمد خاتم النبيين، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية والسنة، الدوحة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (٢/ ٦٧٠) .

(٤) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣١٦) .

وبعد أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة لحقوا بالنّبي صلى الله عليه وسلم بالسُقيا[١].

سرية قيس بن سعد الأنصاري ﷺ إلى صُداء:

أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوجه قيس بن عبادة الأنصاري إلى صُداء في أربعمائة فارس فعسكر قيس بن سعد في وادي قناة، فقدم الحارث الصُّدائي، فقال: يا رسول الله أنا وافدهم فاردد الجيش وأنا لك بقومي. فردهم النّبي صلى الله عليه وسلم من وادي قناة، حيث كان معسكراً قيس بن سعد، وقدم وفد صداء بعد خمسة عشر يوماً[٢]. وهذه السرية توحي بثقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدرات قيس بن سعد الأنصاري القيادية منذ ذلك الوقت المبكر.

سرية قطبة بن عامر ﷺ بن حديدة إلى خثعم (٩هـ/ ٦٣٠م) :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر الخزرجي الأنصاري إلى خثعم بناحية بيشة[٣] في عشرين رجلاً فنفّذ مهمته وعاد سالماً وأصحابه إلى المدينة بعد أن غنم وسلم، ولم تفصل الروايات في أسماء أفراد هذه السرية.

---

(١) الطبقات (٢/ ٣١٦) ابن القيم: زاد المعاد (٢/ ١٦٧) والسقيا: قرية جامعة من عمل الفرع، معجم البلدان (٣/ ٢٢٨).

(٢) البكجري: الإشارة إلى سيرة المصطفى، ص (٣٢٤).

(٣) قرية من جهة اليمن، فيها بطون خثعم: ياقوت: معجم البلدان (١/ ٥٢٩).

سرية علي بن أبي طالب ﷺ إلى الفلس صنم طَيئ (٩هـ/ ٦٣٠م) :

قاد علي بن أبي طالب ﷺ سرية من خمسين ومائة رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً فأدوا مهمتهم وملئوا أيديهم من الغنائم والسبي[١]، ومن خلال مشاركات الأنصار في هذه الغزوات والسرايا يتبين مدى الأثر العسكري الذي تركوه في بناء دولة الإسلام، ولقد شاركوا في السرايا جنوداً وأدلاء وقادة، وهذه المشاركات توضح دور الأنصار في السرايا وتبين ثباتهم وصبرهم ورغبتهم في الشهادة إذ كانوا يقدمون إلى الشهادة مقبلين لا يبالون بالموت، فلم تظهر لهم فعاليات سياسية أو مناورات عسكرية، مما يؤكد صدق جهادهم ورغبتهم بالشهادة وسعيهم للحصول عليها في مواطن الجهاد وبقي الأنصار يمثلون سورا للإسلام وحربة في وجوه أعدائه يبذلون المال والدم في سبيل الله تعالى لا يبتغون من الناس جزاء ولا شكورا حتى دعاهم النّبي صلى الله عليه وسلم ليوصيهم بالصبر على ذلك وليبشرهم بالجزاء الكبير بين يدي الله تعالى قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة وقال لهم: «اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله **فإنّي على الحوض**»[٢] ثم توفي النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا نعم العون لخلفائه الراشدين من بعده وقد ظهرذلك منذ يوم السقيفة وتسابقهم على بيعة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٣١).

(٢) صحيح البخاري: ح (٦٨٨٧).

الفصل الثاني

يوم السقيفة والموقف من بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

المبحث الأول:

يوم السقيفة يوم تجلت فيه الشورى وتألق الحوار:

يوم السقيفة الذي اجتمع فيه بعض المهاجرين مع جماعة من الأنصار رضي الله عنهم يوم أغرّ أبلج، مشرق يومه، ومزهر ليله، تمكن فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسقاط إرث الجاهلية وعاداتها وتقاليدها وثقافتها في اختيار سادتها وقادتها وأئمتها، يوم انتصر فيه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمخت فيه الشورى، وتألق فيه الحوار العلمي الشرعي العملي الهادف المثمر، يوم ظهر فيه الانقياد إلى الدليل الشرعي المنبثق من صفحات الكتاب والسنة، وأُقصي فيه المفهوم القبلي والحزبي والطائفي والإقليمي، وتقدمت فيه الكفاءة المجردة على ما سواها من وسائل الوصول إلى قيادة الأمة، فسقط في يوم السقيفة العرف القائل بأن الامبراطور يلد امبراطوراً وبأن السلطان حكرٌ على أبناء الذوات أو أبناء الطائفة حتى لو كانوا من القاصرين أو العجزة أو المتبذلين، أو ممن تعبث بهم قوى خارجة عن إطار الأمة ومتناقضة مع مصالحها وهويتها وغريبة عن عقيدتها أو محاربة لها، وكل ذلك يثبت رسوخ قيم الرسالة في قلوب الصحابة وأفعالهم ومواقفهم على المستويات كافة، ولا سيما قيم الحوار والشورى

والانقياد لنتائجها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

فيوم السقيفة تجلّت فيه طاقات أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وعميق فهمه، وقدراته القيادية الشورية التحاورية الخارقة، ومكانته السامية بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه رضي الله عنه كان فلتة من فلتات الزمان التي لن يجود بمثلها، في علمه وفهمه، وحلمه ونباهته، وتمسكه بعقيدته، وحرصه على وحدة أمته؛ وعلى وجوب سيرها على منهج نبيها صلى الله عليه وسلم من غير تبديل، فاعتزّ في ذلك اليوم الإسلام وأهله، وذلت فيه الجاهلية وامتداداتها ومراجعها، تأكد ذلك حين انقاد الجميع لحجج خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه القطعية التي لا تقبل تأويلاً ولا تفسيراً، بل كانت بيّنات واضحات وشموس ساطعات، استنار بها المؤمنون، وأعادت بوهج أنوارها التائهين والمترددين إلى صف الأمة وجماعة المسلمين.

فيوم السقيفة أثبت للمسلين أنهم في قيمهم السامية، هم الأرقى والأنقى والأتقى، وفي تعاملهم هم الأوفى والأرحم، وأن منظومتهم الأخلاقية الإسلامية برجالها وقيمها هي الأولى بسياسة الدنيا وقيادة البشرية، وكل ذلك اتضح وتبلور في عصر لا حكم فيه عند قياصرة الصليب وأكاسرة المجوس وغيرهم من عباد الوثن في شؤون الحكم وتداول السلطة إلا للسيف أو المكر والخديعة

(١) سورة الشورى الآية (٣٨).

والمساومات الهابطة التي تجتاح القيم وتُسقط مصالح الشعوب والأمم، وتبتز الضعفاء والأتباع ومن لا ناصر له، لكل هذا ولغيره أصبح يوم السقيفة هدفاً لبهتان أعداء الصحابة ومن يتبنى شبهاتهم وأباطيلهم من المستشرقين العلمانيين، واليهود، والصليبيين، لينزعوا من ميراث أمة الكتاب والسنة، كل ما يؤهلها للسيادة والقيادة ويرفع من شأنها ويشيد بنيانها، مما يوجب على كل مسلم أن يثق بميراث الصحابة رضي الله عنهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فضلاً عن الميراث العسكري في الجهاد والفتوح الذي لا يجهله إلا جاهل أو من في قلبه مرض، وأن يعلم الجميع يقيناً أنّ ذلك الميراث الأشم هو محل القدوة والصدارة لكل ميراث أنتجته حضارة إنسانية على مر العصور.

وكان من شأن السقيفة أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنه مريضاً فاجتمع عنده بعض الأنصار رضي الله عنهم وكان من الطبيعي أن يتحدثوا بأمر خلافة النبي صلى الله عليه وسلم وبمن هو الأصلح لذلك والأولى به، فكان ذلك المجلس منتدى عرضت فيه بعض الأفكار والمقترحات التي جرت على ألسنة من تحدث بها، ولم تكن لها أية امتدادات فكرية ولا تجمعات قبلية أو تحالفات حزبية، وإنما أفكار بريئة تؤكد حرص المشاركين فيها على خدمة دينهم ووحدة أمتهم بكل أمانة وشفافية، لكن أعداء الصحابة وإخوانهم المستشرقين اهتبلوا ذلك المجلس وتلك الآراء، ليصنعوا منها وقائع تعبر عما في نفوسهم من أحقاد على هذه الأمة، وأماني

يتمنونها في تمزق صفها، وانصرافها عن كتاب ربها وسنّة نبيها صلى الله عليه وسلم، ولكن الله تعالى خيب آمالهم وآمانيهم، حين جاء بعض الأنصار إلى عمر الفاروق ليخبره بأن هناك أفكارا تطرح حول خلافة النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة، فأخبر عمر أبا بكر الصدّيق رضي الله عنهما فسارا إلى إخوانهم الأنصار فتبعهم أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، أما عامة الصحابة فكانوا مشغولين في تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان في المسجد يذكر الله تعالى ويستعين بالصبر والصلاة على ما أصاب المسلمين من مصيبة لن يصابوا بمثلها أبدا.

فما إن وصل الصدّيق والفاروق والأمين رضي الله عنهم حتى شاركوا إخوانهم الأنصار فيما كانوا يتحدثون به من أمر الخلافة إذ أنّه أمر لا يمكن إلا التحدث به، ولا يمكن السكوت عنه، سواء طرحه عامة الأنصار أو بعضهم أو غيرهم، فكان ذلك المجلس بركة على أمّة الكتاب والسنّة، وأساساً صلباً لتأصيل أخلاق الشورى والحوار في الأمة، وخيراً ساقه الله إلى المصابين بفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم حيث بيّن وزيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لإخوانهم الأنصار ولأبناء أمتهم أهميّة الخلافة وما سيتبع ذلك من مهام وأعمال، ثم بينوا لهم الأولى والأصلح للأمة شرعاً وسياسة، فما كان من الجميع إلا أن التفّوا حول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي يعلم الجميع أنه هو الأقرب إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم في كل ما كان يقوم به من جهاد وسياسة وتدبير لشؤون الأمة، وهو الأدري بما كان يستشرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمور يصلح عليها مستقبل أمته، فلم يكن بين الصحابة من يقبل التقدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ذلك أن إشارات الكتاب والسنة جلية بينة لا يمكن لمؤمن تجاوزها.

فيوم السقيفة يوم فريد بين أيام المجد الإسلامي الذي سطره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم تعانق فيه المهاجرون والأنصار يجددون فيه العهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخوّة وإيثاراً وصبراً وإبداعاً وجهاداً وعدلاً وفتوحاً ورحمة، يوم سادت فيه قيم الكتاب والسنة في إقرار نظام المحاسبة الشاملة للخليفة وللولاة وخضوع الجميع لدستور الكتاب والسنة، وعلى ذات الطريق التي رسمها لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم يؤكدون ذلك لأمتهم ولنبيهم صلى الله عليه وسلم قبل أن يوارى الثرى، لتتساقط في ذلك اليوم الأغر أماني المنافقين، وتتهاوى فيه مخططات المرتدين، وتتقاصر فيه تطلعات اليهود والصليبيين، وتُسحق فيه تدابير المجوس الحاقدين الذين انقلبوا من بين النّاس إلى أعداء باطنية، ومنظمات سبئية، وضغائن شعوبية، وأدوات جاسوسية، وعقائد قبورية، وتحالفات عدوانية، لا همّ لها سوى الكيد والمكر بأمّة الكتاب والسنّة النبوية! جاحدين أيادي العرب المؤمنين الفاتحين الذين حرروهم من طغيان الأكاسرة، وأخرجوهم إلى عدل الخلافة الراشدة، ومن وثنية عبادة النار، إلى نور التوحيد والإخلاص لله رب العالمين، ومن الإباحية والمشاعية الأخلاقية

التي كانوا عليها، إلى العفاف والطهر والمودة والرحمة، فكافؤوا من أنقذهم من تلك الظلمات والموبقات، بالغدر والاغتيال، والإفك والبهتان، فضلاً عن التزييف والتشويه لجهادهم وعدلهم ونبل معدنهم الذي تعاملوا به معهم، فأعداء الشورى التي أُنجزت يوم السقيفة، ومبغضو رجالها البررة، كانوا ولا زالوا أكثر الناس جحوداً ونكراناً للجميل والمعروف ولحقوق الجوار، وألدهم عداوة لمن أحسن إليهم من أمة الكتاب والسنة.

فلما كان أعداء الصحابة يعلمون جيداً أنّ يوم السقيفة بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وسلم إنما هو يوم من أيام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، شنّوا عليه حملات الإفك والبهتان والتزييف والنكران! لكنهم اصطدموا بما له رضي الله عنه من مكانة أسس لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعلته في قلوب المؤمنين وفي ضمائر الموحدين، فلم يدع النّبي صلى الله عليه وسلم مناسبة ذات شأن تمر بالمسلمين إلا وأكد على تقديم صاحبه الصدّيق رضي الله عنه فيها؛ تارة بالتطبيق كما في تأميره على الحج، وفي تقديمه إماماً للصلاة بالأمة وبحضور أئمة الصحابة وقادتهم ورجال آل البيت وسادتهم، وفي مقدمتهم العباس وعلي رضي الله عن الآل والصحب جميعاً، وتارة أخرى بالقول أو الإشارة إلى ذلك بعلامات واضحة ثابتة، كما هو في الصحيحين والسنن، وبما لا يمكن لجاحد ردها، ولا لمؤمن الجهل بها.

ظهر ذلك في عامة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلاً عمّا ورد من إشارات على ذلك في القرآن الكريم، لهذا فلا تردد في تقديم أبي بكر رضي الله عنه على سائر الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تهاون في البراءة ممن يرفض خلافته في الماضي والحاضر، بل إنّ أي تهاون أو تردد في ذلك إنما هو قبول بنقض إقرار وخيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّ لإجماع المهاجرين والأنصار، وهدم لبناء الأمة في عصور خيريتها التي لا زالت هي الأساس الذي يجب أن يشيد عليه اللاحقون في المعتقد والفكر والهوية، فلا يرفض نتائج الشورى يوم السقيفة إلا مرتد أو من في قلبه مرض، أو ضال تائه لا قيمة لأقواله ولا لمواقفه في موازين العقيدة والقيم، فمسألة إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا تقبل نقاشاً ولا حواراً فهي من المسلّمات التي تلقتها أمّة الكتاب والسنّة بالقبول والتسليم والرضا، والحمد لها ولكل ما تمخض عنها من قرارات حاسمة ونتائج مفعمة بالعطاء والسداد والتوفيق، فلم يخرج على تلك الخلافة الراشدة إلا مسيلمة الكذاب ومن وافقه من المرتدين والمنافقين، وهذا يؤكد وجوب الحذر ممن يدعو إلى إخضاع مثل هذه المسلمات للآراء القاصرة، أو للروايات الفاسدة المبنية على نوايا ومقاصد سيئة، ظهرت في معتقدات وثقافة في مثل متاهات التقريب المخادعة، التي يعمل أدواتها على تقزيم السنّة النبوية ورجالها الأفذاذ، وتضخيم وإقرار البدع السبئية وأقزامها الأشرار، والتطاول على خيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان

ممن جاء بعدهم من أمّة النّبي المختار صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

مكان سقيفة بني ساعدة ومكانتها:

قال الجوهري: السقيفة الصُفّة، ومنه سقيفة بني ساعدة، وقال أبو منصور: السقيفة كلّ بناء سقف به صُفة؛ أو شبه صُفة، مما يكون بارزاً، ألزم هذا الاسم؛ للتفرقة بين الأشياء، وأما بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة؛ فهم حيٌّ من الأنصار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو[2] وقرية بني ساعدة عند بئر بُضاعة، والبئرُ وسط بيوتهم، وشمالي البئر إلى جهة المغرب بقية أُطم «صن» يقال: إنّه من دار أبي دجانة رضي الله عنه الصغرى التي عند بئر بضاعة ... وليست الناحية معروفة اليوم[3] وكان النّبي صلى الله عليه وسلم بصق فيها ودعا لها، وهذه البئر كانت لبني ساعدة وهم من الخزرج، قال المرجاني في تاريخه: والظاهر أنّ بُضاعة رجل أو امرأة تنسب إليه البئر، وكان موضعها ممر السيول فتكمح الأقذار من الطرق إليها، لكن الماء لكثرته لا يؤثر

(١) سورة التوبة الآية (١٠٠).

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٢٢٩.

(٣) ابن الضياء المكي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، ص٣٧١.

ذلك فيه، قال أبو داود في السنن: سألت قيّم بئر بضاعة عن عُمقها ... وسألت الذي فتح باب البستان فأدخلني إليه: هل غُيّر بناؤها عما كانت عليه؟ فقال: لا. ورأيت فيها ماءً متغير اللون[1] قال: ابن العربي: وهي في وسط السبخة، فماؤها يكون مُتغيراً من قرارها. قال المُحبّ بن النجار: وماؤها عذب طيب، صاف أبيض، وريحه كذلك، ويُستقى منها كثيراً، قال: وذرعتها فكان طولها أحد عشر ذراعاً وشبراً، منها ذراعان راجحة ماء؛ والباقي بناء، وعرضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود، قال الجمال المطري: وهي اليوم في ناحية حديقة شمالي سور المدينة وغربي بئر بيرحاء إلى جهة الشمال، يستقي منها أهل الحديقة، والحديقة في قبلة البئر ويستقي منها أهل حديقة أخرى شمالي البئر، والبئر وسط بينهما[2].

وكان أحد منازل بني ساعدة شرقي سوق المدينة، والسوق كان مقابرهم، وأنّ جرار سعد التي كان يُسقى فيها الماء – عن والدته بعد وفاتها – سدها جهة الشام، وبها منزل رهطه، وأنّه كان في دار السوق من المشرق لبني ساعدة طريق مبوبة، فهذا المسجد كان في هذه الناحية، والسقيفة كانت قرب شامي سوق المدينة، وغلط رُزين فقال: إنها بقُباء «مسجد بني ساعدة الخارج من بيوت المدينة» ولابن شبة بن سعد بن إسحاق أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم صلّى في

(١) سنن أبي داود: ح (٦١).

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف: ٣٤٥.

مسجد بني ساعدة الخارج من بيوت المدينة أي بمنزلهم الآخر شامي جرار سعد، قرب ذباب[١] وذباب جبل في المدينة[٢].

وكان النّبي صلى الله عليه وسلم يجلس -أحياناً- في سقيفة بني ساعدة التي عند المسجد هو وأصحابه رضي الله عنهم، كما هو مذكور في الصحيح في حديث الجوينية، قال سَهْل بن سعد رضي الله عنه: (ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلم امْرَأَةٌ مِنْ الْعَرَبِ فَأَمَرَ صلّى الله عليه وسلم أَبَا أُسَيْدٍ السَّاعِدِيَّ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَقَدِمَتْ فَنَزَلَتْ فِي أُجُمِ - حصن - بَنِي سَاعِدَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى جَاءَهَا فَدَخَلَ عَلَيْهَا؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ مُنكَّسَةٌ رَأْسَهَا، فَلَمَّا كَلَّمَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَت: أَعُوذُ بِاللهَّ مِنْك، فَقَال صلى الله عليه وسلم: «قَدْ أَعَذْتُكِ مِنِّي»، فَقَالُوا لَهَا: أَتَدْرِينَ مَنْ هَذَا؟ قَالَت: لا، قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم جَاءَ لِيَخْطُبَكِ، قَالَت: كُنْتُ أَنَا أَشْقَى مِنْ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِنَا يَا سَهْلُ»، فَخَرَجْتُ لَهُمْ بِهَذَا الْقَدَحِ فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ»[٣].

فيتبين من هذا أنّ سقيفة بني ساعدة كانت معروفة للصحابة رضي الله عنهم، وكانوا يرتادونها ويجلسون فيها، ويتحدثون ويتشاورون ويطعمون ويشربون،

(١) السمهودي: الوفا بأخبار دار المصطفى، ١/ ٢٤٩. وعن ذباب ينظر ابن شبة: تاريخ المدينة، ١/ ٤١.

(٢) الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، موقع الوراق، ١٠.

(٣) صحيح البخاري، (٥٢٠٦).

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً ـ كان يجلس فيها، فهي مكان كريم عند المسلمين، وصاحب السقيفة سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه جُبِلَ على خدمة المسلمين وإكرامهم، فالجلوس في السقيفة ليس بدعة، واللقاء فيها ـ وعلى أوسع نطاق ـ معتاد معلوم مشهود، يَسرُ المؤمنين ويسعدُهم، ويغيظ المنافقين ويفضحهم، وبالتالي فلقاء الأنصار في السقيفة، كان أمراً معتاداً وليس فيه أيّ شبهة؛ كما يريد أن يصور ذلك المغرضون، فدار بني ساعدة وسقيفتهم من خيار دور الأنصار، فعن أبي أسيد الساعدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو عبد الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة؛ وفي كلّ دور الأنصار خيرٌ)[1].

ونظراً لهذه المكانة والشهرة لسقيفة بني ساعدة عند المسلمين؛ عمل أعداء الأنصار على نزع تلك المكانة السامية، وتصوير الأمور على غير حقيقتها، حتى قادهم ذلك إلى الطعن في عامّة الأنصار رضي الله عنهم الذين أنجزوا بيعة السقيفة؛ واتهامهم ـ حاشاهم رضي الله عنهم ـ بالتآمر والتحزب والتشاجر، وما شابه ذلك من أباطيل؛ تُعبّر في حقيقتها عمّا في نفوس خصوم الصحابة من أماني فاسدة وأحقاد كامنة تؤكد إفلاس مشاريعهم العدوانية، وإحباط خططهم الباطنية، وإلا كيف يبغضون اجتماع الأمّة وانقيادها لخليفة نبيها صلى الله عليه وسلم الذي أسس لمبدأ محاسبة الحاكم، وأن لا يمتاز عن غيره من أبناء رعيته، وأن يشاركهم حياتهم في كل ألوانها؟ وهذا ما أغضب الأعداء على الأنصار

(١) صحيح البخاري، (٣٥٠٥).

لأنهم حققوا قول النّبي صلى الله عليه وسلم: (يد الله مع الجماعة)[١] وقوله كما في الصحيحين: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ)[٢] وعن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: سمعت النّبي صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يُريد أن يفرِّق بين أمّة محمد صلى الله عليه وسلم وأمرهم جميع، فاقتلوه كائناً من كان، فإنّ **يد الله مع الجماعة**، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض)[٣] فهل هناك من هو أخطر على الأمة ممن ينشر ـ ثقافة الكراهية ضد أئمة الشورى والحوار والوحدة ؟!

فهذه النصوص تبين أنّ الذين رفضوا خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ فارقوا الجماعة وارتكسوا مع الشيطان، ولا زالت فِرقهم الهدّامة تعملُ على تفريق الأمّة وتسعير الفتن بين أبنائها، وتُشرّع التعاون مع أعدائها، كما أن العمل بهدي مثل هذه النصوص يفرض على كلّ مسلم أن يكون حازماً حاسماً في العمل على مواجهة هذا الشرّ المتلون المتمدد المتجدد، وفضح وسائله وأداواته التي تعمل على تمزيق وحدة المسلمين، وتهديد أخوتهم وسلامة عقيدتهم، ونسف إنجازات الأنصار رضي الله عنهم الذين مارسوا الشورى والحوار على أجمل وجه وأكمله،

---

(١) الطبراني: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ح (٦٤٠٥) سنن الترمذي: (٢٠٩٢) صحيح.

(٢) صحيح البخاري، (٢٤٥٨) صحيح مسلم، (٤٦٠٠).

(٣) ابن حبان، ح (٤٥٧٧). وينظر الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي، (٢١٦٦) وصححه.

وحققوا الوحدة وحفظوا السُّنّة، وأسسوا لأوسع مشروع حضاري في الفتوح ونشر الإسلام بعدله وعالميته ورحمته، فأثلجوا صدور الموحدين وأقرّوا عيون الصالحين، بقيادة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، الذي كانت مكانته معلومة سامية عند الأنصار رضي الله عنهم، كما كان مكان السقيفة معروفاً عندهم، وذلك أنهم عايشوا وسمعوا وشاهدوا تقديم النّبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه، وإشراكه له في إدارة الأحداث وصناعة مستقبل المسلمين، فضلاً عمّا عندهم من نصوص تؤكد تلك المكانة وتدعو إلى نصرتها واتباعها؛ وطاعتها التي تسرّ الصالحين وتغيظ أعداء الصحابة فالناظر في النصوص والمواقف التي أسبغها رسول الله صلى الله عليه وسلم على خليفته الصدّيق رضي الله عنه تجعل كلّ من يخالف إنجازات يوم السقيفة، أو يشكك فيها، أو يرفض خلافة أبي بكر رضي الله عنه، أو يتعاون مع الخارجين عليها تحت أي ذريعة كانت؛ تجعله في قفص الاتهام متعاوناً مع المرتدين، ومتواطئاً مع الغزاة والمحتلين، الذين لا زالت الأحداث تثبت أنّهم في خندق واحد؛ يستهدفون أمن الأمة وهويتها، وإنْ تعددت غاياتهم ومنابرهم؛ أو تلونت راياتهم ووسائلهم، والأنصار هم حماة الخلافة من مثل هؤلاء المارقين عن ثوابت الدين وهوية أمة الموحدين.

المبحث الثاني

حوار السقيفة ومواقف الأنصار رضي الله عنهم

الناظر فيما يُطرح على الهواء وفي الفضائيات، وعلى صفحات الشبكة العنكبوتية، وفي ما يكتبه أعداء الصحابة عن يوم السقيفة، يجد أنّ هناك ثقافة موازية تعمل على تشويه كل جميل ورائع في الحضارة العربية الإسلامية، بل هناك ثقافة هدامة تخريبية لكل ما أنجزه أئمة الأمة وسادتها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفث عليهم الأحقاد، وتزرع ضدهم الكراهية! وتؤجج عليهم المشاعر، في توجهات ثأرية اجتثاثية حاقدة تنكر كل معروف وسماحة وحزم وعدل ورحمة ونجاح؛ كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم! وتظهر ذلك بصور مقلوبة! ووسائل ملتوية! ومناهج مدروسة ومنظمة ومدعومة ومحمية! تحت رايات شعوبية صفوية طائفية انتهازية نفعية.

ومن أمثلة ذلك تفسيرهم المنكوس، وتوجيههم المفترى لمفردات الحوار ومقاصد المواقف النبيلة يوم السقيفة الأغر! ذلك اليوم الذي يمثل مفخرة كبرى لأمة الإسلام وتراثها الخالد، لما ظهر فيه من قيم الحوار والشورى، والاحتكام إلى الدليل والنص، ولما تبع ذلك من إنجازات حفظت وحدة الأمة وعقيدتها، وأعزت شأنها وسحقت أعداءها.

فالحوار الذي جرى في سقيفة بني ساعدة، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم التي أعلن عنها أبو بكر رضي الله عنه بشجاعة عجز عنها غيره، وفي

فصاحة وجرأة ويقين منقطع النظير تجلى في قوله: (من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) ذلك الموقف البطولي المتفرد من بين مواقف قادة الأمة، هو الذي أيقظ المسلمين وأعاد إليهم رشدهم، حين أيقنوا جميعاً بهذه الحقيقة التي لا يريدون تصديقها، وهي التي من هولها اضطرب بعضهم، ودهش آخرون، فمنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته صلى الله عليه وسلم بالكلية؛ وحمل السيف على من يعلن بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم!

وبهذا الموقف العظيم من أبي بكر رضي الله عنه أفاق الناس من هول الفاجعة، ولاسيما بعد أن تلا عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1] فعلم المسلمون أنه لا بد من تحمل أعباء الصبر على مصابهم ودفن نبيهم صلى الله عليه وسلم، وأنه لا بد من اختيار خليفة له صلى الله عليه وسلم، فانشغل الصحابة بمصابهم الكبير آنذاك، فكانوا ما بين باك وداع وذاكر وتال لكتاب الله، وما شابه من أحوال يمر بها الناس عند النوازل الكبرى التي تحدق بهم.

فوافق ذلك أن كان سعد بن عبادة رضي الله عنه مريضاً لا يستطيع الخروج من بيته، فجلس عنده بعض إخوانه من الأنصار في سقيفة بني ساعدة التي كانت

(١) سورة آل عمران الآية (١٤٤).

مكان التقاء المسلمين في كثير من الأوقات، وقد سبق بيان أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس فيها، فكان من الطبيعي أن يتجاذب الحاضرون أطراف الحديث عما هم فيه، وعن سبل الخروج من هذا المصاب، فكان أن أشار البعض منهم بترشيح سعد بن عبادة نظرا لسنه ومكانته في قومه، ولمواقفه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، فتداول الحضور الكلام حول هذه المسألة من غير سابق تخطيط ولا تدبير.

فلما علم بعض المهاجرين بهذا الحديث، جاء الصديق أبو بكر والفاروق عمر والأمين أبو عبيدة رضي الله عنهم، جاؤوا إلى إخوانهم الأنصار الذين كانوا في السقيفة، فتحاوروا معهم في هذه المسألة ذات الأهمية القصوى آنذاك والتي تعني جميع أبناء الأمة، فتبين من خلال الحوار الذي دار في السقيفة أن الأنصار الذين كانوا في السقيفة لم يكن لديهم موقف مسبق حول الخلافة، فأدلى كل منهم بدلوه بحسب ما يراه أنه هو الصحيح النافع للمسلمين.

لكن الناظر في تلك الآراء التي طرحها بعض الأنصار، لا يرى لها عمقاً ولا بعداً فكرياً ولا عقدياً، لأنها كانت عارية من الأدلة الشرعية، فجميع ما طرحه الذين اقترحوا ترشيح سعد لا يخرج عن دائرة الرأي المجرد، المبني على عرف قبلي معمول به، أو رأي شخصي لم يوزن بنصوص الشرع! لهذا ولغيره تساقطت جميع تلك المقترحات وتبخرت تلك الآراء حين تكلم إمام الأمة وقائدها بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، أبو بكر الصدّيق، لقوة حجته وصدق منطقه ونبل

مقصده وشمول غايته، ولوضوح النصوص التي كان يستشهد بها ويبينها للحاضرين، كما وصف عمر رضي الله عنه حوار الصديق آنذاك قائلاً: (فتكلم أبلغ الناس!).

فالمتابع لحوار الأنصار يوم السقيفة، لا يجد لهم موقفاً موحداً من مسألة الخلافة، بعكس ما يروج له أعداء الصحابة ومن يأخذ عنهم، فالحوارات التي دارت بين الأنصار أنفسهم، وبينهم وبين من حضر في السقيفة من إخوانهم المهاجرين رضوان الله عليهم يظهر فيها اتجاهان واضحان، أحدهما: يدعو لمبايعة سعد بن عبادة، والآخر: يرى أنّ المهاجرين هم الأولى بخلافة النّبي صلى الله عليه وسلم وهم الأدرى والأكثر خبرة في إدارة سفينة الإسلام، ولعلّ في هذين الموقفين رداً على المغرضين المخالفين الذين لا يَدَعون فرصة للطعن في الإسلام وقادته إلا واهتبلوها، تأكد هذا حين راحوا يروّجون في كتاباتهم وإعلامهم، بأنّ المسلمين انقسموا سياسياً على أنفسهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مهاجرين وأنصار! ثم اختُرعت فرية الوصية والإمامة، وتكلموا عن تحزبات وتجمعات كلها لا وجود لها آنذاك إلا في أمانيهم ومخططاتهم، وفي كتاباتهم التي تظهر في مؤلفاتهم، مثل كتاب السقيفة محمد رضا مظفر، طباعة قُم، وكتاب نبيل فياض: يوم انحدر الجمل من السقيفة، وكتاب إبراهيم بيضون: الأنصار والرسول صلى الله عليه وسلم، وكتاب الفتنة لهشام جعيط، والفتنة الكبرى لطه حسين، وأمثال هؤلاء المفتونين الذين يحتكمون إلى أهوائهم ومفتريات أسلافهم،

مسقطين واقع الأحداث ونصوص الكتاب والسنة! وهذه الأباطيل التي يتبناها هؤلاء وغيرهم كثير من التائهين، يردها الواقع الذي كان عليه المسلمون، وما جرى في السقيفة من حوار أخوي وتشاور ودي، ففي مسألة الخلافة كان أعلام الأنصار من أهل العلم والفقه والتجربة، يدعون إلى ترك أمر الخلافة بأيدي المهاجرين، وآخرون من الأنصار نظروا للأمر من جوانب أخرى، دعوا لبيعة سعد مسوغين ذلك بأعذار وحجج كانوا يعتقدون صحتها، فتبين لهم أنّ ما قاله وقدّمه الصدّيق في السقيفة هو الأولى بالاتباع، فتركوا ما كانوا يعتقدونه في مسألة الخلافة واتبعوا المنهج الذي برهن على صحته أبو بكر الصدّيق مستدلاً عليه بالوقائع والنصوص، وهذا سيتضح من خلال هذين الموقفين.

أولاً: الدعوة لبيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه

سبق القول أنّ الذين دعوا إلى بيعة سعد لم تكن لديهم أدلة علمية، أو إشارات نبوية، تستند إلى نصوص شرعية، وإنما احتجوا بوقائع وأحداث وتوقعات كانت محل اتفاق، واعتمدوا على عدة محاور لا تخرج عن هذا الإطار، وإن كان عامة ما روي عن ذلك الحوار، هو من كلام المؤرخين والإخباريين الذين لا يتحفظون من توجيه الأحداث باتجاه رغباتهم وولاءاتهم، ومن ذلك ما نسبوه إلى الأنصار فشاع عنهم في كتب التاريخ والأدب وغيرها، كقول بعض خطبائهم: «إنّ الله تعالى نقل النّبي صلى الله عليه وسلم من داره فكنا أنصاره، وكانت أرضنا مهاجره وقراره، وإنّا قاسمناكم الأموال وكفيناكم الأعمال،

وأنزلناكم الديار، نحن أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم وكتيبة الإسلام، ولنا من الفضائل ما أنتم به أعلم، فنحن أنصار الله ولنا الإمامة في الناس»[١] وهذه الرواية أوردها الواقدي وهو معلوم بميوله وأساطيره، وأنّه متروك الحديث، ولكن لعل إيرادها هنا يسكت حملتها والمروجين لها، فيقال لهم لم يُعرف عن الأنصار أنهم كانوا يمنّون في عطائهم ولا يتأخرون في كرمهم وجهادهم، وهم الذين يكثرون عند المغرم ويقلون عند المغنم، وهذا ما شهد لهم به كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢] فمن يؤثر على نفسه وهو في أشد الحاجة لا يمنّ على أخيه في الإسلام وشريكه في المصير، فهذه الرواية لا تتوافق مع حال الأنصار وكرم أخلاقهم، ولا مع مسار الأحداث التي جاءت بعد بيعة السقيفة.

وقول آخرين: «يا معشر الأنصار ما عُبد الله علانية إلا في بلادكم، ولا اجتمعت الصلاة إلا في مساجدكم، ولا دانت العرب بالإيمان إلا بأسيافكم، فأنتم أحقّ النّاس بالأمر»[٣] وهذا النّص أيضاً لا يمكن التسليم له وقد أورده ابن أبي الحديد، وهو معتزلي، وهو نص يعبر عن أماني أعداء الصحابة بطريقة أو بأخرى، وإن كان لا يحمل مغالطات كثيرة في طياته! لكنه طمس دور المهاجرين

(١) الواقدي: الردة، ٣٨، ومحمد بن عمر الواقدي متروك الحديث، قال عنه الإمام أحمد: كذاب يقلب الحديث، وقال عنه الذهبي: واستقر الإجماع على وهن الواقدي، الذهبي: ميزان الاعتدال، ٣/ ٦٦٢.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٦/ ٨٠.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٦/ ٨٠.

وجهادهم وصبرهم وتضحياتهم! وهذا منطق لم يؤثر عن الأنصار ويناقض شدة مودتهم للمهاجرين ومحبتهم لهم واعترافهم بفضلهم وسبقهم، ولا يتفق مع ما هو معروف عن الأنصار من الإنصاف والإيثار؛ فهم لا يغمطون أحداً حقه، والنص لا يتفق مع أخلاق الصحابة وسمتهم وصدقهم وسمو مقاصدهم، فهو موضع ريبة وتهمة لأنه يفسر الأحداث من زاوية واحدة، ولا يوجد ما يثبت صحته في المتن ولا في السند.

وروى آخرون أنّ هناك من الأنصار من دعا إلى إقامة أميرين، واحد من المهاجرين وآخر من الأنصار قائلين: «يا معشر المهاجرين: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان»، وقال آخر: «فإن أبى هؤلاء ما نقول فمنا أمير ومنهم أمير»[1] ومن الحوار الذي دار قول الحُباب بن المنذر رضي الله عنه: «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب.. والله إن شئتم لنعيدنها جذعة»[2] فقوله: «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب» دون الزيادة ورد في الصحيح، وجذيلها المحكك: كناية عن عود كان ينصبه العرب للإبل لكي تحتك به، والعُذيق: هو النخلة، والمرجب: هو ما يدعم به النخلة حين يكثر ثمرها، والمراد هنا أنه صاحب الرأي والتدبير الشافي الوافي، وأنّه صاحب خبرة واسعة، وله باع طويلة في مثل هذه الأمور،

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٠٦، ابن كثير: مسند الفاروق، ٢/ ٥٣٢، الخليفة: الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، ١٠٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ٢٠٦، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٨، الإنصاف، ١٠٠ .

وأنّه من خلال خبرته وتجاربه يرى الحل بأن يكون أميرٌ من الأنصار وآخر من المهاجرين، وهذا أمر رده عليه المهاجرون في حوارهم بالحجة الصحيحة، وأنه لا يستقيم ولا يمكن العمل به لما يترتب عليه من تضارب في الآراء، وتداخل في المهام والصلاحيات وما إلى ذلك، وسيتضح رد المهاجرين عند بيان موقفهم في الحوار والشورى يوم السقيفة.

لكن أهل الأهواء المبغضين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورثة حديث الإفك، وإخوان أبي لؤلؤة المجوسي، أضافوا إلى النص الصحيح ما يفسده ويُحوّل معناه الذي صدر من رجل معروف برأيه وحسن مشورته إلى قول رجل غوغائي يعمل على نشر الفتنة بين المسلمين وحاشاه فأضاف المفترون إلى قول الحُباب بن المنذر المذكور قولهم: «والله إن شئتم لنعيدنها جذعة» أي نعيدها فتية متجددة، ويقصدون بذلك الفتنة والحرب، وهذا المنطق الذي يريد أن يُخرج الصحابة عن أخلاقهم وحرصهم على أمن أمتهم، وطاعة أئمتهم، يؤكد هوية قائله الدخيلة، ويبين مقاصده الرامية إلى زرع الضغينة، والهادفة إلى تشويه إنجازات يوم السقيفة الذي كبّت الله به وجوه المنافقين، وأرغم به أنوف الحاقدين، فهذا المنطق الغريب عن مجرى الحوار يبين زيف هذه الإضافة ويؤكد بطلانها؛ إذ لم يكن هناك في يوم من الأيام حرب أو خلاف بين الأنصار والمهاجرين فكيف يريد إعادة شيء لم يكن ولم يوجد والحمد لله تعالى؟!.

وما روي عن خلاف حاد بين الحُباب بن المنذر وبين عمر في السقيفة فهو مما نُفخت فيه من أكاذيبهم ليأتي على غير الوجه الصحيح، وقد روي أن عمر لم يُغضب الحُباب بن المنذر منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر: «فلما كان الحُباب بن المنذر هو الذي يجيبني لم يكن لي معه كلام، لأنّه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاني عنه، فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوؤه أبداً»[1] هذا فضلاً أن ما يروى عن الحُباب في هذه المنازعة مخالف لما عُهد عنه من الحكمة وحسن الرأي كما تبين ذلك في قبول النّبي صلى الله عليه وسلم مشورته يوم بدر وفي غزوة خيبر.

فالتمعن الدقيق في نصوص الخلاف عامة يثير الانتباه إلى عدة مسائل منها فقدان أكثرها للسند الصحيح، واشتمالها لطروحات لم تكن معروفة في عصر الرسالة، فلم يُعرف عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه كان إذا أرسل رجلاً من المهاجرين قرن معه آخر من الأنصار ولا العكس، ولم يكن المسلمون في عصر النّبي صلى الله عليه وسلم إلا أخوة متوادين متعاونين يفتدي بعضهم بعضاً بأرواحهم وما يملكون، والشواهد على هذا ناصعة في عامة ما جرى من أحداث بين المسلمين والمشركين.

وزعم الواقدي أن رجلاً من الأنصار خاطب الأنصار محذراً لهم بقوله: «وأنتم يا معشر الأنصار: إن قَدّمتم قريشاً على أنفسكم يتقدمونكم إلى يوم

(١) الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: ١/ ١٢.

القيامة»[1] وهذا النص لم أطلع عليه في كتاب معتمد، وهو نص مناقض لموقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين المبني على إيثارهم في المال، وافتدائهم في ساحات النزال، وهو مناقض لما في كتاب الله تعالى الذي قدم المهاجرين على الأنصار في كافة نصوصه، وهو نص تشم منه رائحة الدعوة إلى الفتنة، مما يجعله متناقضاً مع قيم المودة التي تربط بين المسلمين في مجتمع عصر الرسالة، وبعيداً عن أخلاقيات الحوار والشورى، التي دارت في سقيفة بني ساعدة، وكان محورها الاحتجاج بالأدلة الصحيحة التي تثبت صواب قائليها، وأنّ أيّ خروج عن تلك الأخلاقيات السليمة، والأدلة الصحيحة، لا يعود على صاحبه إلا بالعزلة وتفرق من حوله، فلم يكن بين الصحابة من يخرج عن الدليل الصحيح المستند إلى الكتاب والسنة، أو المستنبط من أحكامهما.

فهذه هي أهم الآراء والتوجهات التي روي أنّ طائفة من الأنصار تداولوها في حوارهم مع الصدّيق والفاروق والأمين يوم السقيفة، لكي يسوغوا مطالبتهم بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فضلاً عن ضعف رواتها وغرابة طرحها عن أخلاق الصحابة الذين عرف عنهم الزهد في جانب الإمارة والمسؤولية، لما يترتب على ذلك من الخوف من الوقوع في التقصير بحق الرعية، أو الوقوع في الظلم، وما يتبع ذلك من آثام هم يفرون منها، لتنافسهم على الدرجات العلا في الآخرة، وعلى الفوز بالقرب من رسول الله صلى الله عليه

(١) الواقدي، الردة، ص٣٢ .

وسلم الذي تعلقت به قلوبهم وأرواحهم، مما يؤكد غرابتها عن أريحية الأنصار رضوان الله عليهم وإيثارهم وحبهم لإخوانهم المهاجرين.

وما سوى هذه النصوص من روايات في كتب مثل تاريخ المسعودي (مروج الذهب) وتاريخ اليعقوبي وكتاب وقعة صفين لابن مزاحم المنقري وأمثال هؤلاء، أو عن طريق رواتهم الذين دون عنهم بعض المؤرخين المسلمين مثل الطبري وابن كثير وابن الأثير وغيرهم فكل هذه الروايات هي أبعد من أن يُنظر فيها، لمنافاتها للعقل والدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك الروايات المتناثرة في كثير من كتب الأدب والشعر والقصص وفي بعض مؤلفات المعاصرين، وفي بعض الفضائيات والمسلسلات ومواقع الشبكة العنكبوتية، فهذه كلها يجب الحذر منها والتشهير بمقاصدها الخبيثة الرامية إلى تأجيج الكراهية وتسعير الفتن في بلاد المسلمين!.

وهذه النصوص بعامتها أغفلت دور المهاجرين، وصورت الحدث من زاوية واحدة؛ هي زاوية المصلحة الذاتية فقط؛ فهم يريدون الحكم والخلافة، أو المشاركة على قدم المساواة مع المهاجرين مناصفة، أو العودة إلى أحكام الجاهلية، وهذه المقاصد المجردة من قيم الدار الآخرة غريبة على أخلاقيات الأنصار.

وفضلاً عما سبق فإنّ هذه الحجج عارية من التأصيل الشرعي، فلا تحمل في طياتها مصالح نشر الإسلام وحمايته، ولا الجهاد في سبيل الله من أجل تبليغه، ولا تعترف بمقام أئمة الصحابة وقادتهم ومستشاري النّبي صلى الله عليه وسلم

وأعوانه المقربين إليه، وما نبه إليه صلى الله عليه وسلم من وجوب حفظ مكانتهم رضوان الله عليهم وعدم التقدم عليهم، وعامة هذه النصوص لا تستند إلى أدلة علمية تنبثق من آيات الله تعالى في القرآن الكريم، أو من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يؤكد أنها لم تصدر عن الأنصار بهذه الصياغة، مما يُفقد هذه النصوص الموضوعية والثقة، ويؤدي إلى اتهامها والريبة بها وبمن يشيعها ويعمل على طباعتها ونشرها، في غير باب التحذير منها!

أما التترس بموقف سعد بن عبادة والزعم بتبني موقفه المخالف للمهاجرين ولبعض الأنصار فهذه مظلة زائفة، ومقاصد مكشوفة، لا يتبناها إلا من هو حريص على شق صفوف المسلمين وتمزيق وحدتهم، فإن حالة سعد التي كان عليها يوم بيعة السقيفة من المرض ولزوم الفراش لم تكن لتسعفه على قول ما ينسبه إليه أعداء الصحابة والمستشرقون وتلامذتهم، وهذا أشبه بما ينسبه هؤلاء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه جِيء به يُقاد والحبل في عنقه ليبايع خليفة المسلمين، فهذه الروايات وأمثالها تعبر عن عقليات مخترعيها المبغضة للصحابة وعقيدتهم السمحاء، وتبين كراهيتهم لوحدة الأمة واتهامهم لأعلامها الأبرار وللسابقين الأولين الأخيار، يتضح ذلك في الروايات التي اتهمت سعداً ﷺ بأنّه كان لا يُصلي بصلاة المسلمين، ولا يفيض في الحج بإفاضتهم! متجاهلين سابقته وجهاده وصحبته ﷺ.

إنّ تاريخ سعد بن عبادة الناصع بالجهاد والعطاء والولاء؛ يأبى قبول أي شيء من هذه الأباطيل، ذلك أنّه كان أحد نقباء الأنصار الذين بايعوا النّبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وعلى أن لا ينازع الأمر أهله، وهو الذي مثّل هدفاً أساسياً لمشركي قريش حين تعقبوه فاختطفوه قرب مكة، وربطوا يديه إلى عنقه وأدخلوه مكة أسيراً، حتى أنقذه منهم حليفه جبير بن مطعم بن عدي؛ الذي كان سعد يجير تجارته في المدينة، وهو ممن حظي بمقام أهل بدر ومنزلتهم لصدق نيته ورسوخ عزيمته في جهاد المشركين، وكان من بيت جود وكرم شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر من موقف، وكان النّبي صلى الله عليه وسلم يأخذ برأيه في مواقف فاصلة، كما حصل في غزوة الخندق عندما استشاره وسعد بن معاذ رضي الله عنهما في إعطاء بعض تمر المدينة لعيينة بن حصن الفزاري، لينقض تحالفه مع قريش، فكان رد السعدين يدل على عمق الإيمان وكمال التضحية لديهما، فمواقف سعد مشهورة ومعلومة، فهل يقبل عاقل أن يُتهم هذا الصحابي الجليل صاحب الماضي المجيد في خدمة الإسلام، بأنه كان يريد أن يبعث العصبية الجاهلية يوم السقيفة لكي يحصل على منصب سياسي لم يكن ينتظر من يتحمل أعباءه سوى السهر والنصب والتعب المتواصل؟!

فخلاصة موقف سعد بن عبادة من خلافة الصدّيق أنه بايع أبا بكر بالخلافة في أعقاب الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة – وسيأتي ذلك مفصلا في بيعة

سعد بن عبادة لأبي بكر الصدّيق - ولم يثبت بالنقل الصحيح وجود أية أزمة سياسية أو إدارية أو اجتماعية، بين المهاجرين والأنصار بل كانت بيعة السقيفة التي تمت في دار سعد وفي سقيفته، سبباً في زيادة تعاون المهاجرين والأنصار على مواجهة المنافقين والمرتدين، ومن بعدهم المجوس والصليبيين، وأذنابهم وعبيدهم الرافضين لخلافة أبي بكر الصدّيق.

إنّ أعداء الصحابة لا زالوا يعيشون أزمة أخلاقية وعقائدية وسياسية وإدارية، وأزمة هوية وأزمة انتماء، وهزيمة نفسية حضارية عقائدية، منذ أن تبنوا البهتان والخلاف على بيعة السقيفة، لا يخرجهم منها سوى محبة الصحابة رضوان الله عليهم والتوبة عن التدين بعداوة أحد منهم، وموالاتهم جميعاً، والبراءة من أعدائهم جميعاً.

ثانياً: معرفة الأنصار بأحقية أبي بكر الصديق ﷺ

سبق ذكر آراء دعا فيها بعض الأنصار إلى أن تكون الخلافة فيهم، وأنّ هناك فريقاً آخر منهم، كان يرى أنّ الخلافة في المهاجرين، وأنّ هذا الأمر في قريش، وأنّ الدعوة لبيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه لا تمثل رأي الأنصار، وإنما هي رأي طارئ وموقف عارض، مما يوحي بأنّ هناك آخرين لديهم تصوراً عن هذه المسألة، وأنّهم لم يكونوا بعيدين عن فهم المقاصد والإشارات القرآنية، والأحاديث النبوية، التي تشير إلى مسألة الخلافة، ومواصفات القائمين على شؤونها، اتضح ذلك فيما قاله بشير بن سعد الأنصاري، الذي ذكر فضائل

الأنصار وعظيم ما قدموه من جهاد وتضحيات، وأنهم لا يبتغون من ذلك سوى رضا الله تعالى، وأنّه لو كانت مطالبة بعض الأنصار بالموافقة على ترشيح سعد بن عبادة حقاً، لما عارضهم إخوانهم المهاجرون، وقال: «ألا إنّ محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أولى به، وإيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم»(١) وأضاف منبهاً الأنصار المطالبين بالخلافة، بقوله: «لو كان ما تدعون حقاً لم أعرض عليكم فيه، فإن قلتم: بأنا آوينا ونصرنا، فما أعطاهم الله خير مما أعطيتم(٢) فلا تكونوا كالذين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾.

وأكد ذلك أُسيد بن حُضير رضي الله عنه فقال: «إنّ هذا الأمر في قريش دونكم، فمن قدموه قدموه، ومن أخروه فأخروه»(٣) وتابعهم عويم بن ساعدة العمري الأوسي مخاطباً الأنصار رضي الله عنهم قائلاً: «إنّ الخلافة لا تكون إلا لأهل النبوة، فاجعلوها حيث جعلها الله عز وجل»(٤) وقال معن بن عدي الأنصاري منكراً على الأنصار رضي الله عنهم الذين دعوا إلى أن تكون الخلافة فيهم: «والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صلّى بنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فعلمنا أنّه قد رضيه لنا، لأنّ الصلاة عماد الدين»(٥) وحسم

(١) بدران، تهذيب تاريخ دمشق: ٣/ ٢٦٥، ابن أعثم، الفتوح: ١/ ٤؛ ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٢٢٤.
(٢) السيوطي: تاريخ خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص ٦٠.
(٣) الواقدي، الردة، ص ٣٣؛ ابن أعثم، الفتوح: ١/ ٣ .
(٤) الواقدي، الردة، ص ٣٣؛ ابن أعثم، الفتوح: ١/ ٣ .
(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب: ٤/ ١٤٤١. ابن أعثم، الفتوح ٣/ ٤.

زيد بن ثابت النجاري الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه موقف الأنصار في السقيفة، فقال رضي الله عنه: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين، وإنما الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصارهم، كما كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه وقال: هذا صاحبكم، فبايعه عمر، ثم بايعه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم»[1].

وهذه النصوص التي أدلى بها علماء من الأنصار وسادة قبائلهم، فيها الضعيف كما هو ظاهر من محتواه ومن رواته، وفيها ما هو متوافق مع فهم الأنصار لدورهم الريادي في حماية الدين وحراسة العقيدة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم لتبقى كما هي، وليستمر دورهم على ما كان عليه في زمنه صلى الله عليه وسلم من النصرة والحماية، والحرص على توثيق روابط الأخوة والوحدة بين المسلمين، وفاء لبيعة العقبة الأولى والثانية التي بايعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصرة، وعلى السمع والطاعة في المنشط والمكره، وعلى النفقة في العسر واليسر، وأن لا ينازعوا الأمر أهله، وأن لهم الجنّة إن وفوا بتلك الشروط، فلم يعدهم صلى الله عليه وسلم بإمارة ولا وزارة ولا بشيء من الدنيا، ولقد كانت وحدة وأخوّة الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم تمثل السند المتين في ساعات المحن والشدة، كما تبين هذه النصوص إدراكهم رضي الله عنهم لمفهوم حديث: «الأئمة من قريش» فيما طرحوه من آراء ومقترحات، وما قدموه

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ٤/ ٥٦١، ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٠/ ٢٨٨. تاريخ الخلفاء، ص٦٧.

من أفكار، وفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم صاحبه الصدّيق إماما للمسلمين وخليفة له صلى الله عليه وسلم وبشكل ملزم لكل مسلم، اتضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى! ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[1].

فيتبين لنا أن مسألة إمامة أبي بكر رضي الله عنهم وتقديمه مسألة محسومة عند أكثر الأنصار رضي الله عنهم وأنها غير قابلة للحوار ولا للنزاع، وأن من رشح سعد بن عبادة رضي الله عنه كان في غفلة أو ناسياً للنصوص المتعلقة بإمة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدّيق رضي الله عنه!

ثالثاً: ما احتج به المهاجرون رضي الله عنهم في أمر الخلافة:

لا يوجد أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهل مكانة الصدّيق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربه منه وانفراده مع النّبي صلى الله عليه وسلم في كثير من المواقف الفاصلة، مثل يوم الهجرة، وفي العريش يوم بدر، ويوم صلح الحديبية، وغير ذلك من أمور السياسة والتعامل مع القبائل الموالية والمعادية للإسلام، وشؤون الدعوة، واستقبال الوفود والتحاور معهم وما إلى ذلك، وفي كل تلك الشؤون كان أبو بكر الصديق هو الأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يرون ذلك ويعلمونه، إلا أنّ الذي أصاب المسلمين بوفاة النّبي صلى الله عليه وسلم كان امتحاناً عسيراً، لم يثبت أمام هوله إلا أولو العزم منهم، وكان أصعب ما في ذلك الامتحان هو إقرار وفاة النّبي

(١) صحيح مسلم: ح (٤٣٩٩).

صلى الله عليه وسلم وإعلانها على الملأ لكي يعود الناس إلى رشدهم، ومن ثم القيام بواجباتهم تجاه دعوتهم ودولتهم الناشئة، فكان العبء الأكبر في كل ذلك يقع على أبي بكر الصدّيق، وكان حاله أشبه برجل ركب مع قوم في سيارة فأصابهم حادث أليم، أغمي فيه على من كان فيها، وبقي هو في تمام الوعي، فكان الواجب يملي عليه أن يوقظ المُغمى عليهم، ليساعدوه في علاج المصابين، ومن ثم مواصلة السفر إلى ذات الهدف، وعلى ذات الطريق، وإتمام الرحلة بنجاح، وهذا مافعله أبو بكر الصدّيق حين أعلن عن وفاته صلى الله عليه وسلم بجرأة متناهية وثبات عظيم، وذكّر المسلمين بأنّ الله حي لا يموت، وأنّ عليهم القيام بمهامهم دون أي تردد.

وبعد أن استوعب المسلمون المصيبة بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع نفر من الأنصار في سقيفة بنى ساعدة، وذهب لهم الصديق وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم، وجرى هناك الحوار المعروف، ومما طرح هناك مقترح الحُباب بن المنذر وكان يقال له ذو الرأي: «منا أمير ومنكم أمير»، لكن رأيه لم يكن هو الصواب، فحين علم الأدلة على تقديم أبي بكر الصديق وذكر بحديث «الأئمة من قريش» سكت واتبع الدليل وترك الرأي، ولم يؤثر عنه موقف مخالف لإجماع الصحابة رضي الله عنهم بعد ذلك.

لقد رد الصديق على اقتراح الحباب بقوله: «وإنّه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران، فإنّه مهما يكن ذلك، يختلف أمرهم وأحكامهم، وتتفرق جماعتهم،

ويتنازعوا فيما بينهم، وهنالك تترك السنة، وتظهر البدعة، وتعظم الفتنة، وليس لأحد على ذلك صلاح»[١] وَقَال أيضاً:«بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم بِالهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ فَدَعَا رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَخَذَ اللهُّ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِينَا إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ وَكُنَّا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلاَمًا وَنَحْنُ عَشِيرَتُهُ وَأَقَارِبُهُ»[٢].

ثم استدل أبو بكر رضي الله عنه بأدلة أخرى من الكتاب والسنّة، وبين بأنّ الله تعالى قدّم المهاجرين على الأنصار فيما ذكرهم فيه من القرآن الكريم، وأنهم أول من عبدَ الله وآمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وامتناع قومهم عليهم وإيذائهم لهم. وقال لإخوانه الأنصار: «سماكم الله تعالى: (المفلحين) وسمانا (الصادقين) كما في سورة الحشر (الآية ٨، والآية،٩) ثم أمركم عزّ وجل بأن تكونوا معنا، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٣] وذكرهم بقوله صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش».

وكان أبو بكر رضي الله عنه يدلي بأدلته هذه مقرونة بالثناء على الأنصار والاعتراف بفضلهم في الإسلام، فقال: «يا معشر الأنصار إننا لا ننكر حقكم

(١) سنن النسائي الكبرى: ح (١٦٣٢٧). سنن البيهقي الكبرى: ح (١٦٩٩١).
(٢) سنن البيهقي الكبرى: ح (١٢٢٧٣).
(٣) سورة التوبة الآية (١١٩).

ولا ينكر حقكم مؤمن، وإنا والله ما أصبنا خيرا إلا شاركتمونا فيه»[١] وأبدى لهم عن مشاعر إخوانهم المهاجرين تجاههم ومكانة الأنصار عندهم، فقال: «فأنتم أحبّ النّاس إلينا وأكرمهم علينا، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة، وأنتم أنصار الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأنتم إخواننا في كتاب الله، وشركاؤنا في الدين»[٢].

وأكد رضي الله عنه على مكانة المهاجرين وسابقتهم وسرعة إجابتهم لداعي الإيمان، وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم أوسط العرب نسباً وأنه: «ليس من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة نسب، وأن العرب لا تقر إلى على رجل من قريش لأنهم أفصح الناس ألسنة، وأوسط العرب داراً، وأكثر الناس سجية في العرب»[٣] وهذا يصدقه الواقع الذي قام في الدولة الإسلامية، فكم حصل فيها من التنازع والتخاصم على أمر الخلافة؛ فلم يقم أحد من غير قريش يدعو لنفسه بالخلافة، وإنما يحصل الخلاف بين رجال من قريش، فتنقسم قبائل العرب إلى أقسام كل منها يدعو ويعمل لنصرة من يراه هو الأولى بالخلافة من رجال قريش، فيقاتل ويَقتل ويُقتل من أجل ذلك، وهذا ما حصل لمن وقف مع علي أو مع معاوية وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك، وغير هؤلاء مما يوضح ثقل قريش وأثرها الفاعل آنذاك،

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ٨/ ٥٧٣ .

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ٨/ ٥٧٣ .

(٣) الصنعاني، المصنف: ٥/ ٤٤٠؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ٨/ ٥٣٧ .

ويصور الواقع الذي كانت عليه الأمة كما هو في تشخيص الصدّيق الدقيق وقوله ﷺ: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء» الذي قبله الجميع ورضي به الأنصار وسلّموا له.

وما يجتره أعداء الصحابة حول حوار السقيفة، يؤكد أنّهم لا زالوا يبنون على الباطل، وينظرون إلى بيعة السقيفة المباركة من منظار أمانيهم الحاقدة، ومفترياتهم الفاسدة، فيقتطعون بعض النصوص، ويبترون أخرى، ويحرفون مقاصد الحوار بما يؤكد لكل عاقل أنّ أعداء الصحابة ينظرون إلى النجاح الذي حققه الصحابة يوم السقيفة بأنه من الأخطار التي تحدق بهم وتفسد عليهم مخططاتهم الرامية إلى تغذية موارد الفتن، وضمان استمرار ثقافة الشك والريبة بجيل القدوة، حماة التوحيد، وبناة وحدة الأمة، ومن هنا فهم لن يقلعوا عن الطعن في ولاء الأنصار وانتقاص تضحياتهم.

وعلى القارئ أن يحذر من دسائس المغرضين فيما يتناقلونه ويبثونه في كتبهم وإعلامهم وفضائياتهم عما حصل بين الصحابة من حوار وتشاور، واقتطاعهم لمواطن الخلاف والنزاع، التي تأتي في طيات الحوار، ثم تُحل بالاتفاق أو التجاوز، ويُنتهى منها وكأنها لم تكن، لكن أعداء الصحابة يطمسون مواطن اللقاء والاتفاق والأخوة والتراحم والتجاوز بين الصحابة، ويوظفون ما يبدر من البعض منهم في سياق الحوار، وكأنهم لا يريدون من الصحابة أن يتحاوروا ولا أن يتشاوروا، وإذا حصل بينهم مثل ذلك فإنّ أعداء الصحابة ببغيهم يُبدلون

كل محاسنه إلى قبائح فينشرونها ويعلمونها لأتباعهم، حتى لا يعلموا عن الصحابة الذين هم خير الناس بعد الأنبياء، إلا كل ما هو قبيح وخلاف وتنازع وشر، وهذا يفرض على كل مسلم إذا وجد رأياً طاعناً في الصحابة أن يضرب به عرض الحائط ويلقي به في سلة الإهمال، ولا ينظر إليه إلا على أنّه رأي عدو حاقد ماكر فاقد للإنصاف والموضوعيه، يجعل الخير شراً والأخوّة عداوة.

أما محاولة المخالفين الشغب بتنازل الصدّيق عن الخلافة مع معرفته بأنه الأحق بها بقوله: «فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة»، فالجواب أنه استحييا أن يزكي نفسه، ويكفي أبا بكر رضي الله عنه كونه من حدد الاختيار بين عمر وأبي عبيدة فلم ينكر عليه أحد، وإنما أراد الصدّيق بذوقه الرفيع وأدبه الجم أن يحسم الحوار وينهيه ليباشر المسلمون البيعة ثم ينصرفوا بعدها إلى مهامهم وواجباتهم الكبرى، وهذا ما تحقق وتم فعله، وهذا هو الذي جعل أعداء الصحابة يسبحون في الإفك والبهتان على يوم السقيفة وإمامها المبجل خليفة النّبي كَانَ يُقَال لَهُ ذُو الرَّأْي لكن رأيه يوم السقيفة المتمثل في قوله: (مِنَّا أَمِير وَمِنْكُمْ أَمِير) لم يكن هو الصواب، فرُدّ عليه بالحجة والدليل، وحين علم الأدلة في تقديم أبي بكر رضي الله عنه وحديث «الأئمة من قريش» سكت واتبع الدليل وترك الرأي، ولم يؤثر عنه موقف مخالف لإجماع الصحابة رضي الله عنهم بعد ذلك.

ومما قاله عمر رضي الله عنه يوم السقيفة: «يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يؤم بالناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر»[1].

وحين تبينت أحقية البيعة لأبي بكر بايعه الحاضرون ومنهم البشير بن سعد وأسيد بن حضير، ومعلوم أن البشير بن سعد خزرجي وأسيد بن حضير أوسي رضي الله عنهما، وهذا يبطل ما يزعمه البعض من انقسام بين الأوس والخزرج ويبطل إفكهم حول الخلاف بين الأنصار على أسس من القبلية، ويتأكد في هذا أن أعداء الصحابة هم الذين يصنعون عامة ما في التاريخ الإسلامي من أزمات سياسية وتكتلات قبلية، أو يضخمونها وينفخون فيها روح الأحقاد والكراهية، ولاسيما في العصر الراشدي، وذلك طعناً بأبهى مرحلة عاشتها أمة المسلمين من التعاون والتآخي والتناصر، والانقياد لتعاليم الكتاب والسنة.

وبقيت مناهج تقوم على التلبيس والتشكيك بمواقف الصحابة ومن ذلك ما فعله رضا مظفر في كتابه «السقيفة» المطبوع في قُم، حيث جعل إنكار عمر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله أن من يقول ذلك منافق، اتهام من عمر للصحابة بالنفاق، وهذا خلط عجيب فهذا الموقف صدر من عمر وهو في حالة الذهول، كما أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بينت لنا أن بعض المنافقين كان

(١) سنن النسائي: ح (٧٧٦) وذكر ابن حجر أنه حديث حسن قال: وأصله عند أحمد بسند جيد، وحسنه الترمذي وابن حبان في صحيحه، ينظر فتح الباري: شرح الحديث (٦٣٢٨) ابن عبد البر: التمهيد، ٢٢/ ١٢٨.

حاضراً في المسجد حين صدر ذلك من عمر، فقالت: «وَإِنَّ فِيهِمْ لَنِفَاقًا» أَيْ إِنَّ فِي بَعْض من سمع خطبة الفاروق مُنَافِقِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ عَرَّضَ بِهِمْ عُمَر فِي قَوْله الْمُتَقَدِّم[1].

فالنّبي صلى الله عليه وسلم منذ أن أمر صاحبه الصدّيق رضي الله عنه أنّ يصلي في النّاس في أيام مرضه الأخيرة، علم المسلمون مضمون هذه الرسالة وأيقنوا بها من خلال مشاهدتهم لشدة حرصه صلى الله عليه وسلم على أنّه لا يؤم المسلمين غيره، وأنّه لا شرعية لأحد يتقدم عليه، فكان الحوار لتوضيح مسألة خلافة أبي بكر الصديق لمن لا علم له بما يؤيدها من نصوص وإشارات قرآنية ونبوية.

فلما أبصر الأنصار المحاورون في مسالة الخلافة وجه الحق والصواب، لحقوا بالطاعة وأعطوا المقادة، بعد أن تذكر من كان ناسياً، وعلم من كان جاهلاً، ولا سيما بعد أن دعم المهاجرون حججهم بنصوص من الكتاب والسنة، فلا يستطيع أحد أن يقول إنّ أحداً منهم رد على أبي بكر!

وغني عن القول أنّه لم يشارك في الحوار يوم السقيفة سوى ثلاثة من المهاجرين، وهذا يؤكد أنّه لا معنى لأي قول يفسر ما حدث بغير الحوار والتشاور، أما من يصور حوار السقيفة على أنه نزاع، فإنه مفترٍ على الحقيقة، سالك لطريق الباطل، منتصر للنفاق والردة، لا يستطيع أن يذكر مشاركة أحد من المهاجرين في الحوار، غير الصدّيق والفاروق والأمين رضي الله عنهم وربما

(١) فتح الباري: ١٠/ ٤٧٣، شرح الحديث، (٣٣٩٤).

لحق بهم بعد ذلك بعض المهاجرين لينالوا شرف سبق البيعة، والاستجابة لما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقديم صاحبه أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه والتعاون معه وطاعته ومؤازرته، وهذا هو الذي حصل في بيعة السقيفة التي تجلت فيها أخلاق الشورى وقيم الحوار، بأسمى صورها وأجمل معانيها.

المبحث الثالث

بيعة سعد بن عبادة الأنصاري ﷺ

لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما

مكانة سعد بن عبادة رضي الله عنه:

سعد بن عبادة بن دليم الساعدي الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه كان سيّداً جواداً مُقدماً وجيهاً، له رياسة وسيادة يعترف بها قومه، وكان من الأنصار السابقين إلى الإسلام، وأحد النقباء يوم العقبة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (جزى الله الأنصار عنّا خيراً، ولا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة)[1] وذلك لما امتازا به في باب البذل والعطاء في سبيل نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرة المسلمين.

وحين مرض سعد بكاه النّبي صلى الله عليه وسلم، وبكاه أصحابه رضي الله عنهم، وهل يبكي النّبي صلى الله عليه وسلم إلا عزيزاً في دين الله تعالى؟ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ مع عبد الرحمن بن عوفٍ وسعدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ وعبدِ اللهِ بن مسعُودٍ، فَلَمَّا دخلَ عليهِ فوجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهلِهِ؛ فقال: («قَدْ قَضَى؟» قالوا: لا يا رَسُولَ اللهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَكَوْا)[2].

---

(١) صحيح الجامع: (٣٠٩١).

(٢) صحيح البخاري: (١٢٢١).

ولم تكن مواقف سعد والأنصار رضي الله عنهم مجهولة عند أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، ولا عند غيره من المهاجرين، وهذا ما أكده أبو بكر للأنصار في تقريراته أمامهم، في مثل قوله: ولقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو سلك النّاس وادياً، وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً؛ لسلكتُ وادي الأنصار أو شعب الأنصار)[1] فالأنصار كانوا يفتدون المسلمين بأموالهم وأرواحهم، يبتغون بذلك رضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهل ينتكسون بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وسلم؛ كما يتمنى ذلك أعداء الصحابة! ويشيعونه في كتاباتهم وفضائياتهم، ويغرون عوام الناس من أجل قبوله بأموالهم ومتعهم!؟

إنّ الأنصار وفي مقدمتهم سعد عاهدوا النّبي صلى الله عليه وسلم على النصرة بأنّ لهم الجنة، فلم تكن الدنيا بما فيها ضمن مقاصدهم في جهادهم وبذلهم؛ ولكن أعداء الصحابة قوم يفترون، ويروجون لثقافة الفتن، ونزع أمن الأمة، وتمزيق وحدتها، فحين يستهدفون السقيفة وبيعة سعد في إعلامهم وكتاباتهم وفضائياتهم؛ فإنهم بذلك يهاجمون الأساس الذي قامت عليه حضارة الإسلام وهوية المسلمين، فيطعنون برموز الأمّة، وينالون من ثوابتها، ويزيفون إنجازاتها! ويفترون على رواة دينها! كل ذلك يفعلونه لإبطال العقيدة، وإسقاط القيادة الراشدة، ومن يواليها ممن يسير على منهج الكتاب والسنة!

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٢).

ولما كان النّبي صلى الله عليه وسلم أعدّ أمته لمواجهة مثل هذه الغارات العقائدية، والغزوات الشعوبية؛ فإنه ترك أصحابه على المحجة البيضاء، لا يضرهم من رفض السنّة، ولا من ارتد عن الإسلام، إذ كانوا يقرأون الواقع ويستشرفون المستقبل بعيون النجباء النبلاء؛ الذين يتمسكون بإرشادات نبيهم صلى الله عليه وسلم وتعاليمه، في مثل قوله لسلمان الفارسي رضي الله عنه: «يَا سَلْمَانُ لا تَبْغَضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ!»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَبْغَضُكَ وَبِكَ هَدَانَا اللهُ؟ قَال صلى الله عليه وسلم: «تَبْغَضُ الْعَرَبَ فَتَبْغَضُنِي»[1] وقول النّبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَّ حَقَّكُمْ»[2] وكأن في هذا التصريح النبوي استقراء لما سيكون عليه الحال من التنازع والخلاف، فوجه النّبي صلى الله عليه وسلم أنصاره إلى الطاعة والصبر، والبعد عن الفتن وما يغذيها من أقوال أو أفعال، وكأن في ذلك أيضاً تنبيهاً إلى ما سيفعله أعداء الصحابة من الخروج على خلفائه الراشدين، والتدين بشتم أصحابه المكرمين، ولما سيكون عليه الشعوبيون من عداوة مطلقة لكل ما هو عربي يتمسك بهدي الكتاب والسنّة! كما فعل قوم سلمان بعد سلمان رضي الله عنه؛ حين جعلوا من الطعن في سعد وفي المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أركاناً ثابتةً في عقيدتهم، ومحاورَ متجذرة في ثقافتهم، متجاهلين في ذلك وجود النصوص الصحيحة التي تُبطل ما

(١) صحيح البخاري: (٤٠٧٨).
(٢) مسند أحمد: (٣٨٦٢).

يذهبون إليه، وتردّ ما يعملون على تأصيله وتسويقه عند الغوغاء والأغبياء وأهل الأهواء؛ بكل ما أُوتوا من مكر وباطنية وبغض للمسلمين!

بيعة سعد بن عبادة لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما

جاء في شروط بيعة العقبة التي أُخذت على الأنصار: السمع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وأن لا ينازعوا الأمر أهله، وما تلقاه سعد وإخوانه الأنصار من توجيهات وتحذيرات نبوية؛ فضلاً عن دعوتهم إلى الصبر والطاعة، والتطلع دائماً إلى الثبات على ما كانوا عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم للحاق به على الحوض الذي لا يصله إلا من من تمسك بهذه القيم النبيلة، والمعاني السامية، والأهداف العليا؛ فكان سعد والأنصار من أبعد النّاس عن مواطن الخلاف والمشاحنة، وما حصل من حوار حول بعض المسائل؛ فهذا لا يعني أنه قد حُرّم عليهم الكلام والمشاورة، وإبداء الرأي والنقد والنصح، وما إلى ذلك، ثم رجوعهم إلى الصواب والسداد، وتمسكهم بالحق أينما ظهر لهم، وهذا ما اتضح حين تكلم الصدّيق ا في السقيفة، وخاطب الأنصار وبين لهم مكانتهم في قلوب المهاجرين؛ ثم ذَكّر سعد بن عُبادة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يقبل من سامعه المؤمن إلا التسليم له، والامتثال لما يرمي إليه في مسألة الخلافة؛ فقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: ولقد علمت يا سعد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر، فبرّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم» قال سعد: صدقت نحن الوزراء،

وأنتم الأمراء، فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد[١] فهذا النص الصحيح ينسف شبهات المغرضين، وأماني المبطلين؛ الذين لا همّ لهم سوى الطعن على جيل القدوة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، والنفخ الدائم في نار الفتنة استجابة لما في نفوسهم من أحقاد لا يطفئها مرّ الأزمان والقرون على هذا الدين وأهله.

وفي البخاري عن الزهري عن أنس بن مالك، عن بيعة أبي بكر الصدّيق قال: **(فبايعه الناس عامة)**[٢] ولم يستثن في ذلك سعد بن عبادة ولا غيره، وبهذه الروايات وغيرها من المواقف يتضح أن سعد بن عبادة رضي الله عنه بايع خليفة رسول الله، وبموقفه هذا يثبت الإجماع على البيعة، وتسقط حجج أعداء الصحابة ودعاة الفتنة بزعمهم أن سعداً تأخر عن البيعة أو خالف الإجماع.

ولا يستطيع باحث أن يأتي برواية صحيحة يثبت فيها أن سعد بن عبادة ا بدر منه ما ينقض طاعته وتمسكه بالجماعة، أو ما ينكر عليه في خلافة أبي بكر الصدّيق، على الرغم من كثرة ما يُروى في هذا الباب من روايات مغرضة، وأقوال لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

وما يُذكر بشأن تخلف سعد بن عبادة عن البيعة، واعتزاله الصحابة وجماعة المسلمين بعد ذلك، حتى أنه كان لا يصلي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم في الحج، وإصراره على المنازعة والخلاف، وما ينسب له من قول: (لا أبايعكم حتى

(١) مسند أحمد: (١٨)، «السلسلة الصحيحية» (١١٥٦).

(٢) صحيح البخاري، باب الاستخلاف، (٦٦٧٩).

أرميكم بما في كنانتي، وأخضب سنان رمحي، وأضرب بسيفي! فكان لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع بجماعتهم، ولا يقضي بقضائهم ولا يفيض بإفاضتهم)[1] فهذه رواها أبو مخنف لوط بن يحيى الإخباري التالف؛ المحترق الكذاب، وهذا باطل عقلاً ونقلاً، ولا يتماشى مع سيرة سعد بن عبادة، ولا مع سالف أياديه البيضاء على المسلمين.

ومن الأباطيل والتلبيسات على المسلمين: زعمهم أن سعد بن عبادة توفي في الشام مسموماً، للغمز واللمز بخلفاء المسلمين وأخوّتهم، ومما لا يصح في وفاته -أيضاً- قولهم: (إن سعد بن عبادة بال في جُحر بالشام، ثم استلقى ميتاً)[2] والشبهات التي أشيعت على وفاة كثير من أخيار هذه الأمة متفشية في كثير من المصادر، وهم يفعلون ذلك من أجل التشويه، ونشر أسباب الفتنة، وتغذية الأحقاد بين المسلمين.

(١) الطبري، تاريخ: (٢/ ٢٤٤).

(٢) إرواء الغليل: (٥٦).

الفصل الثالث

دور الأنصار السياسي والإداري في العصر الراشدي

لا يقل أثر الأنصار في العصر الرشدي عن أثرهم في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ساروا على الطريق التي كانوا عليها من الجهاد والعطاء والتضحية والإيثار ينصرون فيها الإسلام ويعاضدون الخلفاء فقد كان دورهم بارزا في الميادين السياسية والعسكرية والدعوية، والمتابع لذلك يجد الكثير من الأدلة على جليل إنجازاتهم وكريم فعالهم وقد استعان بهم الخلفاء الراشدون في قيادة الجيوش وفي السفارات وفي محاسبة الولاة ومن الممكن تقديم مقتطفات وشواهد عن تلك النشاطات وما ترتب عليها من ثمار أسهمت في إنجازات الخلافة الراشدة ونشر روح الإسلام وأخلاقياته بين الناس الذين شكلوا جيوش الفاتحين فنشروا التوحيد والعدل والأمن والرحمة في ربوع العالمين.

وإذا اتضح دورهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم السقيفة وبيعتهم لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فإنّ مواقفهم من بيعة عمر الفاروق رضي الله عنه كانت سابقة لذلك من خلال المشاورات التي عقدها خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق حين كان يستشير وجهاء المسلمين وأعلامهم في مسألة استخلاف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وفي خلافة عمر كان التوافق في المنهج بينه وبين الأنصار تاما، فقد كانت سياسة عمر معلومة للجميع فهو لا يبعث

واليا إلا وهو على علم بما يراد منه وبحدود صلاحياته[١] فكان إذا استعمل أميرا كتب له عهدا وأشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار ومما يشترط على الولاة: ألا يتخذ بابا دون حاجات المسلمين وألا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ولا يركب برذونا[٢] ولم يكتف عمر بذلك بل كان يتابع الوالي حتى يراه عمل بما أمر به أم لا[٣].

وكان الأنصار يشاركون الخليفة هذه السياسة ويرون أنها تشمل الولاة والخلفاء وهذا كان يَسرّ عمر رضي الله عنه ويبعث الثقة في نفسه؛ فقد جلس يوماً وحوله المهاجرون والأنصار فقال مختبراً لهم: (أرأيتم لو ترخص في بعض الأمر، ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا، فعاد مرتين أو ثلاثاً، فقال بشير بن سعد الحارثي الخزرجي: لو فعلت قوَّمناك تقويم القدح. قال عمر: أنتم إذاً أنتم)[٤] .

ومما أكد به عثمان بن حنيف تمسكه بطاعة الخليفة عمر، وتساميه عن حظوظ نفسه، ما روي أنهما تناجيا في المسجد طويلاً، حتى غضب الخليفة عمر من عثمان بن حنيف فحصَبَه بقبضة من حصى المسجد فشجه بعضاً من شجاج، فأسف

(١) ينظر: القرشي، غالب عبد الكافي: أوليات الفاروق السياسية، ط١، المنصورة، دار الوفاء (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) (٤٧)

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص(٣٠٧). الطبري: تاريخ(٤/ ٢٠٨). البِرْذَوْن: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال من الفصيلة الخيلية، عظيم الخِلْقة، غليظ الأعظاء، قوي الأرجل، عظيم الحوافر. والجمع: بِراذين .

(٣) ينظر: الطنطاوي: أخبار عمر، ص(١٣٠) فما بعدها.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): التاريخ الكبير، ضبط: محمد أزهر، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م). (٢/ ٩٨) .

عمر لما بدر منه، فقال عثمان: « يا أمير المؤمنين لا يهولنّك الذي أصبت منّي)[1] فزاده هذا الخُلق عند الخليفة خيراً، لِما رأى من حُسن تصرفه إذ جمع بين جميل الطاعة، وحُسن العفو، وإهدار حظ الذات.

ومما يَصَبُّ في منهج التوافق بين سياسة الخليفة عمر وبين عماله من الأنصار ما كان يقوم به أبو الدرداء عويمر بن عامر الأنصاري رضي الله عنه، من توجيه وإرشاد لأهل دمشق وذلك لّما استُعمل على قضاء دمشق، فكان يحثهم على الزهد والتقشف ويضرب لهم الأمثال فيمن سبقهم من الأمم وما آلوا إليه، فقد خطبهم يوماً فقال: (يا أهل دمشق ... ما بالكم تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون؟! ألا وإنّ عاداً وثموداً، وقد كانوا ملئوا ما بين بصرى وعدن أموالاً وأولاداً ونَعماً، فمن يشتري منّي ما تركوه بدرهمين؟!)[2] وكانت مثل هذه التعاليم والتوجيهات، تتوافق مع سياسة الخلافة الرامية إلى تهيئة الأمّة، وإدامة جاهزيتها الجهادية، ومما يؤكد ذلك أنّ الخلافة كانت ترصد سياسة ولاتها، في هذا الشأن، وتنبههم إلى أنّه لا يجوز أن يصدر عنهم أي انحراف لا يتوافق مع السياسة العامة للخلافة، فلمّا بلغ الخليفة عمر أنّ أبا الدرداء بنى ما يزيد قليلاً عن حاجته في بيته وهو في دمشق كتب إليه عمر

(١) الطبري: تاريخ (٣/ ٥٨٨) .

(٢) الكلاعي: سليمان بن موسى الأندلسي، (ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م): الاكتفاء من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد كمال الدين علي، ط١، بيروت، عالم الكتب، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) . (٢/ ٤٤٢) .

مستنكراً: «يا عويمر ابن أم عويمر، أما كان لك في بنيان فارس والروم ما يكفيك حتى تبني البنيانات؟! وإنما أنتم يا أصحاب محمد قدوة)[1] .

- **استعانة عمر ببعض الأنصار في تنفيذ سياسته:**

ومن الأنصار الذين أثبتوا توافقاً تاما مع سياسة الخليفة عمر رضي الله عنه وشاركوا في تنفيذها، عبادة بن الصامت الأنصاري، الذي استعان به عمر لإثبات سياسته، فولاه حمصاً حين وجد على واليه عليها، عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي، بعد أن عمل فيها عاماً واحداً، ويبدو أنّه لم ينجح في تنفيذ توجيهات الخلافة تماماً في حمص، فأراد عمر أن يُري أهل حمص منهجه السياسي والإداري والتربوي بشكل عملي متمثلاً بشخص عبادة بن الصامت الأنصاري، الذي تجلى منهجه في عمله وسيرته، لحملهم على حياة الزهد والخشونة فقال: «ألا إن الدنيا عَرَضٌ حاضر .. وإن الآخرة وعد صادق .. ألا وإن للدنيا بنين وإن للآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها بنوها»[2].

محمد بن مسلمة الحارثي الأنصاري مبعوث الخليفة لمحاسبة الولاة:

كان محمد بن مسلمة الأنصاري على منهج الخليفة عمر في الزهد وحب العمل في خدمة المسلمين، وكان الخليفة يعرف فيه هذه الخصال، فيستعين به للوقوف على حقائق أداء الولاة لأعمالهم، ومحاسبة المقصرين منهم، وكان من

(١) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٣١١). الكاندهلوي: حياة الصحابة، (٢/ ٤٦٣) .
(٢) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٣١٠) .

أشكال تلك المحاسبة، مقاسمة الولاة شطر أموالهم فكان الناس يبلغون الخليفة عن سير ولاتهم، وقد نظم أحدهم[١] قصيدة شرح فيها بعض نشاطات عمال الأهواز وحرّض الخليفة على محاسبتهم فقال:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فأنت ولي الله في المال والأمر
نبيع إذا باعوا ونغزوا إذا غزوا فأنى لهم مال ولسنا بذي وفر
فقاسمهم نفسي فداؤك إنهم سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر

فقاسم عمر من ورد ذكرهم في القصيدة، وهم اثنا عشر عاملاً[٢] وقد سبق القول عن شروط عمر على ولاته، ومنها أنه « يكتب أموال عماله إذا ولاّهم، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم)[٣].

وكان محمد بن مسلمة هو المُنفذ لعمليات المحاسبة ولا سيما مع كبار الولاة

محاسبة والي مصر: علم الخليفة أن عمرو بن العاص امتلك أكثر مما كان له قبل ولايته على مصر، فكتب إليه: (أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان، لم يكن حين وليت مصر)[٤] فكتب إليه عمرو يعتذر ويسوغ أسباب ذلك، بأن أرضهم تنشط فيها الزراعة والتجارة، وأنهم يصيبون فضلاً عمّا

(١) ينظر: ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله القرشي (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م): فتوح مصر وأخبارها، ليدن، مطبعة بريل، (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) . ص(١٤٧) وقال: هو خالد الصعق، وقيل: هو أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد الصعق. ينظر: البلاذري: فتح البلدان، ص(٥٤١) .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ٥٤١ . (وليس في العمال الذين تمت محاسبتهم أحد من الأنصار) .
(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص(٣٠٧) .

يحتاجونه لنفقتهم. لكن الخليفة لم يقبل تسويغ عامله، فأرسل إليه رسول العمال ومعه كتاب فيه: (كتابك إليّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق، وقد سئتّ بك ظنّاً، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة، ليقاسمك مالك، فأطلعه طلعة وأخرج إليه ما يطالبك وأعفه من الغلظة عليك فإنه برح الخفاء)[١] فلما قدم محمد بن مسلمة إلى عمرو، استقبله وأعد له هدية، لكن محمداً رفض الهدية ولم يتأخر عما جاء له، فغضب عمرو وقال: (يا محمد لمَ رددت إلي هديتي، وقد أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمي من غزوة ذات السلاسل فقبل؟! فقال له محمد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل بالوحي ما شاء ويمتنع مما يشاء، ولو كانت هدية الأخ إلى أخيه قبلتها، ولكنها هدية إمام خلفها شر)[٢] .

وقد ثقل على عمرو رضي الله عنه اعتذار محمد بن مسلمة رضي الله عنه ورفضه لهديته وضجر من شدة أخذه للأمور فقال: (قبح الله يوماً صرت فيه لعمر بن الخطاب والياً، فقال له محمد ابن مسلمة: لولا اليوم الذي أصبحت تذم، لألفيت معتقلاً عنزاً، يسرك غزرها، ويسوءك بكؤها. فقال عمرو: هي فلتة المغضب، وهي عندك بأمانة، ثم أحضر ماله فقاسمه إياه ثم رجع)[٣] وقال عمرو: (أنشدك الله أن تخبر عمر بقولي فإن المجالس بالأمانة، فقال: لا أذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حي)[٤] .

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص(٣٠٧) .

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص(٥٤٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص(٣٠٧) .

(٣) المصدر السابق.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص(٣٠٨) .

فهذه النصوص تظهر مدى حرص محمد بن مسلمة الأنصاري على تنفيذ سياسة الخلافة دون أي تفريط، ولم تفلح لباقة والي مصر ومحاولته استمالة رسول العمال لاعتذار إليه، ولم يسعه سوى الاستجابة التامة لهذه المحاسبة التي تهدف إلى حفظ حقوق الرعية تامة، وإلى حفظ نزاهة العمال وتنقية أموالهم من شبهة قد تعكر صفو العدل، الذي كان يعمل به عمر بادئاً بنفسه وأهله قم الأقرب فالأقرب فاقتدى به ولاته على الأمصار، فحاكوا زهده وعدله، وحققوا بذلك الأمن والاستقرار فاتسعت الفتوح وازدهرت الحياة في كل مجالاتها، وكان محمد بن مسلمة الأنصاري من خير أعوان عمر على تنفيذ سياسته .

محاسبة والي الكوفة: وممن حاسبه محمد بن مسلمة من العمال، والي الكوفة سعد بن أبي وقاص، وذلك في ظروف حرجة، إذ كان سعد يستعد لمواجهة الفرس المحتشدين في نهاوند، فثار عليه بعض أعراب الكوفة[1]، يشكونه إلى الخليفة عمر. ومع عدم قناعة الخليفة بشكواهم أبى عليه ورعه إلا إجابتهم فقال: « إن الدليل على ما عندكم من الشر، نهوضكم في مثل هذه الحال، وهو يستعد لقتال أعداء الله، ومع هذا لا يمنعني أن أنظر في أمركم»[2] .وكانت شكواهم على سعد رضي الله عنه أنّه اتخذ باباً لقصر الإمارة، فبعث الخليفة محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، وقال له: «اعمد إلى القصر- حتى تحرق

(١) ينظر: الطبري: تاريخ (٤/ ١٢١) . ابن كثير: الداية والنهاية، (٤/ ٨) .
(٢) المصدر السابق.

بابه»[١] فخرج حتى قدم الكوفة، فاشترى حطباً، ثم أتى به القصر، فأحرق الباب فخرج إليه سعد فأراده على الدخول والنزول فأبى، وعرض عليه نفقة فلم يأخذ. وبذلك أنهى محمد المرحلة الأولى من مهمته.

أما المرحلة الثانية: فهي أن يطوف بالوالي على أهل الكوفة: (لا يتعرض للمسألة عنه في السر، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك)[٢] فكان محمد يقف بأمير الكوفة سعد بن أبي وقاص في مساجدها، فيسألهم عنه، فيثنون خيراً إلا ما كان ممن شكاه إلى عمر[٣] . وبعد أن أنهى محمد هذه المرحلة من مهمته في الكوفة عاد إلى المدينة، دون أن يتزود بشيء يعينه في طريقه، حتى إذا دنا منها فني زاده، فتبلغ بلحاء الشجر، حتى قدم على الخليفة فأخبره خبره كله، فقال له: هلاَّ قبلت من سعد؟ ـ أي ما عرضه عليه من مساعده ـ فقال: لو أردت ذلك كتبت لي به[٤] ثم أخبره خبر سعد فصدّق سعداً[٥].

وبهذه المهمة يكون محمد بن مسلمة تصدى لمعالجة حالتين في ولايات مهمة وهما الكوفة ومصر، وتمكن من أداء ما أوكل إليه على نحو تام، ظهر فيها توافقه مع سياسة الخليفة وتوجهاته، من خلال إصراره على التمسك بتعليماته دون أي تجاوز، وممن حاسبه محمد بن مسلمة، عياض بن غنم، إذ تجاوز في شرطين من

(١) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٧) .
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٢١) .
(٣) المصدر السابق.
(٤) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٧) .
(٥) المصدر السابق .

شروط عمر رضي الله عنه على عماله، فبينما عمر يمشي في بعض طرق المدينة «ناداه رجل: يا عمر، أترى هذه الشروط تنجيك من الله تعالى وعاملك عياض بن غنم... قد لبس الرقيق، واتخذ الحاجب؟»[1] فدعا رسوله إلى العمال فبعثه إليه وقال: ائتني به على الحال التي تجه عليها . «فأتاه فوجد على بابه حاجباً، فدخل فإذا عليه قميص رقيق. قال: أجب أمير المؤمنين فقال: دعني أطرح علي قبائي: فقال: لا إلا على حالك هذه . قال: فقدم به عليه»[2] فلما رآه الخليفة نزع عنه ثيابه الرقيقة وألبسه ثياب الرعاة، ودعا له بغنم وعصاً، وأراد أن يجعله راعياً، وقال له: إنما سمي أبوك غنماً؛ لأنه يرعى الغنم. فاعتذر عياض وعزم ألاَّ يعود، فأعاده الخليفة إلى عمله (فلم يكن له عامل يشبهه)[3].

وبذلك يُثبت محمد بن مسلمة مرة أخرى أنه يسلك منهجاً واحداً في جميع سفاراته إلى العمال الذين حاسبهم، فهو متمسك بتوجيهات الخليفة مكتفياً بما يقسم له من مئونة الطريق، لا يستعين بأموال الولاة، ولا ينزل منازلهم، ولا يأكل طعامهم حتى ولو نفد زاده، ولا يقبل هداياهم مهما قدموا له من مسوغات، يأخذ الولاة بما يجدهم عليه ويسأل عنهم رعيتهم، ويؤدي ما يوكل إليه وما يراه ويسمعه بأمانة تامة، وبذلك مثّل محمد بن مسلمة موقع المفتش العام في دولة

(١) ينظر: أبو يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م) : الخراج، ط١، بيروت، دار المعرفة، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م). ص (١١٦) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر نفسه.

الخلافة الراشدة في عصر عمر، فكان نعم العون له والمثل الحسن لاذي يجعل من نفسه قدوة للولاة، بزهده وتقشفه وأمانته ودقته.

ولاية عمير بن سعد الأنصاري ﷺ على حمص:

ولّى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري على بلاد الجزيرة واستمر في عمله حتى قتل عمر[١]، وكان عمير بزهده وصبره ونباهته يثير إعجاب عمر فيثني عليه ويصفه بأنه [نسيج وحده]، ويكلفه بقيادة الجيوش وولاية الأقاليم، فقاد مرّة جيشاً على قور بلاد الشام، فكان مما أحرجه أن هناك مدينة تقيم علاقات مع المسلمين وتخضع للروم فيكثر فيها الجواسيس الذين يرصدون حركات جيوش المسلمين، فشكا عمير ذلك إلى الخليفة فقال: « يا أمير المؤمنين إن بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها عرب السوس[٢] تطلع عدونا على عوراتنا» فأمره عمر أن يطلب منهم التحول عنها وأن يعطيعم مكان كل شيء من أملاكهم شيئين، فإن أبوا يرد إليهم صلحهم ويؤجلهم سنة ثم يحاربهم. فطلب عمير من الخليفة أن يكتب له كتاباً بذلك ففعل، فعرض عمير على الروم التحول فأبوا عليه فأجلهم سنة ثم نابذهم وانتصر عليهم وخرّب عرب السوس، فقيل للخليفة: إن عميراً خرّب عرب السوس وفعل وفعل، حتى تغيظ عليه عمر، فلما قدم إلى المدينة لامه الخليفة على

(١) الصنعاني: المصنف، (٥/ ٤٥٦).

(٢) عرب السوس: بلد من نواحي الثغور قرب المصيصة، ينظر: ياقوت: معجم البلدان، (٤/ ٩٦).

فعله وعلاه بالدرة، فلما كان ذلك بمرأى من الناس سكت عمير حتى ذهب الخليفة إلى بيته، فاستأذن عليه عمير وأقرأه عهده، فقال عمر: غفر الله لك[١] .

ويستنتج من هذا، محافظة عمير على التعليمات بسرية تامة، حتى ظنّ بعض من أخبر عمر أنّ ما قام به كان بلا تنسيق مع الخليفة، ويبدو أن قدوم عمير إلى المدينة طال حتى نسي عمر ما كتبه له فلامه على ذلك، وسكوت عمير على لوم عمر يدل على لياقة سياسية وأدب يضاف إليه ما اتصف به عمير من أمانة وقدرة على التحمل مع شديد التمسك بتعاليم الإسلام، مما كان يزيد إعجاب الخليفة به.

ومن المهام التي أداها عمير بن سعد بنزاهة تامة وزهد شديد، ولايته على حمص، فقد بعث الخليفة عمير بن سعد والياً على حمص، فمكث فيها حولاً لا يأتي الخليفة خبره فكتب إليه أن أقبل بما جبيت من الفيء، وكان من زهد عمير أنه لا يملك راحلة ولا مالاً فقدم إلى المدينة راجلاً، فلما رآه الخليفة أشفق عليه وقال له: ما شأنك؟ جئت تمشي؟ قال: نعم. قال: أما كان أحد يتبرع لك بدابة؟ قال: ما فعلوا ولا سألتهم. قال عمر: ما صنعت بولايتك؟ فقال: الذي جبيته وضعته مواضعه، ولو نالك منه شيء لأتيتك به، فأراد الخليفة أن يجدد عهده فأبى عليه[٢] .

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٩) .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، (٣/ ٢١٤) . وصفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، ط٤، بيروت، دار المعرفة (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) . الذهبي: سير أعلام النبلاء، (٢/ ٥٦٠) .

وذهب إلى بيته وتفرغ للعبادة، فلم يلبث أن توفي، فبلغ عمر ذلك، فترحم عليه وخرج يمشي ومعه أصحابه، حتى جاء إلى بقيع الغرقد حيث دفن عمير بن سعد فجلس عمر وأصحابه يجاذبون أطراف الحديث، فقال الخليفة: ليتمنى كل منكم أمنية. فتمنى كل منهم أمنية في الجهاد أو في الصدقة وأفعال الخير. فقال عمر: أما أمنيتي وددت أن لي جلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين[1] .

ومن هذا المثال العملي في نزاهة إدارة عمير وزهده في كل مظاهر الإمارة وحقوقها، يظهر المنهج الذي يتمسك به ولاة الأنصار في أدائهم للمهام التي توكل إليهم، واجتهاد كل منهم أن يجعل ما يوكل إليه من عمل سياسي أو إداري أو غيره سُلماً يصل به إلى أنبل ما يمكن أن يتوصل إليه عامل من عمال دولة الخلافة . ولهذا فإن عمر يتمنى لو أن لديه عمالاً يسيرون سيرة عمير بن سعد الأنصاري.

وهنا قد يُثار تساؤل أن في الأنصار كثيراً من أمثال عمير، فلماذا لا يستعين بهم الخليفة في أعماله؟ فيكون من الإجابة أن كثيراً من الأنصار يتمسكون بمنهج من الزهد والخشونة، والترفع عن الدنيا، قلّ من يستطيع اتباعه من الناس، وإذا صح هذا في حياة الفرد قد لا يصح في حياة المجتمع، ولا يطيقه جميع أبنائه، وهذا

(١) ابن الجوزي: المنتظم، (٣/ ٥٦٠). وصفة الصفوة، (١/ ٦٩٩) .الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٠). ولكن في هذه القصة نظر، إذ إن عمير بن سعد أدرك خلافة عثمان، أي أن عمر توفي قبله. ينظر: الطبري: تاريخ (٤/ ٢٤١) .

ما يصدق على الأنصار في الجانب العسكري أيضاً، حتى إن عمر رضي الله عنه أوصى قادته ألاّ يولوا البراء بن مالك الأنصاري قيادة الجيوش لشدة إقدامه كما اتضح ذلك في الفصل العسكري، وما يصدق على عمير والبراء يصدق على كثير من الأنصار، فيما قد يسوغ إحجام الخلفاء عن تولية كثير منهم أموراً قيادية، مع شديد تمسكهم بحضورهم لكل مشاهد المسلمين، لكي يقتدى بهم، ويتعلم الناس من سيرهم وكبير استعدادهم للتضحية.

الأنصار والشورى في خلافة عمر ﷺ

كان الخليفة عمر كثيراً ما يستشير الأنصار، وكان من مستشاريه منهم؛ معاذ بن جبل السلمي، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت النجاريان[1].

ولما أبى الخليفة عمر أن يقسم أرض السواد، قيل له: استشر. (فاستشار المهاجرين الأولين فاختلفوا ... فأرسل إلى عشرة من الأنصار: خمسة من الأوس، وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم ... وقال: إنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، ... وقد رأيت أن أحبس الأراضي بعلوجها، وأضع عليهم فيها الخراج فتكون فيئاً للمسلمين، المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم .. فقالوا جميعاً: الرأي ما رأيت، فنعم ما قلت وما رأيت، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم»[2].

(١) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٧) و (٤/ ١٢٠) . ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ١٠٨) .
(٢) أبو يوسف: الخراج، ص٢٥ .

وبهذه المشورة حسم الخليفة موقفه، وأوقف توزيع أراضي السواد، ثم طلب مشورة الأنصار رضي الله عنهم فيمن: « له جزالة وعقل، يضع الأرض مواضعها، ويضع على العلوج ما يحتملون، فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف، وقالوا: تبعثه إلى أهم من ذلك فإن له بصراً وعقلاً وتجربةً . فأسرع إليه عمر فولاه مساحة أرض السواد»[١] .

ويظهر من إجماع الأنصار هذا، تقديرهم الصحيح للمصلحة العامة وتوافقهم مع الخليفة في ذلك كما تظهر معرفته بشئون الأرض والزراعة والمساحة، وبناءً على هذه المعرفة بشئون الأرض، بعث الخليفة عثمانن بن حنيف الأنصاري وحذيفة بن اليمان الأنصاري على مساحة أراضي السواد وجباية الخراج، فكان عثمان على الفرات وما سقى، وحذيفة على جلة وما سقى[٢] .

فمسح عثمان السواد ووضع عليه ما رآه من مستحقات[٣] ، وقدّر ضريبة الرءوس على أهل ولايته، وأعفى من ذلك النساء والصبيان، وقدر الضريبة على تجاراتهم ثم كتب بذلك إلى عمر فأجاز ذلك ورضي به[٤]، وأجرى الخليفة على

(١) المصدر السابق. ص (٢٦) .

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص (٣٧). البلاذري: فتوح البلدان، ص (٣٧٦). الطبري: تاريخ(٤/ ١٣٩) . الخطيب: تاريخ بغداد، (١/ ٤٠). وينظر: ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) .

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص (٣٦).

(٤) اليعقوبي: تاريخ (٢/ ٤٣). ابن كثير:مسند الفاروق(٢/ ٤٩٩). ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد، (١/ ٤٠) .

عثمان بن حنيف مرتباً من (خمسة دراهم كل يوم، وجراباً من دقيق)[١] وفعل حذيفة مثل ذلك، فلما التقى بهما عمر قال: لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون، فقال حذيفة : لقد تركت فضلاً. وقال عثمان: لقد تركت الضعف ولو شئت لأخذته[٢] .

فأقرهما الخليفة عمر، فصار ما قاما به من مساحة، وتقدير لما يتوجب على أهل السواد من جباية مرجعاً لمن جاء من بعدهم، فكان عمر يأخذ برأي الأنصار في شئون الأرض ويقدمهم على سواهم في ذلك، فلما قدم عمر الجابية أراد قسمة الأرض بين المسلمين، فأشار عليه معاذ بن جبل الأنصاري فقال: «لئن قسمتها ليكونن ما تكره ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم، ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد، ثم يأتي من بعدهم ثم يسدون عن الإسلام مسداً فلا يجدون شيئاً، فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم فصار إلى قول معاذ»[٣] .

ولما طعن عمر دعي له طبيب من بني الحارث بن كعب من الأنصار« فسقاه نبيذاً فخرج النبيذ مشكلاً قال: فاسقوه لبناً فخرج اللبن محضاً فقال: أوصِ يا أمير المؤمنين فإنك ميت. فقال عمر: صدقني أخا الأنصار عن نفسي»[٤] فكان يثق

(١) ابن كثير: مسند الفاروق، (٢/ ٤٩٩) .

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص (٣٧). اليعقوبي: تاريخ (٢/ ٤٣). الذهبي: سير أعلام النبلاء، (٢/ ٣٢٠) .

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص(٢٠٧). ابن رجب: الاستخراج لأحكام الخراج، ص(٩) .

(٤) الطبري: تاريخ (٤/ ١٩٣). ابن أعثم: الفتوح، (٢/ ٨٩). ابن عساكر: تاريخ دمشق (٤٤/ ٤١٤) .

بنصحهم ومشورتهم، فجمع المهاجرين والأنصار وقال: إني قد جعلت أمرم شورى إلى ستة نفر من المهاجرين الأولين، ليختاروا أحدهم لإمامتكم وسماهم[١] . ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخزرجي الأنصاري: « اختر خمسين رجلاً لأنفسهم وللأمة أحدهم، ولا يتأخرون عن أمرهم فوق ثلاث»[٢] فاجتمع أهل الشورى وجعلوا أمرهم إلى عبد الرحمن بن عوف، فلزم أبو طلحة الأنصاري بابه حتى بايع عثمان بن عفان بالخلافة[٣] وفي ثقة الخليفة عمر بالأنصار في مثل هذه الأمور البالغة الخطورة، ما يؤكد أهمية دور الأنصار، وإخلاصهم لأمتهم ولدينهم، فأصبحوا يؤتمنون على سلامة سير انتقال الخلافة، فيؤدون ذلك على أحسن وجه وأتمه.

ومن إسهامات الأنصار الأخرى، ومكانتهم عند عمر:

أسهم الأنصار في إدارة الدولة في خلافة عمر، من خلال استعانته بهم في المساحة والجباية والمحاسبة والإدارة، فمن عماله: عمير بن سعد الأنصاري، ولاَّه الخليفة بلاد الجزيرة فبنى المساحد بديار مضر وديار ربيعة[٤] وسبق الحديث عن

(١) ينظر: الطبري: تاريخ (٤/ ٢٢٨). وقال: (قال عمر: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله) .

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٥) . البلاذري: أنساب الأشراف، (٦/ ١٢٣) . الطبري: تاريخ (٤/ ١٩٢) .

(٣) ابن عساكر: تاريخ (٤٤/ ٤١٧) . الأشعري، محمد بن يحيى الأندلسي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م): التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق: محمد يوسف، ط١، بيروت دار الثقافة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) . ص (١٠) .

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص (٢٤٥) . ابن عساكر: تاريخ دمشق (٤٤/ ٤١٥) .

ولايته في حمص. وولى أبا الدرداء قضاء دمشق والأردن وصلاتهما، وولى عبادة ابن الصامت الأنصاري قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما[١] .

وكان أبو جبيرة بن الضحاك الأنصاري، كابت ديوان الكفوفة[٢]. وسعد بن عمرو بن حرام الأنصاري، على صندوداء من الأنبار، وكان بها قوم من عندة وإياد والعجم[٣] . وكان معاذ بن جبل على الأردن من قبل أبي عبيدة بن لاجراح، وعمل عبادة بن الصامت والياً على حمص لأبي عبيدة أيضاً. وعمل حذيفة بن اليمان والياً على أذربيجان ثم على المدائن، وبلال الأنصاري على عمان[٤] وكان زيد بن ثابت الأنصاري كاتباً وقاضياً، وكان الخليفة يوليه على المدينة إذا خرج إلى الحج، وولاه عليها لما خرج إلى الشام[٥] وكان أنس بن مالك من عمال الصدقة في خلافة أبي بكر، وكان على البحرين فلما توفي أبو بكر، قدم أنس إلى المدينة ومعه ما جباه من الصدقة، فأكرمه الخليفة عمر إكراماً[٦] يؤكد ما للأنصار من مكانة في نفسه، فقد كان دائم التفقد لهم عظيم البر بهم، ومما يظهر ذلك أنه (قسم مروطاً بين نساء من نساء أهل المدينة فبقي منها مرط جيد فقال له بعض من عنده : يا

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص (١٩٢) .

(٢) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص(١٥٢) . ابن حبيش، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٤م): الغزوات الضامنة الكاملة، والفتوح الجامعة، الكائنة في أيام الخلفاء الأول الثلاثة، تحقيق: سهيل زكار، ط١، بيروت، دار الفكر، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) . (١/ ١٨٤) .

(٣) أبو يوسف: الخراج ص(١٤٦) .البلاذري: فتوح البلدان ص(١٥٢) .

(٤) ينظر: العمري: الخلافة الراشدة، ص (١٣٢) .

(٥) م. ن . ص (١٥٢) .

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٣/ ١٥١). الذهبي: سير أعلام النبلاء، (٣/ ٣٩٧) .

أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. يريدون أم كلثوم بنت علي زوجته، فقال عمر أم سليط أحق به، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد»[١] وكان إذا قدم سبي إلى المدينة تفقد يتامى الأنصار فأخدمهم[٢] . وكان يكرم أبناءهم ويرشدهم[٣] فكان عمر شديد الرعاية للأنصار كثير الثناء عليهم، يشيد بفضلهم ويذكر مآثرهم في نصرة الإسلام، ولما حضرته الوفاة أوصى الخليفة من بعده بهم فقال: (وأوصية بالأنصار خيراً الذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم)[٤].

(١) ينظر: ابن حجر: فتح الباري، ك المغازي، (ح٧/ ٤٠٧١) . وقال ابن حجر: (هي أم أبي سعيد الخدري). الكاندهلوي: حياة الصحابة (٢/ ٦٣) (٢/ ٣٨١) .

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص (١٩٣) .

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ (٤/ ٢٢١) .

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٤٤/ ٤١٧) . الأشعري: التمهيد والبيان، ص (١٠) .

المبحث الثاني

الأنصار في خلافة عثمان رضي الله عنه

الأنصار وبيعة الخليفة عثمان رضي الله عنه

أسند عمر رضي الله عنه بعض الانصار برعاية وحراسة جماعة الشورى[١] ليكونوا هم الأمناء على تنفيذ وصيته في بعد وفاته وقال لأبي طلحة الأنصاري يا أبا طحلة إن الله عز جل طالما أعز بالإسلام بكم فاختر خمسين رجلا من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم، فكان أبو طلحة هو الذي يحجبهم ولا يسمح لأحد بالدخول عليهم ولما طالت المفاوضات والمشاورات وخشي أبو طلحة نفاذ الفترة التي حددها عمر دون حسم مسألة الخلافة قال لهم: لا والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمرتهم ثم أجلس في بيتي فأنظر ما تصنعون[٢] وقد أدى الأنصار ماأوكل إليهم وتم اختيار الخليفة عثمان رضي الله عنه وهذا يشير إلى المكانة السامية للأنصار في قلوب الخلفاء فهم الأمناء على أهم قضايا الأمة وهم الثقات عند أعلى السلطات في دولة الخلافة الراشدة.

---

(١) وهم: عثمان عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم لكن عمر لم يدخله معهم لأنه ابن عمه، وعبد الرحمن بن عوف، الطبري: تاريخ (٤/ ٢٢٨).

(٢) أبو طلحة: سهل بن زيد بن الأسود من بني النجار الأنصاري، كان في الحرب يجثو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوفاء. قال صلى الله عليه وسل: (لصوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل) ومن شعره: أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم في سلاحي صيد ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ١٦٩٧).

وكان عمير بن سعد الأنصاري من ولاة عمر رضي الله عنه ولما توفي الخليفة كان عمير على حمص[١] فولاه عثمان رضي الله عنه على الجزيرة الفراتية لكن عمير رضي الله عنه مرض مرضا طال به فاستعفا الخليفة واستأذنه فأذن له[٢] وكان سماك بن خرشة الأنصار أبو دجانة واليا على بيت المال[٣] وولى على بيت المال أيضا عبد الله بن أرقم الأنصاري ثم استعفى فأعفاه[٤] وكان من أقرب الأنصار إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه زيد بن ثابت الأنصاري فكان عثمان يستخلفه على المدينة إذا حج[٥] ثم ولاه بيت المال يساعده غلامه وهيب وكان كاتبا له ففرض له الخليفة عثمان بعد أن رآه يعين المسلمين[٦] وكان زيد بن ثابت الأنصاري على القضاء أيضا[٧] وكان الخليفة يستشير الأنصار ومن ذلك حين قدم عليه وفد نجران ومعهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه شرط عمر فاستشار الخليفة عثمان، عثمان بن حنيف الأنصاري عن ذلك فقال: إنه كان بحث عن

(١) الطبري: تاريخ (٤/ ٢٢٧) . وينظر: العمر، سمير صالح: عثمان بن عفان سيرته ودوره السياسي. رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة ـ جامعة بغداد (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ص (٥٤) فما بعدها .

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص (٢٥٩) .

(٣) العمري: الخلافة الراشدة، ص (١٥٣) .

(٤) ابن خياط: تاريخ ص(١٧٨) .

(٥) المصدر السابق.

(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب (١/ ١٨٩) . ابن الأثير: أسد الغابة (٢/ ٢٣٥) . قلعجي، محمد رواس: موسوعة فقه زيد بن ثابت الأنصاري، ط١، بيروت، دار النفائس (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) . ص (٣٦) .

(٧) المصدر السابق.

أمرهم فوجده ضارا للدهاقين لردعهم عن أرضهم فوضع عنهم الخليفة من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله تعالى وعقبى لهم عن أرضهم[١] فيتبين أن الأنصار رضي اللع عنهم كانوا سامعين مطيعين مقربين من الخلفاء الراشدين، واستمر الأنصار على هذه الحال حتى حصلت الفتنة التي أودت بحياة الخيلفة عثمان رضي الله عنه، فكان لهم تصورهم وموقفهم الواضح من تلك الفتنة.

تصور الأنصار للفتنة وموقفهم منها:

كانت الفتنة في عصر الخليفة عثمان متشعبة الأهداف متداخلة الخيوط وكان يديرها باطنيون يعلمون في الخفاء ومن خلال تتبع موقف الأنصار من هذه الفتنة، فالذي يطلع على أبواب الفتن في كتب الحديث يجد الصحابة عامة يعرفون أنه ستكون فتن وأن الأفضل لهم والأسلم هو اعتزالها إلا لمن بان له وجه الحق والصواب فيها[٢] وهذاهو الذي يفسر لاتباين في مواقف الأنصار حيث اعتزلها عامتهم ولم يشاركوا في أحداثها مثل محمد بن مسلمة الانصاري ومنهم من ولج فيها ويرى أنه على حق مثل قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، وقد تجلى موقف الأنصار في قول عدي بن الخيار الأنصار الذي أثنى على الخليفة ثم ثم قال: (يا أمير المؤمنين ... إن دعوت أجبت ون أمرت أطعت فقل نفعل وادع تجب جعلت الخيرة والشورى إلى أصحاب رسول الله ليختاروا لهم ولغيرهم

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص (٨٩) .

(٢) ابن حجر: فتح الباري، ك الفتن (ح١٣/ ٧٠٨١). ابن أبي شيبة: المصنف، (٨/ ٦٤٥) . الطبراني: المعجم الكبير، الفتنة (٣/ ٢٤٩) . العظيم آبادي: عون المعبود، الفتن (ح١١/ ٢٤٩) .

وإنهمليرون مكانك ويعرفون مكان غيرك فاختاروك منيبين طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ما غيرت ولا فارقت ولا بدلت)[١] وفي هذا الموقف المعلن يتضح موثق الأنصار من الفتنة حين لم يعترض أحد على ما قاله عدي رضي الله عنه، وكان الأنصار يبنون مواقفهم في الفتنة على علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حذر من الفتن، وقال صلى الله عليه وسلم: (من نجا من ثلاثة فقد نجا، قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: موتي وقتل خليفة مطبر بالحق يعطيه والدجال)[٢] وقال صلى الله عليه وسلم: (إن رحى الإسلام ستدور بعد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين)[٣] ومن الدلائل النبوية التي رسم عليها الأنصار مواقفهم في الفتنة وجعلتهم يرون عثمان على الحق ما رواه مرة بن كعب البهزي قال: (بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة فقال: «كيف في فتنة تثور في أقطار الأرض؟ قالوا: نصنع ماذا يارسول الله؟ قال: عليكم هذا وأصحابه أو ابتعوا هذا وأصحابهقال فأسرعت حتى عطفت على الرجل فقلت: هذا يا نبي الله؟ قال: هذ، فإذا هو عثمان بن عفان)[٤] فهذه

---

(١) ابن بكار: الموفقيات، ص (٦٠٤) .

(٢) ابن شيبة: تاريخ المدينة، (ح٢/ ١٨٨٢) . الحاكم: المستدرك، (٣/ ١٠١) . وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وينظر: مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، باب ذكر الدجال من كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(٣) الحاكم: المستدرك، (٣/ ١٠١) . وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وفيه البيان الواضح لمقتل عثمان سنة خمس وثلاثين. ابن حبان: صحيح ابن حبان، باب الفتن (ح٧/ ٦٦٢٩) .

(٤) الحاكم: المستدرك (٣/ ٤٣٣) . وقال: صحيح الإسناد. الساعاتي: الفتح الرباني، الفتن (ح٢٣/ ٢١٨) و(ح٢٣/ ٢١٦) . القيشمي: مجمع الزوائد، كتاب الفتن (٧/ ٢٢٥) .

الأحاديث كانت تمثل للصحابة منارة الطريق وعلاماته ولما كانت هذه النصوص تبين أن عثمان رضي الله عنه كان على الحق فقد وقف الأنصار معه والتزموا بما كان يأمر به.

وحين كانت السبئية تملأ الأرض شائعات عن الخليفة عثمان استشار رضي الله عنه أبا الدرداء الأنصاري فيما يشاع فأكد له أنه لم يحس شيئا من هذا في بلاد الشام، وقال: إن أهل بلادنا لا يستبدون علينا قال عثمان إن الناس قد دني منهم وأذن فيهم وأمارة ذلك أن يجترئوا على ولاتهم حتى يعيدوه إلي وإني والله لا أجترئ عليهم أبدا مخافة ما أعلم ... هذا الأمر قد استبان ولا والله لا أكون أول من فتحه)[1] .

فيتضح أن سياسة عثمان رضي الله عنه في الفتنة كانت كف اليد واللسان وعدم الخوض فيها لكن أعداء الدين وأعداء المسلمين كانوا يصرون على نشر الشائعات والأباطيل التي تنال من ولاته باسم مصلحة المسلمين، حتى قال عثمان رضي الله عنه: (إن ناساً يعلموني به صلى الله عليه وسلم عسى ألا يكون أحدهم رآه قط!)[2] ومع كل هذا فإن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بقي صابرا على ما يثيره الغوغاء من شغب ومن شائعات مكذوبة عليه وعلى ولاته

(١) الطبري: تاريخ (٤/ ٣٤١) .

(٢) الساعاتي: الفتح الرباني، ك الفتن (ح٢٣/ ٢٣٥). الهيثمي: مجمع الزوائد، (٧/ ٢٢٣) .

تبلغ الآفاق، وكان يقول لمن يحثه على قتالهم ونصرته عليهم: (إنما تراد نفسي فعلام نقتل الناس أحتسب بنفسي عن الناس)[٢].

(١) التميمي: محمد بن أحمد بن تميم، المحن، تحقيق، عمر سليمان، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

المبحث الثالث

الأنصار في خلافة علي رضي الله عنه

بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه لم يعد هناك من هو أولى من علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخلافة، لكن قبول الخلافة آنذاك لم يكن سهلا فكان علي رضي الله عنه يعتذر لمن يطالبه بذلك قائلا: (دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول .. وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه)[١] وقال رضي الله عنه: (لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به .. فقالوا: ما نختار غيرك فاختلفوا إليه ... مرارا ثم بايعوه)[٥] (وتقلد ذلك لهم)[٢] (فلما دخل المسجد دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم باعيقه الناس)[٣] وبايعه (جميع من في المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم)[٤].

عمل عدد من الأنصار في إدارة الدولة في خلافة علي رضي الله عنه وقد استعان بكثير منهم في إدارة الولايات ومن ذلك:

المدينة: لما خرج علي إلى الكوفة ولى على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري ثم عزله وولى ليها تمام بن العباس بن عبد المطلب ثم عزله! وولى عليها أبا أيوب

---

(١) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٢٧).
(٢) المصدر السابق. (٤/ ٤٣٤).
(٣) المصدر نفسه. (٤/ ٤٢٧).
(٤) المصدر السابق. (٤/ ٤٢٧).
(٥) المصدر نفسه. (٤/ ٤٢٧).

الأنصاري خالد بن زيد، ثم استخلف أبو أيوب على المدينة رجلا من الأنصار ولحق بعلي في الكوفة)[١].

مكة: ولاها علي لأبي قتادة الأنصاري ثم عزله وولى عليها قثم بن العباس[٢]

مصر: ولى عليها قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري ثم عزله[٣]

الكوفة: ولى عليها قرظة بن كعب الأنصاري ولما خرج الخليفة علي رضي الله عنه إلى صفين استخلف على الكوفة أبا مسعود البدري عقبة بن عمرو الأنصاري ثم عزله[٤] .

البصرة: ولاها عثمان بن حنيف الأنصاري[٥] .

المدائن: ولاها ثابت بن قيسبن الخطيم الأنصاري[٦].

البحرين: استعمل عليها النعمان بن عجلان الزرقي الأنصاري[٧].

الجَنَد: بلد في اليمن ولاها سعيد بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري[٨].

فارس: ولاها سهل بن حنيف لكن أهلها أخرجوه منها[٩].

---

(١) ابن خياط: تاريخ ص (٢٠١) .
(٢) المصدر السابق. ص (٢٠١) .
(٣) المصدر نفسه، وينظر: الطبري: تاريخ (٤/ ٤٤٢) و(٤/ ٤٨٠) و(٤/ ٤٩٩) .
(٤) المصدر السابق.
(٥) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٤٢) و(٤/ ٤٨٠) .
(٦) الخطيب: تاريخ بغداد، (١/ ١٨٨) . ابن عساكر: تاريخ دمشق، (٣/ ٣٧٣) .
(٧) ابن خياط: تاريخ بن خياط، ص (٢٠١) .
(٨) ينظر: المصدر السابق، وابن حبان: الثقات، (٢/ ٢٧٣) .
(٩) الطبري: تاريخ (٥/ ١٣٧) .

وهذا يؤكد على العلاقة الحميمة بين الأنصار والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين كما يبين قدرات الأنصار وخبراتهم القيادية وقد كان ذلك بارزا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يستعين بهم على كثير من شؤون الدولة، وقد كان من أصحاب الكفاءات العالية قيس بن سعد بن عبادة حيث أظهر قدرات عالية في إدارة مصر واستتباب الأمن في ربوعها أيام ولايته، وقد استمر عطاء الأنصار بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فكان فضالة بن عبيد الأنصاري قائدا وقاضيا ناجحا في عصر معاوية رضي الله عنه وكان معاوية يثني عليه قال له: (جزاك الله خيراً على المعاونة على الحق)[١] ولما توفي شارك معاوية في حمل سريره وقال لابنه: (أعنّي يا بُني فإنّك لا تحمل بعده مثله أبداً)[٢] وعمل النّعمان بن بشير الأنصاري ولاه على حمص فأثنى عليه معاوية ومدحه الشعراء[٣] ومسلمة بن مخلد الأنصاري أول من جُمعت له مصر وما والاها من بلاد من المغرب وذلك في عهد معاوية رضي الله عنه، واستمر واليا على مصر إلى ما بعد وفاة معاوية رضي الله عنه فأثبت كفاءات قيادية نادرة[٤] وما هذه إلا شواهد على آثار الأنصار ودورهم الرائع في العصر الراشدي.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، (٥/ ١٤٠) . فما بعدها .
(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب (٣/ ١٢٦٣) .
(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٨٧) . وينظر: البلاذري: فتوح البلدان ص (٣٢٠) .
(٤) يُنظر: ابن سعد: الطبقات (٢/ ٣٨٧) . ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص(٢٣٣) . الطبري: تاريخ (٥/ ٩٩) . ابن عساكر: تاريخ دمشق (٥٨/ ٥٤) .

موقف الأنصار من قرار الخليفة علي رضي الله عنه:

الخــروج من المدينة:

لم يكن الأنصار يؤيدون خروج الخليفة من المدينـة اتضـح ذلـك حينما هـمَّ الخليفة علي رضي الله عنه بالنهوض إلى الشام (ليزور أهلها وينظر ما رأي معاوية وما هو صانع)[١] وكان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تمتلكها بعـض الأمصار في تلك المرحلة فقال: (إن الرجال والأمـوال بـالعراق)[٢] أشـار عليـه، فقال: (يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهـذه الـبلاد لأنهـا الـدرع الحصـينة ومهـاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها قبره ومنبره، ومادة الإسلام، فإن اسـتقامت لك العرب كنت كمن كـان، وإن تشـعب عليـك قـوم رميـتهم بأعـدائهم، وإن أُلجئت حينئذ إلى السير سرتّ وقد أُعذرت ... فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار)[٣] ومن هذا تتبين رؤيـة الخليفـة علي رضي الله عنه فيما لو استقامت له الأمور، ويظهر موقف الأنصار مـن ذلـك من خلال ما أشار به أبو أيوب الذي بنـى مشـورته عـلى تجـارب ماضـية كانـت المدينة فيها هي مركز القول بكل معانيها في عصر الرسول صلى الله عليـه وسـلم والخلفاء الراشدين من بعده .

---

(١) ينظر: ابن حبان: الثقات (٢/ ٢٨٣) ابن أعثم: الفتوح (٢/ ٢٤٥) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ينظر: ابن حبان: الثقات (٢/ ٢٨٣) . ابن أعثم: الفتوح (٢/ ٢٤٥) .

ونظراً لسداد هذه الرؤية وصحتها أخذ الخليفة عليّ بها وأقام بالمدينة، ولكن مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ترك آثاراً عميقة تغيرت على إثرها كثير من الموازين، وحصلت كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة الجديد على مغادرة المدينة، ومن ذلك ما بلغه عن توجه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما واصطحابهما مع السائرين أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى البصرة ليحجز مكانها من المؤمنين الشرّ إن حصل بين الناس، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه استنفر النّاس بالمدينة ودعاهم إلى نصرته، وهنا لابد من دراسة الموقف بتروّ لاختلاف الروايات في تقييم موقف الأنصار، فبينما يُروى أنّ أهل المدينة نفروا مع الخليفة و(خفّت معه الأنصار فخرج من المدينة في سبعمائة من الأنصار وورد الرَبَذَة)[١] .

هناك روايات تصور الموقف بغير ذلك، وأنّه لما بلغ الخليفة أن طلحة والزبير يريدان البصرة، أجمع الخروج (فاشتد على أهل المدينة الأمر فتثاقلوا)[٢] ولم يكن تثاقلهم رفضاً لطاعة الخليفة، ولكن لما يرون من (مكان الغوغاء والنُزّاع فيهم)[٣] وأنّهم (قد اشتركوا في دم هذا الرجل ـ الخليفة عثمان رضي الله عنه ـ وأحلّوا بأنفسهم)[٤].

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، (٤/ ٤٥٥) . فما بعدها .
(٢) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٤٦) .
(٣) المصدرنفسه (٤/ ٤٣٥) .
(٤) المصدر نفسه: (٤/ ٤٣٧) .

وأكثر من ذلك أنهم لا يلتزمون السمع والطاعة من الخليفة علي رضي الله عنه فقد خطب فيهم يوماً فقال: (يا معشر الأعراب، الحقوا بمياهكم، فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب)[١].

وكان من أهل المدينة من يرى رأي علي رضي الله عنه فيهم[٢]، ويقول لترك أمرهم إلى ما قال علي أمثل (وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخره)[٣] و(إنّ الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر)[٤] فكان من يسأل عن المدينة في بداية بيعة الخليفة علي رضي الله عنه يقول: (اجتمع النّاس على علي رضي الله عنه والأمر أمر الغوغاء)[٥].

فيتضح من هذه النصوص وغيرها أنّه لا يوجد معترض على البيعة في المدينة، ولكن الأمر الذي شتت الآراء وشعّب المواقف هو الغوغاء وطريقة التعامل معهم، فكان الأنصار وغيرهم من أهل المدينة يرون أنّ الفتنة لازالت مستمرة، فلابد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر (وهم يقولون لا والله ما

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/ ٥).

(٢) كان رأي الخليفة علي رضي الله عنه يرى أنّ الغوغاء (أمر جاهلية وأن لهؤلاء مادة ... إن الناس من هذا الأمر إذا حرك على أمور ... فاهدءوا) و(إن الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإماتته، وإنها فتنة كالنار، كلما سعرت ازدادت واستنارت) تاريخ الطبري: (٤/ ٤٣٧) و (٤/ ٤٤٣) .

(٣) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٣٧) .

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق: (٤/ ٤٤٩) .

ندري كيف نصنع، فإنّ هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يُضيء لنا ويسفر)[١].

(ولما رأى علي من أهل المدينة ما رأى، لم يرشَ طاعتهم حتى يكون معها نصرته .. وقال: إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم، فأجابه رجلان من أعلام الأنصار، أبو الهيثم بن التيهان الأشهلي وهو بدري، وخزيمة بن ثابت، وليس بذي الشهادتين فقد مات ذو الشهادتين في زمن عثمان)[٢].

ولكن هذا القول فيه نظر، إذ إنّ كتب الطبقات وكتب الصحابة تؤكد أنّ أبا الهيثم ابن التيهان مات سنة عشرين في خلافة عمر)[٣].

أما خزيمة بن ثابت فإنه هو ذو الشهادتين، وأنه قتل في صفين مع علي رضي الله عنه. ومما يؤكد تثاقل أهل المدينة عن الخروج مع الخليفة منها بعض خطبه في أول خلافته. قال: (ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شيء مني لأمركم وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم)[٤].

---

(١) المصدر نفسه: (٤/ ٤٣٨).

(٢) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٤٧). ابن عبد البر: الاستيعاب (٣/ ١٧٧٣). الذهبي: سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٩).

(٣) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٣٧). ابن عبد البر: الاستيعاب (٣/ ١٧٧٣).

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (١/ ٣٠٧).

فما تفسير قول من روى (فخفت معه الأنصار) وقول: (فاشتد على أهل المدينة الأمر فتثاقلوا)[١].

أما القول الأول فإنّه يُثير التساؤل عن هوية الذين خرجوا من المدينة وعددهم ومن المقارنة مع الروايات الأخرى تتضح الإجابة عن ذلك، فهناك رواية ذكرت الذين خرجوا مع الخليفة دون الإشارة إلى أنّهم من الأنصار، قال ابن حبان: (خرج علي من المدينة معه ستمائة رجل)[٢] وهناك رواية أخرى تُزيل الإبهام، وتوضح هوية الرجال الذين سارعوا إلى الخروج مع الخليفة رضي الله عنه وفيها: (وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل)[٣] وبهذا يتأكد عدد الذين خرجوا مع الخليفة رضي الله عنه وتتضح هويتهم، وهذا ما ينسجم مع سير الأحداث وموقف أهل المدينة آنذاك، فلو كان هذا العدد من الأنصار حقيقة لكان العدد المذكور أكبر من ذلك بكثير؛ إذ إنّ المدينة لم تعد سكناً للأنصار وحدهم كما هو معلوم فقد شاركهم فيها جموع المهاجرين من مكة ومن سائر القبائل.

أما تثاقل أهل المدينة ومنهم الأنصار عن إجابة دعوة الخليفة إلى الخروج فهناك كثير من الأمور تؤكدها، منها: خُطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل، وظاهرة اعتزال كثير من الأنصار بعد مقتل عثمان رضي الله عنه كما

---

(١) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٤٦) .

(٢) ابن حبان: الثقات (٢/ ٢٨٣) .

(٣) الطبري: تاريخ (٤/ ٤٥٥) .

اتضح ذلك و(إنّ رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلّا إلى قبورهم)[١] وقد عبر أبو حميد الساعدي الأنصاري رضي الله عنه وهو بدري، عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: (اللّهم إنّ لك عليَّ ألا أضحك حتى ألقاك)[٢].

فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة، يقود إلى الانزلاق في الفتنة التي يخشون عواقبها على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما دعا إلى تثاقل الأنصار آنذاك أيضاً، خروج الخليفة بنفسه من المدينة وهذا ما لا يرونه،وقد اتضح ذلك فيما أشار به أبو أيوب الأنصاري على الخليفة، لكن حين قاتل علي رضي الله عنه الخوارج لحق به من كان تخلف عنه فيما سبق بحجة الخوف من الفتنة بين المسلمين، وهكذا كان الأنصار يدورون مع دينهم حيث دار، ينصرونه وينصرون من ينصره، لا يخافون في الله لومة لائم، فأصبح حبهم علامة الإيمان وبغضهم علامة النفاق، وقد بوب البخاري باباً باسم (**عَلَامَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ**)[٣].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٢٦٤) .

(٢) الذهبي: الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) . ص(١٨٣) .

(٣) الذهبي: الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام، (١٨٣) .

الفصل الرابع

دور الأنصار العسكري في عصر الخلافة الراشدة

المبحث الأول: دور الأنصار في القضاء على الردة:

الموقف من المرتدين وإسهام الأنصار في جهادهم في بزاخة والبطاح:

الرد: صرف الشيء ورجعه، وقد ارتدّ وارتدّ عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1]، والردة عن الإسلام: الرجوع عنه، وارتد عن دينه: إذا كفر بعد إسلامه؛ وحركة الردة قامت بها قبائل متعددة، وديارها متفرقة، وفي أوقات مختلفة ودوافع وأفكار متنوعة منهم من نابذ الإسلام[2] وعاد إلى الكفر، وهم أصحاب مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، ومنهم من ترك الصلاة ومنع الزكاة وعاد إلى ما كان عليه في الجاهلية، وقد كان من بينهم من سمح بالزكاة وأراد أداءها، كبني يربوع الذين منعهم زعيمهم مالك بن نويرة من ذلك[3].

١- سورة البقرة الآية (٢١٧).

٢- ابن منظور: لسان العرب، مادة ردد (٣/ ١٧٣). وعن الردة ينظر: العتوم، علي العتوم: حركة الردة، ص، ٢٠.

٣- الطبري: تاريخ (٣/ ٢٧٦) وخبر الأسود العنسي (٣/ ٢٢٧) العيني، بدر الدين أبو محمد بن أحمد (ت ٨٥٥/ ١٤٤٦م) عمدة القارئ (بلا، ط) بيروت، دار إحياء التراث العربي، (٨/ ٢٤٤) العلي: الدولة في عهد الرسول ﷺ (٢/ ٤٤٧).

وقد سبقت حروب الردّة مفاوضات بين الخليفة أبي بكر الصدّيق ﷺ ووفود من قبائل المرتدين المتمثلة في أسد وغطفان وطيء وثعلبة بن سعد ومن لحق بهم ممن ارتدّ من بني مُرة وعبس وكنانة والديل ومدلج، إذ اتضح للخليفة من خلالها عدم جدية المفاوضين، وأنّ تذرعهم بمنع الصدقة ما هو إلا وسيلة لاستطلاع موقف المسلمين ممن يعلن خروجه على سلطة المدينة.

ولما اطّلع المرتدون على قلة أهل المدينة، بعد خروج جيش أسامة بن زيد إلى الشام، أرسلوا إلى عشائرهم يعلمونهم بقلتهم ويطمعونهم فيهم[١] مما أظهر عدم جديتهم في التفاوض مع الخليفة، وجلّى موقفهم الكلي من الإسلام والولاء للدولة الإسلامية، وهذا ما أكدوه في أشعارهم بمثل قولهم:

وإنّ التي سألوكم فمنعتم لكالتمر أو أحلى إليّ من التمر[٢]

فكان لهذه المواقف المعلنة من المرتدين أثر في التفاف المسلمين حول الخليفة الأول وفي مقدمتهم الأنصار، مما فوّت على المرتدين فرصة مهاجمة المدينة، وبالتالي إلحاق أول هزيمة بهم في ذي القصة[٣] وقتل حبال بن خويلد الأسدي أخي طُليحة زعيم بني أسد، على يد ثابت بن أقرم بن ثعلبة العجلاني البلوي

١- الطبري : تاريخ، (٣/ ٢٤٥)

٢- المصدر نفسه، (٣/ ٢٤٦).

٣- ياقوت: معجم البلدان (٤/ ٣٦٦) و" ذو القَصة" موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو على طريق الربذة، قيل: هو على بريد من المدينة جهة نجد، وفيه عقد أبو بكر الألوية وبعث الجيوش لحرب المرتدين.

الأنصاري حليف بني زيد[١] ومن ثم استشهاد ثابت بن أقرم الأنصاري ومعه عُكّاشة بن مِحصن الغَنْمي عندما كانا طليعة لجيش خالد بن الوليد في بزاخة، حيث أرسل إليهما طليحة بن خويلد نفرًا من أصحابه فقتلوهما [٢] والراجح من شعره أنّه هو الذي قاد تلك المجموعة التي باشرت قتلهما، قال طليحة:

ذكرت أخي لما عرفت وجوههم وأيقنت أني ثائر بحبال

عشيّة غادرت ابن أقرم ثاويًا وعُكّاشة الغنمي عند محال[٣]

وبعد الانتصار الذي أحرزه المسلمون **بذي القَصَّة**، عقد الخليفة أبو بكر ﷺ الألوية وعيّن الأمراء فكان على الأنصار ثابت بن قيس بن الشماس من بني كعب بن الخزرج[٤] وكان عددهم ما بين الأربعمائة إلى الخمسمائة، مما يشير إلى أنّ الأنصار كانوا يُشكلون وحدات عسكرية خاصة بهم، لها قيادتها ورايتها، وإن كانت تخضع في نهاية الأمر للقائد العام خالد بن الوليد ﷺ.

١- ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٤٥) فتوح البلدان، ١٣٣، ابن عبد البر: الاستعياب ١/ ١٩٩ ويقال: إنه حليف لبني عمرو بن عوف.

٢- ينظر: ابن أعثم الكوفي: الفتوح (١/ ١٠) وينظر صالح العلي: الدولة في عهد الرسول ﷺ (٣/ ٥١٢) وقد ذكر أن حبالا هو ابن أخي طليحة بن خويلد، بينما ذكره طليحة في شعره أنه أخوه.

٣- خليفة بن خياط: تاريخ، ص (١٠٢) البلاذري، فتوح البلدان، (ص١٣٣).

٤- البلاذري: فتوح البلدان، (ص١٣٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، (١/ ٢٠٠).

وشارك الأنصار في العمليات التي قادها خالد ضد المرتدين في بُزاخة[١] وهم تحت راياتهم وقيادتهم التي شكلت بذي القَصّة، ولم أطلع على تفصيلات تلك المشاركات من خلال المصادر التي توفرت لي.

وبعد أن انتهى المسلمون من ردة بني أسيد وغطفان وفزارة، قال خالد بن الوليد: «إن الخليفة أمرني بالبطاح من بني تميم[٢]» فقالت الأنصار: «إنّ الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة، واستبرأنا بلاد القوم أن نُقيم حتى يكتب إلينا[٣]» فأوضح لهم خالد ﷺ أنّه هو الأمير وإليه تنتهي الأخبار، وأنّه إذا رأى فرصة فيها مصلحة للمسلمين فمن واجبه اغتنامها قبل فوات الأوان، فقصد مالك ابن نويرة والمرتدين في أرض بني تميم، ولم يُكره أحدًا من الأنصار فتشاوروا وقالوا: إن أصاب القوم خيرًا، إنه لخير حرمتموه، وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس، فأجمعوا اللحاق بخالد، وجردوا إليه رسولاً، فأقام عليهم حتى لحقوا به ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد به أحدًا.

ومن هذا النص يظهر حرص الأنصار رضي الله عنهم على تنفيذ تعليمات الخليفة أبي بكر ﷺ والوقوف عندها دون أي تجاوز، وفيه تظهر صلاحية قيادة

١- بُزاخة: ماء لطيىء بأرض نجد، وقيل: ماء لبني أسد، كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق ﷺ مع طليحة الأسدي، ينظر: ياقوت: معجم البلدان، (١/ ٤٠٨).

٢- ينظر: ابن أعثم الكوفي: الفتوح، (١/ ١٩) ابن حبيش: غزوات (١/ ٤٧)، ياقوت، (١ / ٤٤٥) وقال: البطاح منزل لبني يربوع، وقيل: ماء لبني أسيد بن خزيمة، وفيها خرج ضرار بن الأزور طليعة خالد بن الوليد، وخرج مالك بن نويرة طليعة لأصحابه فالتقيا بالبطاح فقتل ضرار مالكا، وهناك روايات أخرى عن مقتل مالك هذا.

٣- ابن أعثم: الفتوح، (١/ ١٩) ابن خياط : تاريخ ابن خياط، ١٠٣.

الأنصار الواسعة في تلك المرحلة، وفيه دلالة على العلاقة الأخوّية بين المهاجرين والأنصار، ولهذا يلحقون بهم قبل أن يتعرضوا لأي خطر، أو يقوموا بأي عمل عسكري ضد أحد من المرتدين.

ولما التحق الأنصار بجيش خالد سار«إلى مَنْ بالبطاح والبعوضة من بني تميم فقاتلوه ففض جمعهم وقتل مالك بن نويرة»[1] ويذكر أن مالك بن نويرة أسرته إحدى سرايا خالد ﷺ التي كان فيها الحارث بن ربعي (أبو قتادة السلمي الأنصاري) الذي اختلف مع خالد حول مقتل مالك بن نويرة، مما دعا أبا قتادة إلى الذهاب إلى الخليفة أبي بكر لتوضيح رأيه، ويظهر أن أبا قتادة لم يستطع أن يقدم بينة تؤيد ما كان يذهب إليه في مخالفته خالدًا، مما أغضب عليه الخليفة الذي

١ – البلاذري: فتوح البلدان، (١٣٧). وقال: " إن مالك بن نويرة خلى ما كان في يده من الفرائض وقال شأنكم بأموالكم يا بني حنظلة" أي أموال الصدقة التي يفترض أن يوصلها إلى خليفة رسول الله ﷺ. وينظر: الواقدي: الردة (١٠٣) الطبري: تاريخ (٣/ ٢٧٩) ياقوت: معجم، (١/ ٤٤٥) وقال: إنّ ضرار بن الأزور هو الذي قتله، وروى ابن الجوزي: أن خالدا قتله لأنه إذا ذكر رسول الله ﷺ قال لخالد: " كان صاحبكم، فقال له خالد: يا عدو الله، ما تعده لك صاحبًا " فقتله، المنتظم (٣/ ٢٤) ابن الأثير: الكامل، (٢/ ٢٤٢) وقال الكلاعي في الاكتفاء (٣/ ٣٦) : " قد يكون ذلك تحوطا لأنه لم يكن واضحا)" وهناك رواية تذكر أنه أُسر وحُبس في ليلة باردة فقال خالد: أدفئوا أسراكم وكانت بلغة كنانة تعني القتل، فقتل ضرار مالكا. الطبري: تاريخ (٣٢٧٨) ابن الأثير: الكامل، (٢/ ٤٤٢) والذي يمكن قوله في هذه المسألة: أنه لو ثبت أنّ مالك بن نويرة لم يرتد لما قُتل، وذلك قياسا على أحداث مشابهة وأن المسلمين لم يقتلوا أمثالهم ممن أسروهم، مثل الأشعث بن قيس، وعُيينة بن حصن وقد ثبتت ردتهم وقد رد الذهبي هذه الرواية وقال: " هذه رواية لا تصح " سير أعلام النبلاء، (١/ ٣٧٧).

لم يرض عنه حتى عاد إلى مكانه في جيش خالد[١] مما يؤكد التزام الأنصار التام بطاعة الخليفة، واتباعهم للحق وثباتهم عليه وإن خالف رغباتهم، ومن الطبيعي أن تحصل مثل هذه الاجتهادات في تلك الأحداث المتداخلة في مرحلة الردة.

دور الأنصار في معركة اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب:

اليمامة معدودة من نجد وتسمى«جوًا والعَروض»[٢] ولما بعث رسول الله ﷺ الرسل إلى الملوك، وكتب إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام، وأنفذ كتابه بذلك مع سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري من بني عدي بن النجار[٣] فبعثوا إلى رسول الله ﷺ وفدهم، وكان فيهم ثُمامة بن كبير بن حبيب (مسيلمة الكذاب) الذي قال لرسول الله ﷺ: «إن شئت خلينا لك الأمر وبايعناك على أنه لنا من بعدك!» فقال له النبي ﷺ: «لا ونعمة عين، ولكن الله قاتلك»[٤]، وقال له ﷺ: «هذا ثابت بن قيس ابن شماس يُجيبك عنّي»[٥] والمفاوضات بين وفد بني حنيفة ورسول الله ﷺ طويلة ومفصلة في المصادر [٦] والراجح أنها انتهت دون اتفاق فأصبحت العلاقة بين المسلمين وبني حنيفة علاقة عدائية، وأنّ ثابت بن قيس

١- ينظر: الطبري: تاريخ (٣/ ٣٧٨) ابن الأثير: الكامل (٢/ ٤٤٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٧).

٢- ينظر: البلاذري: فتوح البلدان ص (١٨٨) ياقوت : معجم البلدان (٥/ ٤٤١).

٣- ابن عبد البر: الاستيعاب، (٢/ ٦٤٦) .

٤- البلاذري: فتوح البلدان، ص (١١٩) وينظر: ابن الأثير: الكامل (٢/ ٢٤٣).

٥- ابن حبان: صحيح ابن حبان، (ح ٦٦٢٠) وينظر: العلي: الدولة في عهد الرسول ﷺ (٢/ ٥٣١).

٦- العلي: الدولة في عهد الرسول ﷺ (٢/ ٥٤٢)

الأنصاري كان مُطلعاً على هذه العلاقة وعالما بموقف مسيلمة من الإسلام، مما يفسر لنا اندفاع الأنصار وقائدهم ثابت بن قيس، في جهادهم في اليمامة ضد مسيلمة الكذاب الذي ابتدأ بعد أن قدم خالد إلى المدينة بعد فراغه من أمر بني تميم في البطاح، فوجه الخليفة إلى مسيلمة وأوعب معه الناس، وعلى الأنصار ثابت بن قيس ﷺ، والبراء بن مالك ﷺ فلما أتم خالد استعدادته؛ نهض حتى أتى اليمامة، وبنو حنيفة يومئذ كثير، كانوا يومئذ أربعين ألف مقاتل في قُراها وحجرها»[1] ولم يكن جيش خالد ﷺ هذا أول جيش للمسلمين يُرسل إلى اليمامة، فقد تمكن بنو حنيفة من صد جيشين للمسلمين قبله[2].

قال رافع بن خديج الأنصاري ﷺ: خرجنا من المدينة ونحن أربعة آلاف وأصحابنا من الأنصار ما بين خمسمائة إلى أربعمائة، وعلى الأنصار ثابت بن قيس، ويحمل رايتنا أبو لُبابة فانتهينا إلى اليمامة، فننتهي إلى قوم هم الذين قال الله فيهم: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[3].

ويصف رافع بن خديج الأنصاري القتال العام الذي دار بين بني حنيفة بصورة يتضح فيها الاستعداد الكبير لبني حنيفة، الذين لم يمهلوا المسلمين بعد وصولهم حتى هاجموهم، وحققوا تقدمًا واسعًا، فتراجع المسلمون! ويعزو رافع

---

١ – الطبري: تاريخ (٣/ ٢٨١) البلاذري : فتوح البلدان، ص (١١٩) وما بعدها .

٢ – الطبري: تاريخ (٣/ ٢٨٢) .

٣ – سورة الفتح الآية (٣).

هذا التراجع إلى تركيبة جيش المسلمين آنذاك، فقال: «وذلك أنّ صفوفنا كانت مختلطة فيها حشو كثير من الأعراب، فينهزم أولئك فيستخفّون أهل البصائر والنيات»[١].

وهذا ما أدركه قائد الأنصار في اليمامة ثابت بن قيس رضي الله عنه الذي طلب من خالد بن الوليد أن يعيد تنظيم جيشه، ويجمع الأنصار تحت راية واحدة فوافقه خالد على ذلك، ونادى ثابت: « يا للأنصار فتسللت إليه الأنصار رجلاً رجلاً[٢]» وأعاد خالد تنظيم بقية الجيش، فالتحم القتال مجددًا في اليمامة فكانت مواجهة رهيبة صبر فيها الفريقان، قال رافع الأنصاري: فذكرت بيتي قيس بن الخطيم:

إذا ما فررنا كان أسوَا فرارنا صدودُ الخدودِ وازورارُ المناكب

صدودُ الخدودِ والقنا متشاجرٌ ولا تبرح الأقدام عند التضاربِ[٣]

واستمر القتال العام على هذا النحو حتى كلّت العزائم وانهارت الهمم، وهنا برز دور أهل السابقة من الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم، الذين أحسوا خطورة بني حنيفة فثبتوا أمامهم ثباتاً لا يتزحزح، فالأنصار «في نحورهم ما يجد أحدهم مدخلاً إلا أن يقتل رجلاً منهم أو يخرج فيقع، فيخلف مقامه آخر، حتى بان خلل صفوفهم»[٤].

---

١ – الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٥٤) .

٢ – المصدر السابق: (٣/ ٥٤) .

٣ – المصدر السابق: (٣/ ٥٤) وينظر: الكامل (٢/ ٢٤٦).

٤ – الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٥٣) .

ولم تكن مشاركة الأنصار في اليمامة مقصورة على رجالهم فقط، فقد شاركت نساؤهم في ذلك القتال، فهذه أم عمارة[١] تشهد كل صفحات تلك المعركة وتظهر في أكثر من موقف مشاركة في الجهاد صابرة محتسبة، وتصف قتال الأنصار العام في تلك المعركة قائلة: «تداعت الأنصار: أخلصونا، فأخلصونا فلما انتهينا إلى الحديقة ازدحمنا على الباب وأهل النجدة من عدونا في الحديقة، قد انحازوا ليكونوا فئة لمسيلمة فاقتحمنا فضربناهم ساعة، فما رأيت أبذل لمهج أنفسهم منهم»[٢] وفي معركة اليمامة، تجلّى إخلاص الأنصار في جهادهم، وغيرتهم على دينهم وجرأتهم على عدوهم، فصار لكل أنصاري حديث لا يُشبه غيره لما فيه من الصبر والإقدام والتسابق على نيل الشهادة.

صور من مشاركات الأنصار في موقعة اليمامة:

ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن كعب بن الخزرج ﷺ: شهد لقاء مسليمة مع رسول الله ﷺ وتولى إجابته كما سبق القول في ذلك فكان على علم تام بتوجهات مسليمة وطموحاته، وفي معركة اليمامة كان هو قائد الأنصار، ولما كان في صفحات تلك المعركة من الكر والفر، والتقدم والانكفاء، ما يضطر المسلمين إلى التراجع أحيانًا، لامتصاص هجمات أعدائهم، أو لشدتها وهولها، أو لإعادة تنظيم الصفوف بعد فقدان أعداد من المجاهدين.

---

١ - ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (٤ / ١٩٤٨) .

٢ - الكلاعي: الاكتفاء (٣ / ٦٢) وينظر : الحديثي : اليمامة وردة مسيلمة (ص ١٥٩) فما بعدها .

إلا أنّ هذا القائد الأنصاري لم يعذر المسلمين في تراجعهم أمام أعدائهم، وعدّ ذلك ضعفًا في حماسهم الجهادي«فتحنط ونشر أكفانه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، أي المرتدون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، أي المسلمون في تراجعهم؛ ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما عودتم أقرانكم»[1] فقاتل ثابت بن قيس المرتدين باندفاع عظيم، ولحقت به الأنصار وهو يحمل رايتهم، فلما لم يجد سبيلاً للتقدم «حفر لرجليه حتى بلغ أنصاف ساقيه، كما فعل سالم مولى أبي حذيفة، وإنهما لقائمان حتى قُتلا وهما ثابتان مقبلان»[2].

وبهذا الموقف البطولي تمكن ثابت بن قيس الأنصاري ﷺ ومن فعل مثل فعله، من تغيير وجه القتال في تلك المعركة الرهيبة، فتحقق الثبات في جيش المسلمين، ثم التقدم وإحراز النصر على المرتدين، وباستشهاد ثابت ﷺ في اليمامة تحققت له بشارة رسول الله ﷺ حيث قال له: «يا ثابت، أما تحب أن تعيش حميدًا وتُقتل شهيداً»[3].

---

١ - ابن خياط : تاريخ (ص ١٠٧) الطبراني : المعجم الكبير (٢/ ٦٥) الساعاتي: الفتح الرباني، (٦/ ٦٠) .

٢ - الطبري : تاريخ (٣/ ٢٩١) البيهقي : دلائل النبوة، (٣/ ٣٥٦) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٥٢) .

٣ - الحاكم: المستدرك، (٣/ ٢٣٤) الطبراني. المعجم الكبير (٢/ ٦٦) البيهقي : دلائل النبوة، (٦/ ٣٥٦) .

عبّاد بن بشر بن وقش بن زغبة الأنصاري الأشهلي ﷺ[١]: هو أحد الباحثين عن الشهادة بحماسة شديدة، ولشدة طلبه لها كان يحدث نفسه بها وتتراءى له في نومه، قال أبو سعيد الخدري الأنصاري: «سمعت عبّاد بن بشر يقول حين فرغنا من بزاخة: يا أبا سعيد، رأيت الليلة كأن السماء فُرجت لي ثم أطبقت علي فهي إن شاء الله الشهادة. قلت: خيرًا والله رأيت[٢].

فهذا النص يوضح الحالة النفسية لبعض مقاتلي الأنصار الذين شغفهم حب الشهادة في سبيل الله، وهذا كان يمثل هاجس عبّاد بن بشر ـ وهو في طريقه إلى اليمامة، فلما رأى تقدم المرتدين في بعض جولات معركة اليمامة، زاده ذلك إقدامًا وكان على رأي ثابت بن قيس في تمايز المقاتلين، فوقف على نشز مرتفع من الأرض» ثم صاح بأعلى صوته: أنا عبّاد بن بشر، يا للأنصار يا للأنصار، ألا إليّ ألا إليّ، فأقبلوا إليه جميعا وأجابوه: لبيك لبيك ... ثم حطم جفن سيفه فألقاه، وحطمت الأنصار جفون سيوفهم، ثم قال: حملة صادقة، اتبعوني! فخرج حتى ساقوا حنيفة مهزومين حتى انتهوا بهم إلى الحديقة فأغلق عليهم»[٣].

والراجح أن عبّاد بن بشر كان يقود وحدة مقاتلة من الأنصار يوم اليمامة، قال رافع بن خديج الأنصاري: «شهدنا اليمامة فكنا تسعين من بني النبيت ...

---

١ - ابن عبد البر: الاستيعاب (٣/ ٨٠١)

٢ - ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٢٣٤) ابن حبيش: غزوات (١/ ١٢١).

٣ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٢١) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٥٧).

وإني لأنظر إلى عبّاد بن بشر قد ضرب بسيفه حتى انحنى كأنه منجل فيقيمه على ركبتيه»[١].

وقد وصف أبو سعيد الخدري ﷺ قتاله وقيادته للأنصار في اليمامة، ومن المحتمل أنّ ذلك كان بعد استشهاد قائد الأنصار ثابت بن قيس ﷺ آنذاك فقال: «أنظر إليه يوم اليمامة وإنه ليصيح بالأنصار: تميزوا من الناس، أخلصونا أخلصونا! فأخلصونا أربعمائة رجل من الأنصار ما يخالطهم أحد، يقدمهم عبّاد ابن بشر، وأبو دجانة، والبراء بن مالك، حتى انتهوا إلى باب الحديقة»[٢] ولما احتمى المرتدون بحصن الحديقة، وقف عند بابها مرابطًا، وذلك أنه خشي أن تفر بنو حنيفة «وذلك لما كلّ أصحابه»[٣] ولما تمكن المسلمون من اقتحام باب الحديقة «ألقى درعه على بابها، ثم دخل بالسيف سلتاً يجالدهم حتى قتل شهيدا ﷺ سنة اثنتي عشرة، وهو ابن خمس وأربعين سنة، ولم يُعرف إلّا بعلامة في جسده لكثرة ما فيه من الجراح ﷺ»[٤] وقد اشتهرت مواقف عبّاد بن بشر في اليمامة حتى أصبحت مضرب المثل، «وبقيت بنو حنيفة تذكر عبّاد بن بشر، فإذا رأت الجراح بالرجل منهم تقول: هذا ضرب مجرب القوم عبّاد بن بشر»[٥].

---

١ - الحاكم: المستدرك (٣/ ٢٢٨) الكلاعي: الاكتفاء (٣ / ٥٧) والنبيت : هم بنو عمرو بن عوف من الأوس .

٢ - ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٢٣٢) . وينظر: ابن حبيش : غزوات (١/ ١٢١).

٣ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٢١) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٥٧).

٤ - ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٢٣٤) ابن أعثم: الفتوح، (١/ ٣٧) الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ٥٣) وسلته سلتا: أي سله وسحبه.

٥ - الكلاعي: الإكتفاء، (٣/ ٥٣).

أبو دجانة سِماك بن خَرشة بن لوذان الأنصاري ﷺ[١]: أمضى أيامه مجاهـدًا في سبيل الله، فلما كان يوم اليمامة قاتل بحماسـة منقطعـة النظـير طلبًـا للشـهادة، لا يعرف إلا التقدم إلى الأمام، قال أبو خيثمة النجاري الأنصاري: «كـأني أنظـر إلى أبي دجانة يومئذ، ما يولي ظهره منهزما وما هو إلا في نحور القـوم»[٢] فـإذا تخلـل المعركة جولات من الكر والفر، فإنّه لا يغير من موقفه، فإذا كرّت عليه مجموعـة من بني حنيفة، فإنه لا يفر بل يقاتلهم حتى ينفرجوا عنه، ولما شاهد المسلمون في جيش خالد ثبات الأنصار والمهاجرين تلاحقوا بهم وساندوهم حتى تم اقتحـام الحديقة، وكان لأبي دجانة إسهام عظيم في فتح بابها إذ قال:«ألقوني عـلى الترسـة حتى أشغلهم .. فأخذوه فألقوه حتى وقع في الحديقة ... فضاربهم حتـى فتحهـا ودخلنا عليه مقتولاً ﷺ»[٣] وبمثل هذه الإسهامات البطولية للأنصـار في اليمامـة تم النصر على المرتدين.

وروي هذا الخبر عن البراء بـن مالـك الأنصـاري ﷺ أيضًـا، فـربما اشـترك الاثنان في هذه العملية، وكان لهما الفضل في تمهيد الطريق أمـام جـيش المسـلمين لإحراز النصر بعدما بذلا ما في وسعهما مـن جهـد في سـبيل الله وتثبيـت أركـان الخلافة الإسلامية.

---

١ - ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٢٨٥) ابن عبد البر : الاستيعاب (٤/ ١٦٤٤) .

٢ - الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٥٥) .

٣ - ابن سعد: الطبقات، (٣/ ٢٨٥) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٥٦) .

معن بن عدي بن الجد بن العجلان البلوي الأنصاري ﷺ حليف بني عمرو بن عوف وهو القائل عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: والله ما أحبّ أن أموت قبله حتى أصدقه حيا وميتا»[١]

كان له مشاركة فعالة في جهاد المرتدين في اليمامة، وكان ممن يرى تمايز الوحدات المقاتلة في تلك المعركة، وعمل على تطبيق ذلك وتنفيذه فكان «ينادي يا للأنصار كرة صادقة! فكرت الأنصار عليه، فكانت الوقعة التي ثبتوا عليه حتى أباحوا عدوهم» [٢].

أبو عقيل عبد الرحمن بن عبدالله بن ثعلبة البلوي الأنصاري ﷺ حليف بني جحجبي[٣]: شارك في حرب اليمامة، وباشر القتال في بدايته فأصابه سهم أوهن حركته فأقيم في الرحال، قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: فسمع أبو عقيل معن بن عدي يصيح: «يا للأنصار لا يريد الجرحى، قال: فأنا رجل من الأنصار وأنا أجيب ولو حبوا»[٤] فيشارك أبو عقيل ﷺ في القتال وهو على تلك الحال، ويشجع الأنصار على الثبات ويذكرهم بكرتهم على عدوهم يوم حنين، ويباشر القتال ثانية وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، وأثقلته الجراح حتى وقع على

---

١ - ابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ١٤٤١) .

٢ - ابن حبيش: غزوات (١/ ٨٠١) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٦٥) .

٣ - ينظر: ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٢٤٨) ابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ١٦٩٠) ابن الأثير: أسد الغابة، (٣/ ١٣٠٠)

* الرَمق: بقية الروح، والجمع : أرماق .

٤ - ابن سعد: الطبقات، (٣/ ٢٤٩) ابن حبيش : غزوات (١/ ١٢٦) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٦٤) .

الأرض وبه رمق، وعندما يعرض عليه الماء ليشرب وهو على تلك الحال يسأل عن شأن المسلمين فلا يهدأ له بال حتى يُبشر بالنصر ومقتل مسيلمة، مما يؤكد مبدأ الإيثار الذي استقر في نفوس الأنصار، فهم لا يبالون بشأن أنفسهم وإنما همهم حال أمتهم ومستقبل عقيدتهم، قال ابن عمر: «فأخبرت أبي بعد أن قدمت بخبره فقال: رحمه الله ما زال يسأل الشهادة ويطلبها، وإن كان ما علمت لمن خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديمي إسلامهم» [١].

البراء بن مالك بن النضر النجاري الأنصاري ﷺ: كان مجاهدًا مقدامًا، حتى عرف عنه ذلك فكان الخليفة عمر ﷺ يكتب إلى قادة الجيوش الإسلامية: ألا تستعملوا البراء على جيش المسلمين، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم»[٢] ومن مآثر البراء التي اشتهرت عنه أنه «قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك فيه»[٣] ولا شك أنّ هذه المشاركات الواسعة في الجهاد أكسبته خبرة عالية أفاد منها في سيرته العسكرية، وقد برز إقدامه في قتال المرتدين، فهو لا يحضر مشهدًا إلا ويبذل ما في وسعه من طاقة، يتعرض لمواطن الخطر لعل الله يرزقه الشهادة! وفي اليمامة لم يقبل من المسلمين أن يتراجعوا أمام هجمات بني حنيفة ولم يعذرهم في ذلك، وعاتب قومه الأنصار بما ينسب إليه من قول:

---

١ - المصدر السابق:

٢ - ينظر: ابن أبي شيبة: المصنف (٨/ ٥) ابن عبد البر: الاستيعاب (١/ ١٥٤) ابن الأثير: الكامل (٢/ ٢٤٦)

٣ - المصدر السابق: وينظر: مشاركة الأنصار في فتح مدينة تُستر من موضعه من هذا البحث.

أسعدني ربي على الأنصار كانوا يدًا طُراً على الكفار
في كل يوم ساطع الغبار فاستبدلوا النجاة بالفرار[١]

وهذا إشارة إلى ما تخلل معركة اليمامة من جولات الكر والفر تراجع فيها المسلمون أمام هجمات المرتدين، إلّا أنّ البراء خصّ قومه الأنصار في لومه وإن كانت الحقيقة أنهم ثبتوا، وكثير منهم لم يتراجع حتى تراجع مناورة أمام هجمات المرتدين، ولما شاهدوا تراجع بعض المسلمين دعوا إلى تمايز الوحدات المقاتلة فاجتمعوا تحت قيادة واحدة كان لها الإسهام الكبير في تحقيق النصر- كما اتضح ذلك.

ولما اجتمع الأنصار تحت رايتهم، كان البراء بن مالك ﷺ في مقدمة المهاجمين، ولما وقف المسلمون أمام باب الحديقة قال البراء: ألقوني عليهم في الحديقة، فقال الناس: لا تفعل يا براء! إلا أنّ البراء «رمى بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة فحُمل إلى رحله يُداوى ﷺ فأقام عليه خالد بن الوليد ﷺ شهرًا»[٢] حتى تماثل للشفاء.

ولم تقتصر مشاركة البراء ﷺ في معركة اليمامة على ما سبق فقط، فقد ولّاه خالد قيادة الخيل بعد أن جال المسلمون عن مواقعهم في بداية المعركة، فقاتل

١ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٢٩) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٢٧).
٢ - ابن عبد البر: الاستيعاب (١/ ١٥٥) ابن الجوزي: المنتظم، (٣/ ٢٧).

البراء بإقدامه المعروف فأسهم في صدّ هجمات المرتدين العنيفة على المسلمين ومن مشاركاته مبارزة مُحكّم اليمامة وقتله[١].

قال أبو سعيد الخدري الأنصاري ﷺ: فقال لنا البراء: احملوا عليهم حملة صادقة تريدون الموت فيها، ثم أظهر التكبير فكبرنا معه ... فلم نزل حتى فتح الله علينا[٢].

ومن هذه النصوص والمشاركات العملية في الجهاد، الذي خاضه البراء بن مالك الأنصاري، يتبين منهجه في الجهاد، وشدة إقدامه، وقوة صبره وحرصه على الشهادة وتعرضه لها في مواطنها، ولعل تمسك البراء بأسلوبه القتالي هذا، هو الذي دعا أمير المؤمنين عمر ﷺ إلى أن يعدّ ذلك تفريطاً بهم، إذ إنّ البراء لا يبالي إن وقع على الموت أو وقع الموت عليه، حيث كان يبحث عن الشهادة ﷺ.

أمّ عمارة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية رضي الله عنها: إحدى نساء الأنصار المجاهدات، شاركت في معركة اليمامة وباشرت القتال بنفسها، وروت أحداث تلك المعارك مفصلة، ووصفت طريقة القتال بعد أن دخل المسلمون الحديقة فقالت: ودكت السيوف بيننا وبينهم، ما فيها رمي بسهم ولا حجر، ولا طعن برمح، حتى قتلنا عدو الله مسيلمة»[٣] وكان من أهداف أم عمارة في تلك المعركة، الإسهام في قتل مسيلمة، والثأر لابنها حبيب الذي قتله مسيلمة، فتدخل

---

١ - ابن خياط : تاريخ (ص١٠٨) الطبري : تاريخ (٣/ ٢٩٠) .

٢ - ابن خياط : تاريخ (ص ١٠٨) ابن جحيش : غزوات (١/ ١٢١) الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ٥٨) .

٣ - ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٨) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٥٥) .

في صفوف المجاهدين تترصد هدفها، قالت: فبصرت بعدو الله فأشد عليه، ويعرض لي رجل منهم، فضرب يدي فقطعها، فوالله ما عرجت عليها حتى انتهيت إلى الخبيث وهو صريع، وأحد ابني عبدالله قتله وقطع الله دابرهم[١].

ومما جرى لأمّ عمارة من رعاية بعد هذه المعركة تظهر العلاقة الودية التي كانت تربط بين الجند وقيادتهم، قالت أم عمارة: «فلما انقطعت الحرب ورجعت إلى منزلي جاءني خالد بن الوليد بطبيب فداواني بالزيت المغلي، وكان والله أشدّ علي من القطع، وكان خالد كثير التعاهد لي، حسن الصحبة لنا، يعرف لنا حقنا، ويحفظ فينا وصية نبينا ﷺ»[٢].

وقد جرحت أمّ عمارة رضي الله عنها في تلك المعركة جراحًا كثيرة وبالغة، كما فشت الجراح في المسلمين «ولقد أقام الناس باليمامة خمس عشرة ليلة وما يصلي مع خالد ﷺ من المهاجرين والأنصار إلا نفر يسير من الجراح!»[٣] ومما يثير الدهشة ويبعث على الإعجاب والإكبار، ما كان يتمتع به الأنصار من الصبر وقوة التحمل، والاستعداد الكبير للتضحية بكل شيء في سبيل إعزاز الإسلام ونصرته، فهذه أم عمارة تُقطع يدها فلا تلتفت إليها، وكعب بن عُجرة الأنصاري تُقطع شماله «فوالله ما عرج عليها، وإنه ليضرب بيمينه، وإنّ شماله لتهراق الدماء حتى انتهى إلى الحديقة فدخل»[٤]، في حصن أتباع مسيلمة الكذاب.

---

١ - ينظر: ابن أبي شيبة : المصنف (٣/ ٨) . ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٦) .
٢ - ينظر: ابن أبي شيبة : المصنف (٣/ ٨) ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٦) .
٣ - ينظر: ابن أبي شيبة : المصنف (٣/ ٨) ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٦) .
٤ - الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٣٦)

وأبو عقيل الزرقي الأنصاري ﷺ مثقل بالجراح فيسمع داعي الجهاد يقول: يا للأنصار فيجيب الداعي ويباشر القتال وهو على تلك الحال «وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت إلى الأرض وبه أربعة عشر جرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل»[١].

وهذا الاستعداد المنقطع النظير للتضحية، اتسم به جميع المسلمين في اليمامة، لكنه برز عند الأنصار بوضوح كبير شاركوا فيه أفرادًا ومجتمعين، فكانوا في المقدمة يتصدون للمرتدين، قال ابن عمر بن الخطاب ﷺ: «فاجتمعوا جميعًا يقدمون المسلمين دريئة دون عدوهم»[٢] .

وقد شهد للأنصار بالإقدام والصبر في ذلك اليوم مجّاعة بن مرارة الحنفي، عند الخليفة أبي بكر ﷺ فقال: «يا خليفة رسول الله، لم أر قوماً قط أصبر لوقع السيوف ولا أصدق كرة من الأنصار ... فلقد رأيتني وأنا أطوف مع خالد بن الوليد أُعرفه قتلى بني حنيفة، وإني لأنظر إلى الأنصار وهم صرعى، فبكى أبو بكر الصديق ﷺ حتى بل لحيته»[٣] ومما سبق يتضح منهج الأنصار في جهادهم الذي هو سجية فيهم، وقد تجلّى واضحاً في معركة اليمامة، لما شاهدوا من خطورة عدوهم على دينهم، ولما يعرفونه من عداوة مسيلمة للإسلام، وعدم إسلامه في حياة رسول الله ﷺ.

---

١ - ينظر: ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٤٨) ابن عبد البر : الاستيعاب (٤/ ١٦٩٠) ابن حبيش: غزوات (١/ ١٢٦) .

٢ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٢٦) الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ٦٤) .

٣ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٠٨) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٦٥) .

مقتل مسيلمة الكذاب:

مسيلمة كان يمثل رمز المرتدين من بني حنيفة، لما لفق لهم من أقوال وحيل[١] زادت بني حنيفة مباعدة عن الإسلام، وولدت عندهم العزيمة على القتال والتصدي للمسلمين، لهذا كان مقتله يمثل فتحاً للمجاهدين في تلك المعركة، لا لتخلصهم من قائد المرتدين فقط، ولكن لزوال أسباب القتال التي كان مسيلمة يغذي بها ثبات بني حنيفة في تلك الحرب.

ومن هنا فقد تعددت الأقوال حول مقتله، فبعض الأنصار يقولون: قتله عبدالله بن زيد بن ثعلبة الحارثي، وبعضهم يقول: قتله أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري، وقال بعضهم: قتله عبدالله بن زيد ابن عاصم من بني مبذول وهو ابن أم عمارة المازنية، وادعى قتله قوم من قريش منهم خداش بن بشير ابن الأصم أحد بني عامر بن لؤي، وكان معاوية بن أبي سفيان يذكر أنه قتله، وقال قوم: إن هؤلاء جميعا شاركوا في قتله[٢] وروي عن وحشي قاتل حمزة قال:« نظرت إلى مسيلمة وما أعرفه ورجل من الأنصار يريده ... فهززت جربتي ثم دفعتها عليه، وضربه الأنصاري فربك أعلم أينا قتله»[٣] وسبق القول أنه روي عن أم

---

١ - ينظر الطبري: تاريخ (٣/ ٢٨٢) فما بعدها .

٢ - البلاذري: فتوح البلدان (ص ١٢١) .

٣ - ابن الجوزي : المنتظم (٣/ ٢٧) ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٩) الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ٦١) .

عمارة المازنية، أن أبنها عبدالله بن زيد هو الذي قتله وأنها سجدت شكرًا لله تعالى، الذي مكنها من قاتل ابنها حبيب[١].

ومن هذه النصوص يظهر الاهتمام بمقتل مسيلمة الكذاب، ويبرز الدور الواسع للأنصار في ذلك، وشهودهم لكل أحداث تلك الموقعة، وإسهامهم في تحقيق النصر النهائي فيها، وإن لم تجزم الروايات بتحديد قاتل مسيلمة، إلا أنها أظهرت المشاركات العملية لهم في قتله، وقد يكون شاركهم في ذلك من ذكر من المسلمين في هذه الروايات ولا سيما أنه قائد المرتدين هناك، ومحاط بحراسات قوية مما يجعل احتمال مشاركة كل هؤلاء في قتله واردة.

شهداء الأنصار في اليمامة (١٢هـ):

زاد عدد شهداء الأنصار في اليمامة على عدد شهدائهم في أي معركة أخرى، وذلك لما بذلوا من جهد وقدموا من تضحيات، قال الخليفة أبو بكر ﷺ لخالد بن الوليد بعد عودته من اليمامة: سَمّ لي أهل البلاء. فقال: كان البلاء للبراء بن مالك الأنصاري والناس له تبع، فلما قدم خالد إلى المدينة لم يبق فيها دار إلا فيها بكاء لكثرة من قتل معه من الناس، فبكى أبو بكر ﷺ لما رأى ذلك وقال: والله لثابت بن قيس بن شماس أعزّ على الأنصار من اسماعها وأبصارها. واختلف في عدد من استشهد فيها من المسلمين، فأكثر ما ذكر في ذلك ما جاء في كتاب أبي بكر ﷺ

١ - ينظر : ابن أبي شيبة : المصنف (٨/ ٣) ابن حبيش: غزوات (١/ ١٣٩) المسند الجامع (ح ١٢٠٩٨/١٥)

إلى خالد: «إن في بابك دماء ألف ومائتين من المسلمين»[١] أي من المهاجرين والأنصار وغيرهم، وقيل لرافع بن خديج الأنصاري: أيّ القتلى كان أكثر قتلاكم أم قتلاهم؟ قال: قتلاهم أكثر من قتلانا، أحسبنا قتلنا منهم ضعف ما قتلوا منا مرتين، فقد قتل من الأنصار يومئذ زيادة على التسعين، وجرح منهم مائتان [٢] وروي عن أنس بن مالك قال: «قتل سبعون من الأنصار يوم مسيلمة»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «قتلت الأنصار في مواطن أربعة، سبعين، سبعين، يوم أحد، ويوم بئر معونة، ويوم اليمامة، ويوم جسر أبي عبيد سبعين»[٤] وروي عن زيد بن طلحة الأنصاري قال: «قتل يوم اليمامة من قريش سبعون، ومن الأنصار ستون، ومن سائر الناس خمسمائة»[٥] وروي أنّ فيهم «خمسين أو ثلاثين من حملة القرآن»[٦] وروى سالم بن عبدالله بن عمر فقال: «قتل يوم اليمامة ستمائة من المهاجرين والأنصار»[٧] وهذه الرواية مقاربة في عددها لرواية زيد بن طلحة الأنصاري السابقة ورواية أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري الأنصاريين أيضًا متقاربتان أو متفقتان.

---

١ - ابن أعثم : الفتوح، (١/ ٤٠) ابن حبيش : غزوات (١/ ١٤٧) .
٢ - الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ٥٥) .
٣ - الساعاتي: الفتح الرباني، (٧/ ٤٣٥) .
٤ - الكلاعي : الاكتفاء (٧/ ٧٦) وأبوعبيد الثقفي قائد معركة البويب وهي ذاتها معركة الجسر.
٥ - ينظر: ابن خياط: تاريخ (ص ١١١) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٧٦).
٦ - ابن خياط : تاريخ (ص ١١١) .
٧ - ابن حبيش : غزوات (١/ ١٥٨) الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ٧٦) .

ومن هذه النصوص يتضح أن شهداء الأنصار في اليمامة لا يقلّون عن ستين ولا يزيدون على التسعين، إذ أنّ هذه هي أدنى وأعلى الأعداد التي ذكرت، ومن خلال إحصائية هذا البحث لشهداء الأنصار في اليمامة والتي بغلت «واحدًا وثمانين شهيدًا»[1] يمكن أن يكون رقم تسعين هو الإحصاء الصحيح لشهداء الأنصار في تلك المعركة.

أما التفاوت في عدد شهداء الأنصار في اليمامة، فقد يكون بسبب الخلاف حول طريقة إحصائية الرواة لأولئك الشهداء، فقد يكون بعضهم أحصى الأنصار ولم يحص حلفاءهم أو لم يحص من قتل في الطريق بعد المعركة أو قبلها، أو لم يحص من مات من جرحى معركة اليمامة بعد ذلك، أما عدم تتمة إحصائية هذا البحث إلى التسعين، فقد يكون فات الاطلاع على تتمة هذه الأسماء، أو لعدم وجود بعض المصادر أو أن الرواة في الأصل لم يتموا هذا الرقم، لأن تتمته كانوا من غلمان الأنصار أو مواليهم، فلم يحصل الاعتناء الكافي بهم فضاعت أسماؤهم فيما بعد، أو غير ذلك من الأسباب.

أما العدد الذي جاء في كتاب أبي بكر ﷺ إلى خالد فمن الممكن أنّه يشمل جميع قتلى حروب الردة من المسلمين حتى معركة اليمامة، كما أنّ هذا الكتاب كان يحمل لومَأ لخالد بن الوليد لزواجه وهو في حالة الحرب، فأراد الخليفة أن يلفت انتباهه إلى كثرة الدماء التي أريقت في تلك الحرب.

---

١ - ينظر: ملحق إحصائية شهداء الأنصار في معركة اليمامة، الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٣٧٣.

وترك شهداء اليمامة أثرًا عميقًا في نفوس المسلمين، وذلك لقدم إسلامهم وسمو مواقفهم وجميل أعمالهم، فقد كان عمر ﷺ يذكر ذلك اليوم ومن قتل فيه من المهاجرين والأنصار فيقول: «ألحت السيوف على أهل السوابق من المهاجرين والأنصار، ولم نجد المعوّل يومئذ إلا عليهم خافوا على الإسلام أن يُكسر بابه، فيدخل منه إن ظهر مسيلمة فمنع الله الإسلام بهم حتى قتل عدو الله، وأظهر الله كلمته، وقدموا يرحمهم الله على ما يسرون به ثواب جهادهم، لمن كذَب على الله وعلى رسوله ﷺ ورجع عن الإسلام بعد الإقرار به.

وقال عمر ﷺ: «جعل منادي المسلمين يوم اليمامة ينادي: **يا أهل القرآن!** فيجيبون المنادي مثنى وفرادى فاستمرّ بهم القتل؛ فرحم الله تلك الوجوه، ولولا ما استدرك خليفة رسول الله من جمع القرآن لخفت ألا يلتقي المسلمون وعدوهم في موضع إلا استحرّ* القتل بأهل القرآن[1].

وأهل القرآن والسابقون إلى الإسلام كانوا هم أشدّ حماسة على الجهاد، وأكثرهم حرصًا على الشهادة وأقربهم إلى العدو وأجرأهم عليه، وذلك نابع من حرصهم على الجهاد وافتداء الإسلام والمسلمين بأنفسهم، لما في ذلك من نصرة للدين، ومن عظيم الأجر والمثوبة من الله تعالى، وقد كانت نسبة الأنصار رضي الله عنهم بين أهل القرآن والسابقين الأولين كبيرة، ولهذا فإنه من الطبيعي أن يتعرضوا للقتل أكثر من غيرهم لأنهم دائما في مقدمة المجاهدين.

---

١ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٠٨) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٧٧) * استحر القتل: أي اشتدّ وكثر.

وقد جاء تخوف الخلفاء من ذهاب بعض القرآن مع هؤلاء السابقين، إذ إنّ مجموعهم يشكل الأحداث المتكاملة لتأريخ عصر الرسالة، فهم شهود لكل ما نزل من القرآن وما جاء من الوحي، ومن هنا فإنّ إقدامهم على الشهادة بهذه الحماسة يهدد بانتهاء هذا الجيل وانقراض أهل السوابق، إذ إنّ من يذهب منهم لن يأتي من يسدّ مسده في صحبه وشهوده نزول الوحي وسماعه من رسول الله ﷺ أما حفظ القرآن فإنّه لم يشكل بذاته خطرًا يتهدد القرآن، والباحث في جيل التابعين يجد أنّ كثيرًا منهم تخرّج على أيدي الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولا سيما في حفظ القرآن ورواية الحديث وفي الفقه.

فجاء حرص الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على تدوين القرآن بشهود هذا الجيل وحضور هذا الجمع من الصحابة رضي الله عنهم والناظر في قائمة شهداء الأنصار في معركة اليمامة يجد مصداق ذلك فضلاً عن شهداء المهاجرين من أهل السوابق.

أما قتلى بني حنيفة يوم اليمامة فقد كانوا أكثر من سبعة آلاف وقيل غير هذا «وكان داؤهم خبيثاً والطارئ منهم على الإسلام عظيماً فاستأصل الله شأفتهم وردّ أُلفة الإسلام على ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ»[1].

موقف الأنصار من كتاب أبي بكر ﷺ بعد الفراغ من حرب اليمامة: قدم سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري ﷺ من المدينة إلى اليمامة يحمل كتاب الخليفة ﷺ إلى خالد يأمره بقوله: «إن أظفرك الله ببني حنيفة فلا تستبق منهم رجلاً

١ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٦٣) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ٧٨).

جرت عليه الموس»[١] فكان موقف الأنصار مطابقًا لموقف الخليفة، أما خالد الذي أجرى الصلح مع بني حنيفة فكان يرى من المصلحة عدم إنفاذ ذلك.

وكان أُسيد بن حضير وأبو نائلة الأنصاريان يحاوران خالدًا نيابة عن الأنصار، فطلبا منه مواصلة الجهاد حتى يتم القضاء على المرتدين وتزول أخطارهم، وطالباه بتنفيذ كتاب الخليفة على بني حنيفة[٢]، فاحتج خالد بأن الصلح قد مضى بين الطرفين، وأنهم قد أسلموا[٣] وبذلك انتهت حرب اليمامة، وتمّ الصلح وأعلن من بقي من بني حنيفة إسلامه وخضوعه للخلافة والتزامه بتوجهاتها، ومن اللافت للنظر ما اتخذه الأنصار من موقف متشدد من بني حنيفة على الرغم مما أصابهم من قتل وجراح، طالت الكثير منهم، حيث طلبوا مواصلة القتال.

وقد يفسر ذلك معرفتهم بموقف مسيلمة من الإسلام وكفره به في حياة رسول الله ﷺ وما أحدثه من بدع ولفق من تعليمات مناقضة للعقيدة الإسلامية غرسها في نفوس بني حنيفة، فضلاً عمّا أصابوا من المسلمين، وقتلوا منهم في معركة اليمامة، فكان موقف الأنصار مبنيًا على تقدير مدى خطورة هؤلاء على

١ - خليفة بن خياط : تاريخ (ص ١١٠) الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ٦٩) .

٢ - ينظر : ابن خياط : تاريخ (ص ١١٠) الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ٦٨) ابن الأثير : أسد الغابة (٥/ ١١٧) .

٣ - ابن حبيش : غزوات (١/ ١٤٧) الكلاعي، الاكتفاء، (٣/ ٦٩) وينظر: البلاذري : فتوح البلدان (ص١٢٣).

الإسلام ومستقبله، إن أتيحت لهم فرصة أخرى، أو إن ظهر فيهم متنبئ مثل مسيلمة الكذاب.

الأنصار والردة في اليمن:

زيادة بن لبيد بن ثعلبة بن سنان البياضي الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه[1]: اتضحت مشاركة الأنصار في الجهاد ضد المرتدين، وبرزت آثارهم في ذلك في البطاح وبزاخة واليمامة، فظهر انضباطهم وحسن سيرتهم وجميل طاعتهم، فضلا عن إقدامه وجرأتهم، وحرصهم على التعرض للشهادة في مواطنها، ومواساتهم للمسلمين بأنفسهم، وبذلهم لمهجهم حماية لإخوانهم وافتداء لعقيدتهم، مما كان له أكبر الأثر في إحراز الانتصارات التي أخمدت نار الردة.

أما مشاركة الأنصار في حروب الردة في اليمن فلم تفصح المصادر التي اطلعت عليها عن حجم تلك المشاركة، ولم يعثر الباحث على رواية تبين عدد المشاركين فيها أو كيفية مشاركتهم، إلا أنّ الروايات قد فصلت القول، عن الدور القيادي والأثر الجهادي الكبير الذي قام به زياد بن لبيد البياضي رضي الله عنه في القضاء على المرتدين في اليمن.

وزياد هذا صحابي قديم إسلامه، شهد بيعة العقبة الثانية، وخرج من المدينة إلى مكة، فأقام فيها حتى هاجر النّبي ﷺ فهاجر معه، فكان يقال: زياد مهاجري أنصاري، وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان عامله على

---

١ - ينظر: ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٣٠٢) ابن حبيش: غزوات (١/ ١٣٢) ابن عبد البر: الاستيعاب (٢/ ٥٣٣).

حضرموت[١] وروي أنّ رسول الله ﷺ نوّه بذكائه وكفايته وعلمه، فقال: «**إن كنتُ لأحسبك من أفقه أهل المدينة**»[٢] ولاّه رسول الله ﷺ حضرموت ثم ضمّ إليه كندة، ويقال: الذي ضم إليه كندة أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه[٣].

ولما ولي الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعث **أبا هند مولى بني بياضة الأنصاري** بكتاب إلى زياد يقرّه فيه على عمله، ويبين له المنهج الذي يتوجب عليه العمل به، وأن يأخذ البيعة من أهل ولايته للخليفة، وأن يستخدم سياسة الحزم والشدة في تجاوز تلك المرحلة الحرجة التي تمر بها الخلافة، وجاء في كتاب الخليفة لزياد: «فانظر ولا قوة إلا بالله أن تقوم مقام مثلك، ويبايع من عندك، فمن أبى وطئته بالسيف، وتستعين بمن أقبل على من أدبر»[٤] وقام زياد بن لبيد رضي الله عنه بما وجهه إليه كتاب الخليفة، ودعا كندة إلى البيعة فأبى الأشعث ابن قيس الكندي أن يبايع[٥] وافتربت كندة فرقتين، فرقة أقامت على الدين، وفرقة عزمت على منع الزكاة والعصيان، فلما بدأ زياد بجمع الصدقات، أخذ قوم من كندة يتبرمون من ذلك،

---

١ - البلاذري: فتوح البلدان، (١٤٠) الطبري: تاريخ (٣/ ٣٣٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، (٢/ ٥٣٣) .

٢ - ابن حنبل: المسند، (٢٢٨٦٥) صحيح ابن حبان (٦٧٢٠) البلاذري: فتوح البلدان (١٤٠) ابن أعثم: الفتوح (١/ ٥٥).

٣ - المصدر السابق.

٤ - ينظر: ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٣٩) الكلاعي : الاكتفاء (١/ ٩٩) .

٥ - الواقدي: الردة، ص ١٧٣) ابن أعثم : الفتوح (١/ ٥٦) .

وعملوا على اختلاق الأعذار لتعطيل ذلك [١]، منهم حارثة بن سراقة الكندي، الذي عبر عما يجيش في نفوس المرتدين بشعره فقال:

وإن أناسا يأخذون زكاتكم أقلّ وربّ البيت عندي من الذر
أنعطي قريشاً مالنا إنّ هذه لتلك التي يخزي بها المرء في القبر[٢]

فأفصح المرتدون من كندة عن موقفهم الرافض لعطاء الصدقة، معلنين عن ردتهم مفسرين ذلك بقولهم:

إذا نحن أعطينا المصدّق سؤله فنحن له فيما يريد عبيد
أفي كل يوم للمهاجر جبوة ولابن لبيد إنّ ذا لشديد[٣]

ويبدو أن الأمور تطورت حتى فكر زياد بن لبيد بالسفر إلى المدينة، لكنه تأنى في ذلك، ووجه بما عنده من أموال الصدقة إلى المدينة، وسار هو إلى أحياء كندة يدعوهم إلى الطاعة فلم يتبعوه [٤] فتبادل الشعر مع المرتدين الذين لم يعترفوا بخلافة أبي بكر ﷺ فقال:

نقاتلكم في الله والله غالب على أمره حتى تطيعوا أبا بكر
وحتى تقولوا بعد كفر وردة بأنّا أناس لا نعود إلى الكفر[٥]

الكفر[٥]

١ - البلاذري : فتوح البلدان، (ص ١٤٠) .
٢ - الواقدي : الردة، (ص ١٧٠) ابن الأثير : الكامل (٢٥٧) .
٣ - الواقدي : الردة، (ص١٧٣) ابن أعثم : الفتوح، (١/ ٥٩) .
٤ - الواقدي: الردة، (ص١٧٦) البلاذري : فتوح البلدان (ص ١٤١) .
٥ - م . ن (ص١٧٣) (١/ ٥٩) ابن أعثم : الفتوح، (١/ ٥٩) .

وبعد أن يئس زياد من طاعة كندة، سار إلى المدينة وأعلم الخليفة بتفصيلات مواقف كندة، فجهز له أبو بكر ﷺ جيشاً من أربعة ألاف رجل، ولم أطلع على هوية هؤلاء الجند أو على حجم مشاركة الأنصار في ذلك الجيش، إلا أنّ القائد الأعلى فيه هو زياد بن لبيد البياضي الأنصاري، الذي قاد ذلك الجيش حتى أشرف على ديار كندة، فاتصلت أخباره بالسكاسك والسكون، وهما قبيلتان من قبائل كندة، فانضمتا إلى زياد وعم رجالها على نصرته [١] وقال شاعرهم مؤكدًا ذلك:

ونحن نصرنا الدين إذ ضلّ قومنا شقاء وشايعنا ابن أم زياد

ولم نبغ عن حق البياضي مزحلا وكان تقى الرحمن أفضل زاد[٢]

وفي تلك المرحلة حاول الخليفة أن يتألف المرتدين، فكتب إلى الأشعث بن قيس الكندي كتابًا جاء فيه: «وإن كان إنما حملكم على الرجوع عن دين الإسلام ومنع الزكاة، ما فعله عاملي زياد بن لبيد الأنصاري، فإني أعزله عنكم وأولي عليكم من تحبون ..»[٣] كتب حسان بن ثابت الأنصاري شعرًا إلى كندة ينصحهم فيه بالرجوع إلى الإسلام فقال:

أنيبوا إلى الحق يا قومنا فإني لكم ناصح فاقبلوا[٤]

١ - الواقدي: الردة، (ص١٨٥) البلاذري : فتوح البلدان (ص١٤٠) الطبري : تاريخ (٣/ ٣٣٣) .

٢ - البلاذري: فتوح البلدان، (ص١٤٠) ابن أعلم : الفتوح (١/ ٦٤) .

٣ - الواقدي: الردة (ص١٩)

٤ - المصدر السابق: (ص ١٩٢) .

لكن الأشعث ومن معه من كندة لم يستجيبوا لكتاب الخليفة أبي بكر، وعدى أحد بني عم الأشعث على رسول الخليفة فقتله، وكان رجلا من بني قيس بن عيلان[١] لكن هذا العمل عاد سلبًا على المرتدين، إذ أنكر ذلك ثور بن مالك الكندي، وهو أحد الذين أسملوا أيام معاذ بن جبل الأنصاري فأسكتوه ولطموه، فخرج عنهم والتحق بزياد وقال يصف حاله مع قومه:

فقلت تحلّوا بدين الرسول فقالوا سفاها ترابا بفيكا [٢]

ونصح الأشعث آخرون من كندة، بالتعاون مع زياد ومبايعة الخليفة[٣] لكنه أصر على ردته، فلما تبين للخليفة أبي بكر ذلك، كتب إلى المهاجر بن أبي أمية وكان واليًا على صنعاء أن يلتحق بزياد بن لبيد بحضرموت[٤] وفي هذه المرحلة جرت حروب بين زياد، وبعض قبائل المرتدين التابعة للأشعث بن قيس، انتصر فيها زياد وقتل ما كان يسمى بالملوك الأربعة، وكانوا من أشراف كندة مما حدا بالأشعث إلى جمع قبائل كندة[٥] ومهاجمة زياد في مدينة تريم، فدارت بينهم وقائع

---

١ - الواقدي: الردة (ص ١٩٢) .

٢ - المصدر السابق: (ص ١٨٤) .

٣ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٣٢) .

٤ - ابن خياط: تاريخ (ص١١٦) ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٥) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ١٠٣) .

٥ - الواقدي: الردة، (ص ١٨٩) ابن خياط : تاريخ (ص ١١٦) ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٤) .

عديدة [١]، وصل على إثرها المهاجر بن أبي أمية مددا لزياد بن لبيد، مما اضطر الأشعث إلى الانسحاب والاحتماء في حصن النجير [٢] وبدأ العمل على جمع القبائل التي لم تشارك معه من بني الحارث وحمير ومن معهم، مما حدا بزياد إلى استمداد الخليفة مجددًا، فأمده أبو بكر بعكرمة بن أبي جهل في سبعمائة فارس [٣] ولم تفصح الرواية عن هوية هؤلاء الفرسان، وهل فيهم أحد من الأنصار أو لا؟ فلما وصلت تلك القوة إلى زياد تمكن من تشديد الحصار على الأشعث حتى نزل من حصنه وطلب الأمان[٤].

أسر الأشعث بن قيس وإرساله إلى المدينة: كان زياد بن لبيد الأنصاري لا يرى منح الأمان للأشعث بن قيس الكندي لما علم من ردته، وخطورته السياسية على الخلافة، ولما خلق من متاعب والحق من خسائر بالمسلمين، لكن عكرمة بن أبي جهل ألح على زياد حتى قبل إعطاءه الأمان[٥] ولما نزل الأشعث من حصنه، أرسل به زياد ومعه ثمانون من زعماء كندة مع نهيك بن أوس

١ - ينظر: ياقوت معجم البلدان (٢/ ١٢٨) وقال: تريم: إحدى مدينتي حضرموت، وحضرموت: اسم لجميع المدينة، والمدينة الأخرى اسمها: شبام.

٢ - المصدر السابق: (٢/ ٢٧٢) (وحصن "النُجير" قرب حضرموت).

٣ - ابن حبيش: غزوات (١/ ١٤١) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ١٠٣) وذكر الواقدي في الردة : أن عكرمة قدم بألفين من المسلمين.

٤ - الواقدي : الردة (ص ٢٠٧) ابن حبيش : غزوات (١/ ١٣٨) الكلاعي : الاكتفاء (٣/ ١٠٦).

٥ - الواقدي: الردة (ص ٢٠٧) ابن أعثم : الفتوح (١/ ٨٣) ابن الأثير: الكامل (٢/ ٢٥٩) .

الخزرجي الأنصاري [١] فتاب الأشعث على يدي أبي بكر، فعفى عنه بعد أن أعطاه العهود والمواثيق على الوفاء بتوبته والثبات على الإسلام، وزوجه بأخته أم فروة بنت أبي قحافة فأقام في المدينة[٢].

وبأسر الأشعث بن قيس وزعماء كندة، تمكن زياد بن لبيد الأنصاري من القضاء على الردة في اليمن، التي لا تقل في خطورتها عن ردة بني حنيفة ومسيلمة في اليمامة، وإن تذرع المرتدين في اليمن بعدم دفع الزكاة، ما هو إلى مسوغ لعصيانهم، ولا سيما بعد رفضهم لكتاب أبي بكر الذي حاول استرضاءهم به، مما يؤكد إصرارهم على العصيان، وتماديهم في محاولة الانشقاق عن دولة الخلافة.

ومن هنا يمكن القول: إن ردة كندة ردة سياسية، اتخذت من قضية الزكاة ستارًا لها، أمن المنهج الإسلامي في الدعوة وجباية الزكاة، فإنه يراعي التدرج ولا يستثير أحدًا، ولا يعطي مسوغًا لإعلان العصيان على الدولة الإسلامية، يتضح ذلك من وصايا رسول الله ص لمعاذ بن جبل الأنصاري لما بعثه إلى اليمن ومنها قوله ﷺ: «فقل: إن الله فرض عليكم في أموالكم صدقة تؤخذ من أغنيائكم فترد إلى فقرائكم، فإن أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم»[٣].

---

١ - ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة (٤/ ٢٥٩) ابن حبيش: غزوات (١ / ١٣٩) وذكر ابن حبيش أن الأشعث بن قيس قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، والله ما تفوت ولكن شححت بمالي .

٢ - الواقدي: الردة، ٢١١، ابن أعثم: الفتوح (١ / ٨١) ابن الأثير: الكامل (٢/ ٢٦٩) : وقال فرد عليه زوجته وكان خطب أخت الخليفة ﷺ (أمّ فروة) قبل ردة كندة.

٣ - البلاذري: فتوح البلدان (ص ٩٧) .

الأنصار والردّة في البحرين: لم يغب الأنصار عن عامة المشاهد التي دارت رحالها في عصر الخلافة الراشدة، إلا أن المصادر لم تفصل في مشاركاتهم أحيانا، وأحيانا أخرى تذكرهم بشكل مجمل دون إبراز عدد الأنصار أو إسهاماتهم، ومن ذلك في البحرين لما اجتمع الفرس ومشركو بكر بن وائل على حرب قبائل عبد القيس المسلمة، أرسل إليهم أبو بكر، العلاء بن الحضرمي ومعه ألفا رجل من المهاجرين والأنصار[١].

وقال الواقدي: استشهد عبدالله بن عبدالله بن أُبي الأنصاري بجواثا [٢] وهي حصن بالبحرين وقيل: إنّ عبدالله استشهد باليمامة [٣] ثم أتى العلاء الزّارة وبها المكعبر[٤] فحصره فيها، ثم إن مرزبان الزارة دعا إلى المبارزة، فبارزه البراء بن مالك الأنصاري فقتله، وأخذ سلبه فبلغ أربعين ألفا[٥] وفي رواية أخرى أن البراء أخذ سواريه ويلمقا [٦]، كان عليه ومنطقه، فخمسه عمر لكثرته، وكان أول سلم خمس في الإسلام [٧] وهذه الإشارات إلى إسهامات الأنصار، تؤكد مشاركتهم في

١ - البلاذري: فتوح البلدان (ص ١٠٦) وينظر: ياقوت: معجم البلدان (١ / ٣٤٦) .
٢ - بنظر: ياقوت، معجم البلدان (٢ / ١٧٤) .
٣ - ينظر قائمة شهداء اليمامة .
٤ - البلاذري: فتوح البلدان، (ص ١١٦) والمكعبر: فارسي وهو صاحب كسرى الذي وجهه لقتل بني تميم حين عرضوا لغيره واسمه فيروز بن جشيش بالزارة، وانضم إليه مجوس كانوا بالقطيف.
٥ - البلاذري: فتوح البلدان (ص ١١٧).
٦ - بلمق: أي درع: وجمعها يلامق، وهي كلمة فارسية . المصدر السابق: (ص ١١٨).
٧ - البلاذري: فتوح البلدان (ص ١١٨).

القضاء على الردة في البحرين، وبذلك يكون الأنصار قد شاركوا في كل صفحات الجهاد ضد المرتدين، وأسهمو في القضاء على كل بؤرها التي استعرت فيها حتى انتصرت جيوش الخلافة واستقرت أركان الدولة الإسلامية، وأخذت تتهيأ لعمليات التحرير والفتوح على أوسع نطاق في تاريخها.

المبحث الثاني

مشاركات الأنصار في فتوح الشام ومصر والعراق والمشرق

الأنصار بعد حروب الردة:

بعد انتهاء حروب الردة، أجمع المسلمون من المهاجرين والأنصار على توجيه الجيوش إلى الشام [١]، فعقد الخليفة أبو بكر الألوية سنة (١٣هـ)[٢] فرأى الحاجة إلى أعداد أخرى من الجند، واقترح استنفار أهل اليمن للمشاركة في ذلك فأقره مستشاروه من المهاجرين والأنصار على ذلك [٣].

وكان إسهام الأنصار في ذلك مبكرًا، إذ قام أنس بن مالك الأنصاري باستنفار أهل اليمن، وإبلاغهم كتاب الخليفة [٤]ولم تكن مهمة أنس بن مالك سهلة، إذ إن الردة اجتاحت أكثر بلاد اليمن، ولكنه أثبت جدارة في أداء مهمته، ونجح في خطابه لأهل اليمن، فكان يقرأ عليهم كتابة الخليفة، ثم يقول: فإني رسول خليفة رسول الله ص إليكم، إلا وإني قد تركتهم معسكرين ليس يمنهم من الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجلوا إلى إخوانكم بالنصر" [٥]فكانوا يحسنون عليه الرد، ويتهيئون للمسير.

١- البلاذري : فتوح البلدان (ص١٤٩)

٢- المصدر السابق.

٣- ابن حبيش: عزات (١ / ١٤٨) الكلاعي : الاكتفاء (٣ / ١٦٦) .

٤- ينظر: نص كتاب أبي بكر إلى أهل اليمن، ابن حبيش : غزوات (١/ ١٤٨) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ١٦٦) .

٥- المصدر نفسه، وينظر: البلاذري: فتوح البلدان (ص ١٤٨) .

قال أنس : فلما قدمت قبائل حمير وكان عليهم ذو الكلاع الحميري، فرح بهم أبو بكر، ثم قدم قيس بن المكشوح المرادي بمن معه [١]، فتهيأت بذلك الإمدادات لجيوش الفتح المتوجه إلى الشام.

ولما وجه الخليفة أبو بكر الصديق الجيوش إلى الشام لتحريرها ونشر الإسلام فيها سنة ١٣ هـ [٢] ودع المسلمين وأوصاهم واستحثهم على الجهاد.

فرأى معاذ بن جبل من واجبه أن يشد من عضد الخليفة ويعلمه بمحبته له، ويشكر له سعيه وجهده في مواجه المرتدين، وإعادة تثبيت الإسلام في بلاد العرب، فقال: «إن الله استخلفك على ملأ من المسلمين ورضي منهم بك، فارتدّ مرتدّون وأرجف مرجفون، ورجعت راجعه عن هذا الدين، فأدهن بعض وأحبّ المهادنة والموادعه آخرون ... فلم ترض منهم بشيء كان رسول الله ص يرده عليهم، فشددت بالمطيع المقبل، على العاصي المدبر، حتى أجاب إلى الحق من عَنَدَ عنه»[٣] وبهذا الثناء على الخليفة أعلن معاذ وهو الذي زين سيرته بتاجي العلم والجهاد، أن الأمة تقدر للخليفة جهده، وأن موقفه من المرتدين حقق القاعدة الصلبة، والأسس المتينة لقيادة الأمة العربية الإسلامية إلى أكبر عملية فتح في تاريخها، وأراد أن يعلمه بصواب توجهه فقال: «فلما تمت نعمة الله عليك وعلى المسلمين في ذلك ندبتهم إلى هذا الوجه الذي يضاعف الله لهم في الأجر،

١- المصدر نفسه، وينظر: البلاذري: فتوح البلدان (ص ١٤٨) .
٢- الطبري: تاريخ، (٣/ ٣٩٤) ابن الأثير: الكامل (٢/ ٢٨١) .
٣- ابن حبيش : غزوات (١/ ١٥٥) الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ١٢٣) .

ويعظم لهم الفتح والمغنم فأمرك مبارك ورأيك محمود رشيد، ودعا له ثم قال: وإن هذا الذي تسمع من دعائي وثنائي، ليحمدوا الله على ما اصطنع عندهم بولايتك عليهم»[١] وأمام جهود أبي بكر الواسعة في استنفار المسلمين للجهاد، والمشاريع والخطط العظيمة التي أعدت الفتوح، كان من اللياقة بمكان، إظهار وحدة الصف، وقهوة العلاقة بين الجند والقيادة، فكان معاذ بن جبل الأنصاري أول من تنبه إلى ذلك وشكر للخليفة سعيه وأعلمه أنه سينوّه بمكانته ونجاح سياسته بين المسلمين، ليزدادوا محبة وطاعه له، فشكر له الخليفة ذلك وقال: «إنك ما علمت لسديد القول، موفق الرأي، رشيد الأمر»[٢] فينطلق معاذ مع المجاهدين لتبليغ الإسلام وتوحيد الأمة وكلهم ثقة بصدق توجهاتهم.

مشاركات الأنصار في اليرموك (١٣ هـ):

لما تهيأ المسلمون للقاء الروم في اليرموك (١٣هـ) قال خالد بن الوليد لأبي عبيدة : «من كنت تجعل على ميمنتك ؟ قال: معاذ بن جبل : قال : أهل لذلك هو الرضي الثقة فولها إياه، فأمر أبو عبيدة معاذًا فوقف في الميمنة»[٣] فكان لوجوده في ذلك المكان أثر كبير، زاد من معنويات الجند، فضلا عما كانوا يسمعون من إرشاده ووعظه وتشجيعه في مثل قوله: يا قراء القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالآمال ...

---

١ - المصدر السابق.

٢ - المصدر السابق.

٣ - ابن حبيش: غزوات (١/ ٢٤٩) ابن كثير : البداية والنهاية (٤ / ١٠) .

وتلا عليهم القرآن من سورتي النور والأنفال[١]، وحذر معاذ جند المسلمين من التراجع أمام عدوهم، وأوصاهم بما يزيد في نفوسهم عوامل الثبات والجهاد، لإحراز النصر- وجعل يمشي- بين الصفوف ويحرض المسلمين على القتال فقال:«استحيوا من ربكم أن يراكم فرارًا من عدوكم وأنتم في قبضته ورحمته [٢].

ولم يقل دور معاذ في التحريض على الثبات قبيل المعركة، عما قام به بعد أن دارت رحاها، فكان بين الصفوف يدعو الله، أن ينصر- المجاهدين، ويهزم الكافرين، ومن دعائه على الروم: «اللهم زلزل أقدامهم وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء وأرضنا بالقضاء»[٣] فكانت كلمات معاذ وجولاته بين الجند تنير بصائرهم، وتزيد من إيمانهم وثقتهم فتطمئن قلوبهم، وتثبت أقدامهم فيزادوا إقداما.

ومن إسهامات الأنصار الأخرى في اليرموك قيادة سويد بن الصامت الأنصاري لثلاثة آلاف فارس من المسلمين، مددًا لأبي عبيدة وأهل الشام، ولم تفضح الرواية عن هوية هؤلاء الجند الذين انطلقوا من المدينة، فلا شك أن فيهم من الأنصار سوى أميرهم سويد الذي وصل إلى أبي عبيدة قبيل الموقعة[٤] .

ومن مساهمات الأنصار البارزة في اليرموك قيادة بعض كراديس الجيش الإسلامي، فكان لقيط بن عبد القيس بن بجرة الأنصاري حليف بني ظفر على

---

١ - ابن حبيش: غزوات (١ / ٢٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية (٤ / ٩) .

٢ - المصدر نفسه.

٣ - ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ١١) .

٤ - ابن أعثم: الفتوح، (١/ ٢٣٤) .

كردوس[١]، وقيس بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول الأنصاري حليف بني النجار على كردوس[٢] وجارية بن عبدالله الأشجعي الأنصاري حليف بني ساعدة على كردوس[٣].

وذكر عبادة بن الصامت الأنصاري فيمن قاتل في اليرموك [٤]، وشهدها شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، وهو الذي بعثه أبو عبيدة يحصي عدد الروم الذين سقطوا في الواقوصة، فوجد أكثر من ثمانين ألفا في تلك الأهوية [٥] وشهد اليرموك أكثر من ألف صحابي من أصحاب رسول الله ص فيهم نحو مائة من أهل بدر[٦] وذكر أن النساء قاتلن في اليرموك[٧] «وكان القاضي في اليرموك أبا الدرداء الأنصاري»[٨] ومما يشير إلى وجود الأنصار بزخم أكبر مما ذكر، أو على شكل وحدات مقاتلة، أن جبلة بن الأيهم الغسّاني انحاز إلى الأنصار بعد هزيمة الروم في اليرموك، وقال: «أنتم إخواننا وبنو أبينا، وأظهر الإسلام»[٩] ومن هذه النصوص تظهر مشاركة الأنصار في اليرموك، وإن اقتصرت الروايات على ذكر

١ - الطبري : تاريخ (٣ / ٣٩٧) .
٢ - ابن كثير : البداية والنهاية (٤ / ٦٤) والذهبي : الخلفاء الراشدون (ص ١٥٤) .
٣ - الطبري : تاريخ، (٣/ ٣٩٧) .
٤ - المصدر السابق: (٣/ ٤٠١) ابن حبيش : غزوات (١/ ٢٩٩) .
٥ - ابن حبيش: غزوات (١/ ٢٨٠) كمال، أحمد عادل: الطريق إلى دمشق (ط٣) بيروت، دار النفائس (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥) (٤٩٤).
٦ - الطبري : تاريخ (٣/ ٣٩٧) ابن حبيش : غزوات (١/ ٢٩٥) .
٧ - المصدر السابق: (٣/ ٤٠١) (١/ ٢٩٩) .
٨ - المصدر السابق: (١ / ٢٩٥) (٣/ ٣٩٧) .
٩ - البلاذري: فتوح البلدان، (ص ١٨٥).

القادة منهم، فلا شك أن مع كل من هؤلاء القادة عددًا من عشيرته أو أقاربه، وأيضا عددًا من الصحابة الذين شاركوا في تلك الموقعة قسم من الأنصار وذلك يظهر من سيرتهم الجهادية وحرصهم على المشاركة في أي عمل يتاح لهم فيه نصرة للإسلام، وإذا سبق بيان أنهم يشكلون الأغلبية الساحقة في معركة بدر، فالراجح أن أكثر المائة المشاركة في اليرموك من البدريين هم من الأنصار، وتواصلت مشاركاتهم العسكرية بعد اليرموك مباشرة، إذ قاد معاذ بن جبل قوة إلى مدينة بعلبك[1] مواصلة للفتح وتثبيتًا لنتائج تلك المعركة.

سفارة معاذ بن جبل ﷺ إلى الروم قبيل «موقعة فحل»[2]:

بعد مناوشات بين المسلمين والروم، قبيل موقعة فحل، أرسل الروم إلى المسلمين أن ابعثوا إلينا رجلا، نسأله عما تريدون وما تسألون وما تدعون إليه ونخبره بما نريد، فأرسل إليهم أبو عبيدة، معاذ بن جبل الأنصاري، مفاوضا وسفيرا عن المسلمين، فاستعد الروم لاستقباله، وأظهروا أجمل ما عندهم من الزينة، وأنفذ ما عندهم من الأسلحة، وفرشوا الأرض بأثمن البسط والنمارق التي تكاد تخطف الأبصار ليفتنوا معاذًا عما جاء له أو يرهبوه ويفتوا في عضده، ففاجأهم بتعاليه عن زينتهم، ورفضه لكل أشكال المغريات، وبشدة تواضعه وزهده، بل اغتنم ذلك الموقف لاستخدامه سلاحًا ضد الروم.

---

١ - ابن أعثم: الفتوح (١/ ١٤٢) وينظر : ياقوت: معجم البلدان (١/ ٤٥٣) وقال: في مدينة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وبها قبر حفصة أخت معاذ بن جبل كما ذكر ياقوت الحموي.

٢ - (فحل) اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة مع الروم . ينظر: ياقوت: معجم البلدان (٤/ ٢٣٧).

فأمسك بعنان فرسه، وأبى أن يعطيه لغلام من الروم، وأبى الجلوس على ما أعدوه لاستقباله، وقال لهم: «لا أجلس على هذه النمارق التي استأقرتهم بها على ضعفائكم ... وجلس على الأرض ... وقال: إنما أنا عبد من عباد الله أجلس على بساط الله، ولا أستأثر بشيء من مال الله على إخواني ...»[1] ودار بينهم حوار سألوه في عن الإسلام فأجابهم، وسألوه عن نبي الله عيسى عليه السلام فقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

وأوضح لهم ماذا يريد منهم المسلمون، وقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[3].

وقالوا له: إن سبب انتصار المسلمين على الفرس هو موت ملكهم، وإن ملك الروم حي، وجندهم لا تحصى، فاقل لهم: «إن كان ملككم هرقل، فإن ملكنا الله، وأميرنا رجل منا، إن عمل فينا بكتاب الله وسنة نبينا أقررناه، وإن غير عزلناه، ولا يحتجب غنا ولا يتكبر ولا يستأثر علينا»[4]، وأما عن كثرتهم فقد قرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ

---

١ - الكلاعي: الاكتفاء (٣ / ١٩٤) فما بعدها .
٢ - سورة آل عمران الآية (٥٩).
٣ - سورة التوبة الآية (١٢٣).
٤ - الكلاعي: الاكتفاء (٣ / ١٩٤).

ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١] ولما قشل الروم في التأثير في معاذ أو النيل منه، فيما أعدوه من بهارج وخيلاء، عادوا إلى الواقع يعرضون عليه الصلح، وأن يعطوا المسلمين البلقاء وما ولاها، فأعلمهم معاذ أنه ليس أمامهم إلا الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، فغصبوا وقالوا : اذهب إلى أصحابك، نا لنرجوا أن نقرنكم في الحبال، فقال معاذ: أما في الحبال فلا، ولكن والله لتقتلنا عن آخرنا أو لنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون، ثم انصرف [٢].

وهكذا ظهر معاذ في هذه السفارة شخصية سياسية عسكرية، وداعية إلى الإسلام ويواجه حجج خصومه، ويوجه إليهم النقد اللاذع، مظهرًا عيوبهم واستئثارًا على رعيتهم، ويذكرهم بتعاليم دينهم، ويدعوهم إلى الإسلام، أما تهويلهم وحربهم النفسية فيرد عليها بالواقع لا بالتهويل والتخويف، ثم يعود إلى قيادته التي أقرت كل ما قام به وما قاله للروم.

مشاركة الأنصار في فتح حمص واللاذقية:

بعد أن استجدت على المسلمين الأوضاع العسكرية في حمص قرروا الإنسحاب منها سنة (١٥هـ) أمام جموع الروم[٣] وقد سبق ذلك الانسحاب مشاورات قبل إقراره، كان أحد المستشارين فيها معاذ بن جبل الأنصاري، وكان لا يرى الانسحاب وقال: «هل يلتمس الروم من عدوهم أمرًا أضرّ لهم مما

---

١ - سورة البقرة الآية (٢٤٩).

٢ - الكلاعي: الاكتفاء (٣/ ١٩٤).

٣ - الكامل : الطريق إلى دمشق (ص٤١١) وقد ذكر ذلك مفصلا .

تريدون بأنفسكم؟ تخلون لهم عن أرض قد فتحها الله عليكم وقتل فهيا صناديدهم وأهلك جنودهم .. أما والله لئن أردتم دخولها بعد الخروج منها لتكابدنّ من ذلك مشقة «فقال أبو عبيدة: صدق والله وبر»[1].

لكن الأحداث سارت على غير هذا الاتجاه، فأعاد المسلمون ما جبوه من أهل حمص وأخذوا بالانسحاب[2] ولم يطلع الباحث من خلال المصادر المتوفرة على رواية توضح مشاركات أخرى للأنصار في تلك المرحلة، إلى أن تم فتح حمص الفتح الأخير، فاستخلف عليها أبو عبيدة بن الجراح، عبادة بن الصامت الأنصاري[3].

وبعد أن استقرت أوضاع حمص، قصد عبادة اللاذقية فقاتله أهلها، وكان فيها حصن عظيم له باب لا يفتحه إلا جماعة من الناس، فلما رأى عبادة ذلك استخدم المناورة والتمويه، ثم أمر أن تحفر حفائر كالأسراب يستتر الرجل وفرسه في الواحدة منها، فلما تم ذلك أمر بالانسحاب تجاه حمص، فلما رأى أهل اللاذقية انصراف المسلمين، خرجوا من حصنهم في الصباح وفتحوا أبوابه، وكان المسلمون قد عادوا إلى مواضعهم التي أعدوها فاستتروا فيها، فلما فتحت أبواب حصن اللاذقية هاجمه عبادة وجنده حتى تمكنوا من فتحه[4] ثم قاد عبادة حملة

---

١ - الكلاعي: الاكتفاء (٢/ ٢٩٩).

٢ - ينظر : كمال : الطريق إلى دمشق (ص ٤١١).

٣ - البلاذري : فتوح البلدان، (ص١٨٠) ابن الأثير : الكامل (٢/ ٣٤١).

٤ - المصدر السابق.

أخرى ففتح مدينة تعرف بـ «بلدة» على فرسخين من مدينة جبلة[١] وكانت جبلة حصنًا للروم انسحبوا منه عندما فتح المسلمون حمصًا [٢] ومن أعمال عبادة بن الصامت في اللاذقية بناؤه مسجدا جامعًا فيها[٣] وقيادته حملة تمكن فيها من فتح حصن انطرطوس، وكان حصينًا فبنى معاوية ﷺ مدينة انطرطوس ومصرها وأقطع بها القطائع[٤].

ومن إسهامات الأنصار في إمارة معاوية ﷺ عندما غزا عمورية سنة (٢٣هـ) مشاركة عُبادة بن الصامت، وأبي أيوب خالد بن زيد، وشدّاد بن أوس بن ثابت وجمعيهم من الخزرج رضي الله عنهم[٥] بغزو عمورية وإن لم تذكر الرواية تفصيلات ما قام به هؤلاء الصحابة من الأنصار في تلك الغزوة، فالراجح أن مثل هؤلاء الأعلام توكل إليهم مهام لا سيما في الجانب المعنوي وإرشاد الجند وتشجيعهم، وقد لا يكون هؤلاء وحدهم من الأنصار في تلك الغزوة إذ إن كلاً منهم له مكانته وسابقته.

وبعد الإشارة إلى إسهامات الأنصار في الجهاد في حمص واللاذقية وما تبعهما من أعمال الفتوح، من المستحسن التنويه بما قام به عبادة بن الصامت، من خطة

---

١ – البلاذري : فتوح البلدان (ص ١٨٢).

٢ – المصدر السابق: كمال : الطريق إلى دمشق (ص ٥٢٢).

٣ – ينظر: البلاذري : فتوح البلدان (ص ١٨٢) ابن الأثير : الكامل (٢ / ٣٤٣).

٤ – المصدر السابق.

٥ – الطبري: تاريخ، (٤/ ٢٤١)

تنبي عن خبراته المبدعة، ومهارته العسكرية التي أجاد في استخدامها حتى تمكن من دخول اللاذقية وتمهيدها للمسلمين.

مشاركة الأنصار في فتح قيسارية:

كان للأنصار إسهامات في فتح قيسارية التي امتنعت على المسلمين زمنا طويلا[١] وذلك مناعة أسوارها، وكثرة المدافعين عنها[٢] وكان يقود جيوش المسلمين في حصار قيسارية يزيد بن أبي سفيان، فلما طال عليه أمرها، عيّن على ميمنته عُبادة بن الصامت الأنصاري، الذي وعظ جنده، ودعاهم إلى تفقد أنفسهم، والحيطة من المعاصي لأنها تذهب بروح النصر، ثم قاد هجوماً قتل فيه كثيراً من الروم، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه، فعاد إلى موقفه الذي انطلق منه، فحرّض أصحابه على القتال، وأبدى لهم استغرابه الشديد لعدم تحقيق أهداف ذلك الهجوم فقال: «يا أهل الإسلام إني كنت من أحدث النقباء سنًا وأبعدهم أجلاً وقد قضى الله أن أبقاني حتى قاتلت هذا العدو معكم ... والذي نفسي بيده ما حملت قط في جماعة المؤمنين على جماعة من المشركين، إلا خلّوا لنا الساحة وأعطانا الله عليهم الظفر غيركم، فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تزيلوهم ؟»[٣] ثم بيّن لهم ما يخشاه منهم فقال: «إني والله لخائف عليكم خصلتين: أن تكونوا قد

---

١ - ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، (ص ١٩١) الطبري: تاريخ (٣ / ٦٠٣) وفي تاريخها ومن فتحها وفيها خلاف واسع .

٢ - البلاذري: فتوح البلدان، (ص ١٩٢) ابن الأثير: الكامل (٣/ ٣٤٦) .

٣ - ابن حبيش : غزوات (١/ ٣٣٥) فما بعدها.

غللتم، أو لم تناصحوا الله في حملتكم عليهم»[١] وحث أصحابه على طلب الشهادة بصدق، وأعلمهم أنه سيكون في مقدمتهم وأنه لن يعود إلى مكانه، إلا أن يفتح الله عليه أو يزرقه الشهادة، فلما التحم المسلمون والروم، ترجل عبادة بن الصامت على جواده، وأخذ يقاتل راجلا فلما رآه عمير بن سعد الأنصاري، نادى المسلمين يعلمهم بما فعل أميرهم ويدعوهم إلى الاقتداء به، فقاتلوا الروم حتى هزموهم و«أجحروهم في حصنهم»[٢].

وبهذا يتضح منهج عبادة في القتال، فهو يأخذ بالأسباب ويحتاط لمواجهة العدو، فإن لم يحقق أهدافه ينظر في جوانب أخرى لا تقل أهمية عن الإعداد المادي، ويحدد ذلك في أمرين: الأول: الغلول هذا الأمر الذي يزيل الثقة، وينزع سبل التعاون الجماعي بين المسلمين، ويحرمهم الأجر والثواب[٣].

والثاني: هو صحة النية أي مدى قناعة المقاتل فيما يقاتل عنه، إذ إن صحة النية تولد الثبات في القتال، وهذا ما رمى إليه عبادة بن الصامت عندما حذرو من التهاون في ذلك و«إنّما الأعمال بالنيات»[٤] فلما تحققت هذه المعاني في أصحاب عبادة حمل بهم على عدوهم فأحرز النصر.

---

١ – المصدر السابق.

٢ – المصدر السابق.

٣ – يُنظر: الخليفة : مهاجرة الحجاز، (ص ١٥٦) .

٤ – النووي: محي الدين أبو زكريا بن شرف : الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، .

مشاركة الأنصار في فتح مصر والإسكندرية

اختلفت الروايات على تاريخ فتوح مصر، وعلى أسباب ذلك ما بين عام (٢٠هـ) أو بعده أو قبله[١]، لكنها تتفق على أن عمروا بن العاص هو الذي قاد عملية الفتح في كل مراحلها، وأنه استعان بالأنصار في أكثر من موقف، فكان لهم إسهامات واضحة، وآثار فاعلة في حل المعضلات العسكرية، وتحقيق الأهداف الجهادية، التي توجت بفتح مصر، وممن ذكر في فتوح مصر من الأنصار:

عبادة بن الصامت، ومحمد بن مسلمة، وأبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وعويمر أبو الدرداء، ومسلمة بن مخلد الساعدي[٢] وإذا لم يتمكن الباحث من الإطلاع على أسماء أنصار أخرين شاركوا في فتوح مصر فهذا لا يعني أن مشاركتهم اقتصرت على الأسماء المذكورة فقط، إذ إنّ الروايات غالبا ما تقتصر على ذكر الأعلام والقادة في جيوش الفتح.

ولما حاصر عمرو بن العاص حصن بابليون[٣] أرسل إلى الخليفة عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم، رجل مقام ألف، أحدهم عبادة بن الصامت الأنصاري ومنهم مسلمة بن مخلد الأنصاري وقيل غيره[٤].

---

١ – ينظر البلاذري : فتوح البلدان (ص ٢٠٩) الطبري : تاريخ (٤/ ١٠٤) .

٢ – ابن عبد الحكم: فتوح مصر (ص ٩٣)

٣ – ياقوت: معجم البلدان (١/ ٣١١) وقال: بابليون: اسم عام للديار المصرية بلغة القدماء، وقيل هو اسم لموضع في الفسطاط.

٤ – ابن عبد الحكم: فتوح مصر، (٦١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (١/ ١٣).

وهذا ما يؤكد عناية الروايات بذكر القادة، أما عامة الجند فمن غير الممكن ذكر الألوف منهم، إلا أن الراجح أن يخرج كل قائد ومعه عدد من أقاربه أو أبناء عشيرته، كما هو مألوف في ذلك العصر.

ولما حاصر المسلمون حصن بابليون «كان عبادة في ناحية يصلي وفرسه عنده، فرآه قوم من الروم فخرجوا إليه، فلما دنوا منه حمل عليهم ... حتى دخلوا في الحصن»[1] ولما حمل عبادة على الروم أرادوا أن يشغلوه فألقوا في طريقه أحزمة من الذهب وبعض أمتعتهم ليشغلوه عن ملاحقتهم، ولكنه لم يلتفت إلى شيء من ذلك[2] وهذا ما يشير إلى شجاعة عبادة وزهده، وحرصه على العبادة وإقامة الصلاة في كل أحواله، كما يؤكد مباشرة القادة للقتال بأنفسهم وعدم اقتصار دورهم على الجانب التوجيهي والمعنوي دون غيره .

سفارة عُبادة بن الصامت الأنصاري ﷺ إلى المقوقس:

قاد عبادة سفارة من عشرة رجال إلى المقوقس، طالت فهيا المفاوضات وكثرت الاقتراحات من جانب المقوقس، لكن عبادة لم يغير منهجه ولم يفقد ثقته بالوصول إلى هدفه، ومن نصوص تلك المفاوضات، يظهر أن المقوقس طلب من عمرو بن العاص رسلا للمفاوضة، فأرسل إليه تلك السفارة التي عليها عبادة بن الصامت، ولم تسم الرواية أفراد تلك السفارة ـ فلما تقدم عبادة ليحدثه «هابه

١ – المصدر السابق: (ص٦١) (١/ ١٥) وينظر: الزحيلي، وهبة : عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد .

٢ – المصدر نفسه.

المقوقس وقال نحوا هذا الأسود عني»[١] لكن عبادة فاوضه وقال مخوفًا له: «خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم أشد سوادا مني»[٢].

وكان أبرز الأفكار التي تضمنتها تلك المباحثات هي: إظهار غاية المسلمين من الفتوح، ورفعض عبادة لمساومات المقوقس، ونبذ التفرقة القائمة على أساس اللون أو الجنس، وإظهار غنى النفس الذي كان يتمتع به العرب المسلمون، ورفض تهويل المقوقس الذي قال لعبادة: «وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ... ونحن نرق عليكم لضعفكم وقتلكم»[٣] ثم عرض عليه المصالحة مقابل شيء من المال فقال له عبادة: «لاو كانت الدنيا كلها بأيدينا فليس بيننا وبيكم إلى خصلة من ثلاث»[٤] ثم رغب عبادة في الإسلام ودعا إليه وقال:«إن القبط إن اتبعوه سيكونون إخوانا للمسلمين في دين الله، وسيبقون سادة بلادهم» فاستشار المقوقس أعوانه، فاختروا الجزيرة لبساطتها ويسر أمرها، ثم طلب المقوقس، فتم لقاء المقوقس مع عمرو بن العاص، واتفقوا على الصلح وأن يؤدي المقوقس وقومه الجزية[٥]ومن الحوار الذي دار بين عبادة والمقوقس، ظهرت نباهة عُبادة وإدراكه لمرامي خصمه فلم يتأثر بكل الأساليب التي

---

١ – عبادة بن الصامت الأنصاري: رجل طويل جسيم جميل، ولي قضاء فلسطين وسكن الشام وتوفي بالرملة، ويقال : بيت المقدس عام ٣٤هـ، ينظر: ابن عساكر : تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٠٣) .

٢ – المصدر السابق.

٣ – ينظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر، (ص ٦٦) فما بعدها . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (١/ ٢٣).

٤ – المصدر السابق.

٥ – المصدر نفسه.

استخدمها للتأثير في نتائج المحادثات، كما ظهر عُبادة واضحا في تصوراته وأهدافه، ولم ينس في خضم ذلك أن يدعو إلى الإسلام ويرغب فيه، ويُظهر انفتاح المسلمين على غيرهم من الأمم والأديان، مما ترك أثرا طيبا في نفس المقوقس؛ فاختار الصلح مع المسلمين.

من جهاد الأنصار في فتح الإسكندرية:

طال حصار عمرو بن العاص لحسن الإسكندرية، حتى عجب لذلك الخليفة عمر، الذي فسر ذلك بقوله : «وما ذلك إلا لما أحدثتم، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم»[١] ثم بين كتابه إلى عمرو، أسباب النصر وفضيلة اللجوء إلى الله تعالى، بعد إتمام الاستعداد وتقديم أهل السابقة والباحثين عن الشهادة، ويبدو أن عمرًا كان مشغولا في أسباب تأخر الفتح فقال: «إني فكرت في هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله يريد الأنصار، فدعا عبادة بن الصامت رضي الله عنه فعقد له ففتح الله على يديه»[٢] ويقال: إن مسلمة بن مخلد الساعدي أشار بذلك أيضًا فولاه عمرو قتال الروم ففتح الله على يديه الإسكندرية»[٣].

وممن شارك في جهاد الروم في الإسكندرية، مسلمة بن مخلد الذي بارز رجلا من الروم فصرعه الرومي، مما أغضب عليه عمرو الذي أغلظ عليه، ثم

---

١ – ابن عبد الحكم : فتوح مصر (ص ٧٩) ابن حبيش : غزوات (١/ ٣٤٨)

٢ – ابن عبد الحكم : فتوح مصر (ص ٨٠).

٣ – المصدر السابق. (ص ٧٩) ابن عبد البر: الاستيعاب (٣/ ١٣٩٧)

اشتد القتال حتى اقتحم المسلمون حصن الإسكندرية، لكن الروم اجتمعوا عليهم حتى أخرجوهم من الحصن، إلا أربعة نفر منهم: عمرو بن العاص، ومسلمة بن مخلد، فتمكن مسلمة بن مخلد من إنقاذهم[١] من الأسر أو القتل، فشكر له عمرو ذلك، واعتذر له عمّا بدر منه عندما أغلظ عليه في بداية المعركة[٢].

وشارك محمد بن مسلمة الانصاري ﷺ في الجهاد على حصن الإسكندرية وكان «أحد الذين صعدوا الحصن وساهموا في فتحه»[٣].

وإذا لم تذكر الروايات سوى هؤلاء الأعلام من الأنصار فالراجح أن معهم من إخوانهم ولاسيما الإمدادات التي كانت تصل إليهم إذ كانت تأتي من المدينة، ومما تقدم يظهر طول فترة القتال الذي يدل على شدة المقاومة التي لاقاها المسلمون في الإسكندرية، ومما قام به محمد بن مسلمة الأنصاري في اقتحام الحصن ما يشير إلى وجود الأنصار في مقدمة المجاهدين، ومشاركات مسلمة بن مخلد تؤكد ذلك أيضا وتبين جميل المعاملة في جيوش الفاتحين فضلا عن كفاءة مسلمة وحسن طاعته وتعاونه مع أمرائه.

ومن الشواهد الأخرى على إسهامات الأنصار في فتوح مصر ومشاركاتهم في جيوش الفاتحين، منازل بعض أعلامهم هناك، فلما تحول عمرو بن العاص على

١ – ابن عبد الحكم : فتوح مصر (ص ٧٨) ابن حبيش : غزوات (١/ ٣٤٧).
٢ – المصدر السابق.
٣ – ابن عبد الحكم : فتوح مصر (ص ٦٤) .

الفسطاط[١]: «واختط المسجد الجامع، اختطت حوله قريش والأنصار وبقية القبائل»[٢] و«أقبل هو وعبادة بن الصامت الأنصاري حتى علوا لكوم الذي فيه المسجد ... فنزل عمرو بن العاص ... وضرب عبادة بن الصامت بناء فلم يزل فيه حتى خرج من الإسكندرية، ويقال: إن ابا الدرداء الأنصاري كان معه[٣]»، «واختط رويفع بن ثابت الأنصاري دارًا وعقبة بن كريم الأنصاري[٤]، واختط مسلمة بن مخلد الأنصاري دارًا قرب جامع عمرو بن العاص في القسطاط تسمى دار الرمل[٥] ولما ولي قيس بن سعد الأنصاري مصر، اختط في قبلة المسجد الجامع دارًا ويقال : إنه لما حضرته الوفاة قال: «إني كنت بنيت دارًا بمصر، وأنا واليها، واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهي للمسلمين ينزلها ولاتهم»[٦].

مشاركة الأنصار في فتح قبرص (٢٧هـ):

وفي سنة ٦٤٧م، أذن الخليفة عثمان بن عفان، لوالي الشام معاوية بركوب البحر على أن يأخذ معه زوجته ففعل معاوية ذلك[٧] وشارك معه في فتح قبرص،

---

١ – ينظر: ابن عبد الحكم : فتوح مصر (ص ٩١) ياقوت: معجم البلدان (٤/ ٢٦١) وقال: الفسطاط الذي كان لعمرو بن العاص، هو بيت من أدم أو شعر، وكل مدينة فسطاط، ومنها قيل لمدينة مصر التي بناها عمرو الفسطاط .

٢ – ابن عبد الحكم : فتوح مصر (ص ١٠٠)

٣ – المصدر السابق.

٤ – المصدر السابق: وقال: توفي رويفع بن ثابت ببرقة وكان قد وليها لمعاوية بن أبي سفيان .

٥ – المصدر السابق: (ص١٠١) وقال: دار الرمل سميت بذلك نسبة لما ينقل إليها من الرمل لدار الضرب، وقيل غير هذا .

٦ – المصدر نفسه: (ص ٩٨)

٧ – ينظر البلاذري: فتوح البلدان (ص ٢١٠) ابن أعلم : فتوح (٢/ ١٢٢).

أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعمير بن سعد بن عبيد الأنصاري، وشداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، وعويمر أبو الدرداء الأنصاري.

وممن شهد فتح قبرص أيضا عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان خالة أنس بن مالك[١] ومن حديثها أن رسول الله ص زارهم يومًا، فنام ثم استيقظ يضحك قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله ص ؟ فقال: ناس من أمتي عرضوا علي، غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة ـ أو قال: مثل الملوك على الأسرة ـ قلت: ادعو الله أن يجعلني منهم فدعا[٢] فشارَكت في الحملة البحرية التي قادها معاوية إلى قبرص فصرعت عن دابتها فتوفيت هناك[٣] قال الذهبي: وبلغني أنّ قبرها تزوره الفرنجة هناك [٤] ويدعى قبر قبر المرأة الصالحة[٥].

وبعد الفراغ من فتح قبرص ولّى معاوية عُبادة بن الصامت ﷺ على غنائم قبرص بعد تمنع شديد، حتى أسهم في إقناعه بتولي أمر الغنائم أبو الدرداء

١ – ابن حبيش: غزوات (١/ ٣٧٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٦) السيوطي: تاريخ (ص ١٥٥) ابن خياط : تاريخ (ص١٦٠) السيوطي : تاريخ (١٥٥) الهندي : كنز العمال، ح (٢٩٩٥٧).

٢ – المصدر السابق.

٣ – الثبج: وسط الشيء تجمع وبرز، ومنه: ثبج البحر.

٤ – الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٦) ابن العماد، عبد الحي (ت ١٠٩٨هـ/ ١٦٧م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

٥ – البلاذري: فتوح البلدان (ص ٢٠٨).

الأنصاري وأبو أُمامة الباهلي، وهذا ما يُشير إلى زهد الأنصار في الإمارة والإدارة والانصراف إلى الجهاد وإلى ما يخدم الأمة ويحميها[١].

وبعد توزيع غنائم قبرص شوهد أبو الدرداء رضي الله عنه يبكي، فقيل: ما يبكيك في يوم أعز الله به الإسلام وأهله، وأذل الكفر وأهله ؟ فقال: ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينما هي أمّة ظاهرة قاهرة إذ تركوا أمر الله فسلط عليهم السباء، وإذا سلط السباء على قوم فليس لله عزوجل فيهم حاجة[٢] ومن هذا النص تتضح حكمة أبي الدرداء ورقته وجميل اعتباره ودوام انشغاله بما هو نافع ومفيد وبما يبعث على الحذر من ترك أمر الله في حال من الأحوال.

مشاركة الأنصار في فتوح العراق والمشرق:

جهاد الأنصار في معركة الجسر (١٣ هـ):

بعد وفاة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه (١٣ هـ) استنفر الخليفة عمر المسلمين إلى المثنى بن حارثة الشيباني الذي يجاهد في العراق، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم، لشوكة أهله وكثرتهم، واستمر عمر يكرر دعوته إلى أربعة أيام، فكان أول من أجاب هذه الدعوة أبو عبيد الثقفي[٣] ثم وثب سليط بن قيس الأنصاري فقال: «يا أمير المؤمنين إنما كان عن هؤلاء الفرس إلى وقتنا

---

١ – ابن أعثم: الفتوح (٢/ ١٢٣).

٢ – ابن حبيش: غزوات (١/ ٣٧٦) كنعان : خلاصة تاريخ الخلافة الراشدة من ابن كثير (ص ٢٦٦)

٣ – ينظر: الطبري : تاريخ (٣/ ٤٤٤) ابن الأثير : الكامل (٢/ ٣٠١)

هذا شقشقة، من شقاشق الشيطان، ألا وإني قد وهبت نفسي لله أنا ومن أجابني من بني عمي ومن اتبعني»[١].

فكان لكلام سليط هذا أثر قوي في تشجيع الناس ورفع معنوياتهم وزيادة رغبتهم في جهاد الفرس، وطالبوا الخليفة أن يولي عليهم رجلاً من المهاجرين أو الأنصار فقال عمر: «والله ما أجد لها أحق من الذي ندب الناس بدءًا، ولولا أنّ سليطاً عجول في الحرب لأمرته عليكم، ولكن أبا عبيد هو الأمير وسليط هو الوزير فقال الناس: سمعًا وطاعة»[٢].

وكان من أوائل المنتدبين من الأنصار لحرب الفرس سعد بن عبيد الأنصاري [٣]، ولا يفوت الباحث هنا التذكير ببعض الأسباب التي كانت وراء إحجام عمر عن تولية بعض الأنصار لهذه الحملة، على الرغم من أن ذلك مطلب للناس ورغبة عندهم، أن يقودهم أنصاري أو مهاجري، وعلى الرغم مما قام به سليط بن قيس الأنصاري من موقف إيجابي ومما أبداه من استعداد تام للجهاد، لكن الخليفة لم يوله القيادة، لما يعلمه عن الأنصار من الإقدام والجرأة على العدو وعدم التأني في المواجهة، فعلى الرغم من تهيب الناس الاشتباك مع الفرس فإنّ سليطاً يراهم شقشقة من شقاشق الشيطان ولا يبدي لهم أي تهيب، فمثل هذا الاندفاع الشديد إلى الجهاد كان سببا في عدم تولية البراء بن مالك الأنصاري

---

١ – ابن أعثم : الفتوح (١ / ١٦٤)

٢ – المصدر السابق *الشقشقة: شيء كالرِعي يخرجه الجمل من فيه إذا هاج وهدر، والجمع شقاشق.

٣ – الطبري : تاريخ (٣/ ٤٤٤) .

القيادة، وتحذير عمر من ذلك بقوله : لا تولوا البراء بن مالك أمر جيوش المسلمين، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم، كذلك «لولا أن سليطا عجول في الحرب لأمرته عليكم»، ولكن الخليفة إذا خشي من توليته القيادة فهو لا يستغني عنه، فيجعله مؤازرًا ومشيرًا لأبي عبيد فيمزج قدرات الرجال وخبراتهم بعضها ببعض ثم يدفع بهم لمواجهة خصومهم .

وخرج أبو عبيد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم ومعهم المثنى بن حارثة الشيباني في قريب من ألف رجل، فنزل المسلمون بإزاء القائد الفارسي جابان[١] وذكر الطبري أن جابان أسر في معركة النمارق[٢] وولي بعده نرسي الفارسي، الذي التقى به المسلمون في السقاطية فهزم الله الفرس وهرب نرسي[٣] ثم هزم المسلمون بعده الجالينوس في باقسياثا من باروسما[٤] فهُزم الفرس وهرب الجالينوس[٥] وعلى الرغم مما ذُكر عن إسهام الأنصار في جيش أبي عبيد، وكثرة المعارك التي خاضوها لم تفصل المصادر عن مشاركاتهم وجهادهم فيها، ولا عن من شارك في تلك المعارك، وبعد الهزائم التي لحقت بالفرس، أرسلوا بهمن جاذويه ومعه راية كسرى، فبعث إلى أبي عبيد إما أن تعبروا إلينا أو تدعونا

---

١ – ابن أعثم : فتوح (١/ ١٦٥)

٢ – الطبري: تاريخ (٣/ ٤٤٩) ابن أعثم : الفتوح (١/ ١٦٥) قالا : أسره مطر بن فضة، وقال ابن أعثم : هو رجل من أنصار، ولكن لم أعثر على هذا الأسم بين الأنصار في المصادر التي اطلعت عليها .

٣ – الطبري: تاريخ (٣/ ٤٥٠، ٣/ ٤٥٣).

٤ – المصدر السابق، وباروسما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما: باروسما السفلى والعليا

٥ – المصدر السابق، (٣/ ٤٥٢).

نعبر إليكم، فقال المسلمون: لا تعبر يا أبا عبيد، «وكان من أشد النّاس على أبي عبيد سليط بن قيس الأنصاري، وقال لأبي عبيد: قد أشرنا عليك بالرأي، فترك الرأي، وقال: لا يكونوا أجرأ على الموت منّا، بل نعبر إليهم»[١].

فعبر المسلمون إليهم فكانت موقعة قس الناطف ويقال لها المروحة نسبة إلى الأرض التي نزلها المسلمون، ويقال لها معركة الجسر- أو جسر- أبي عبيد سنة (١٣هـ) ولما قتل أبو عبيد، أخذ بعض المسلمين ينسحبون نحو الجسر- فبادرهم أحد المسلمين فقطعه، فتواثب بعض الناس في الفرات، فوقف سليط بن قيس الأنصاري[٢] ومعه المثنى بن حارثة يحمون المسلمين حتى أصلحوا الجسر-، فكان آخر من قتل على الجسر سليط بن قيس الأنصاري، وبعد انتهاء تلك المعركة بعث المثنى بن حارثة بأخبارها إلى الخليفة عمر مع عبدالله بن زيد الأنصاري، فقدم على عمر وهو على المنبر فقال: ما عندك يا عبدالله بن زيد؟ قال: أتاك الخبر يا أمير المؤمنين، فلما انتهى إليه أخبره خبر الناس سرًا.

«فما سمع لرجل حضر أمراً تحدث عنه أثبت خبرًا منه»[٣] وفي هذه المعركة استشهد عدد كبير من المسلمين أحصيت من بينهم ثلاثين شهيداً من الأنصار الذين استشهدوا في معركة الجسر موزعين على قبائلهم رضي الله عنهم[٤].

---

١ - الطبري: تاريخ (٣ / ٤٥٤).

٢ - الطبري: تاريخ (٣/ ٤٥٧).

٣- الطبري : تاريخ (٣/ ٤٥٩) ابن الأثير: أسد الغابة : (٤/ ١٤٥) كنعنان: خلاصة الخلافة الراشدة، ص (١٥٧).

٤- الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٣٧٤.

مشاركة الأنصار في موقعة القادسية (١٤هـ):

حشد الفرس قوتهم العسكرية وما عندهم من فيلة وغيرها لإنجاز عمل عسكري فاصل ضد المسلمين؛ مما جعل أمير المؤمنين عمر ﷺ يحشد ما يواجه به خطرهم، فاستنفر وجوه الناس وخطبائهم وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فـ «كان في جيش القادسية بضعة وسبعون بدرياً، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة، فيما بين بيعة الرضوان وما بعدها، وثلاثمائة ممن شهد فتح مكة وسبعمائة من أبناء الصحابة رضي الله عنهم»[١] وإذا لم تفصح الروايات عن أسماء هؤلاء الصحابة، فإنّه لا شك أنّ عدداً كبيرا منهم من الأنصار، ذلك أن نسبة المهاجرين من أهل بدر لا تزيد على الربع إلا قليلاً، وأنّ الأنصار كانوا قريبًا من نصف أهل بيعة الرضوان، وشاركوا بمجموعهم في فتح مكة[٢].

ومع توقع شهود الأنصار معركة القادسية بنسبة عالية من العدد المذكور، فإنّ الروايات لم تذكر إلا قليلاً من أسمائهم، فقد روى عن جابر بن عبدالله الأنصاري ﷺ أنّه قال: « شهدة القادسية مع سعدﷺ »[٣] وشهدها سعد بن عبيد بن النعمان الأوسي الأنصاري، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد

١- الطري: تاريخ (٣/ ٤٩٠) وينظر: ابن خلدون، القاضي عبد الرحمن (ت ٨٠٨ـ ١٤٠٥م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبرير، ومن عاصرهم من ذوين السلطان الأكبر.

٢- ينظر: الطبري : تاريخ (٣/ ٥٠) قال: وأرعب مع رسول الله ص المهاجرون والأنصار/ فلم يتخلف عنه منهم أحد.

٣- الطبري: تاريخ (٣/ ٥٨٨).

الرسول ﷺ[١] وقيل: هو والد عمير بن سعد والي حمص الزاهد المعروف أيام عمر رضي الله عنه، وأنه خطب المسلمين في القادسية فقال: «إنا مستشهدون غدًا فلا تغسلوا عنّا دمنا ولا تكفنونا إلا في ثوب كان علينا»[٢] وكانت القادسية سنة (١٤هـ) وقيل غير هذا[٣].

ومما يجب التنويه به هنا، التذكير بأن تلك المرحلة كانت مرحلة جهاد عام والمسلمون باشتباك مستمر مع أعتى قوتين عالميتين آنذاك وهما الفرس والروم، وأن العرب جميعًا في حالة استنفار فضلاً عن الأنصار الذين عهد عنهم أن يكونوا في طليعة المسلمين لمواجهة أي خطر يواجههم .

وإذا لم تفصل المصادر عن دور عامة الأنصار وإسهاماتهم في الجهاد، فهذا لا يعني غيابهم عنه، وإنما كانت الأخبار ترصد الأحداث البارزة، وتتابع دور القادة الذين غالبًا ما يكونوا في وسط عشائرهم ومواليهم، وفيما ورد من ذكر لبعض الأنصار وقادتهم ومشاركاتهم، ما يعبر عن حضورهم في عامة مراحل الجهاد في تلك المرحلة .

الأنصار في فتح قزوين:

لما تولي المغيرة بن شعبة ولاية الكوفة في خلافة عمر، ولي البراء بن عازب الأنصاري قزوين وأمره أن يسير إليها، فإن فتحها الله على يده توجه منها إلى

١- ابن سعد: الطبقات (٢/ ٢٤١) الحاكم : المستدرك (٣/ ٢٦٠).

٢- الذهبي : الخلفاء الراشدون، ص(١٥٠).

٣- الطبري : تاريخ (٣/ ٥٩٠) ابن العماد: شذرات الذهب (١/ ٢٨).

الديلم، وكان الولاة قبل ذلك يوجهون الحملات إلى الديلم من دستبي فسار البراء بن عازب إليها، فانتصر على أهل (أبهر) فأمنهم على مثال أمان حذيفة لأهل (نهاوند) ثم توجه إلى (حصن قزوين) فلما اقترب البراء من حصن قزوين أحجم الديالمة عن نجدة جيرانهم، فلما علم ذلك أهل قزوين، طلبوا الصلح فعرض عليهم البراء ما أعطى أهل (أبهر)[١] فأنفوا الجزية وأظهروا الإسلام، على أن يكونوا مع من شاءوا من المسلمين فنزلوا الكوفة، وقيل : أسلموا وأقاموا بمكانهم وصارت أراضيهم عشرية، وأسكن البراء معهم خمسمائة رجل من المسلمين، وأقطعهم أراضي لا حق لأحد بها، ولم تذكر المصادر هوية هؤلاء المسلمين الذين أسكنهم البراء مع أهل قزوين، ويحتمل أن يكونوا من أهل تلك النواحين الذين لحقوا بجيش البراء مسلمين، ومما يشير إلى ذلك أنه كان في جيش البراء مسلمون من أهل قزوين، فقد أنشد أحدهم شعرًا يشير فيه إلى موقف الديلم من جيش البراء فقال:

قد علم الديلم إذ تحاب حين أتى بجيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبل وعر ومن سباسب[٢]

١ – البلاذري : فتوح البلدان، (٤٤٧) فما بعدها. والدجى: سواد الليل وظلمته، وعر: صلب، السبسب: المفازة (الصحراء) والجمع سباسب.
٢ – المصدر السابق: (٤٤٨)

وبعد أن أتم البراء فتح قزوين، توجه إلى الديلم فأدوا إليه الجزية وأخضع جيلان، والببر والطيلسان، وفتح زنجان عنوة[١].

ومن خلال الأعمال الناجحة تظهر كفاءة البراء بن عازب الأنصاري القيادية وسعة مشاركته في الفتوح، ومن الراجح أنه لم يكن وحده من الأنصار في كل تلك الحملات .

الأنصار في نهاوند وما بعدها:

أمّر الخليفة عمر ﷺ حذيفة بن اليمان الأنصاري ﷺ على جيش الكوفة الذي أمدّ به النعمان بن مُقرّن المزني قائد المسلمين في نهاوند، وكتب إليه الخليفة ﷺ: " إن حدث بك حدث، فعلى النّاس حذيفة بن اليمان "[٢].

وقد كانت معركة نهاوند تمثل مرحلة حاسمة في جهاد المسلمين ضد الفرس الذين جمعوا لها كل قواهم، وأعدوا لها كل إمكاناتهم، ويظهر تحسب المسلمين لتلك الموقعة من وصية النعمان في خطبته التي ألقاها قبيل المعركة، فقال: «وإن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان»[٣] وبقي يعد إلى سبعة قادة كلما ذكر واحداً، قال: فإن أُصيب فعلى الناس فلان.

وفي بداية المعركة أصيب النعمان بن مقرن، فبايع الناس حذيفة بن اليمان فأتم الله الفتح على المسلمين، وكتب حذيفة إلى الخليفة يعلمه بذلك[٤] ثم قسم غنائم

---

١ – المصدر نفسه: (٤٥٠)

٢ – الطبري: تاريخ (٤/ ١٢٧) وينظر: ابن حبان : صحيح ابن حبان (ح٧/ ٤٧٣٦) ص (١٢٣/ ٧)

٣ – الطبري: تاريخ (٤/ ١١٥) ابن حبان : الثقات (٢/ ٢٢٧)

٤ – ينظر: ابن حبان : الثقات (٢ / ٢٣٠) الذهبي : العبر: (١٢٠) كمال، أحمد عادل: سقوط المدائن،

نهاوند بين المجاهدين، فكان نصيب الفارس يوم نهاوند ستة آلاف، وسهم الراجل ألفين، وأقام حذيفة في نهاوند ينتظر أمر الخليفة عمر ﷺ ويرجح أن ذلك كان عام (١٩)[١].

وكان في تلك المرحلة عبدالله بن عبدالله بن عتبان الأنصاري واليًا على الكوفة ـ استخلفه سعد بن أبي وقاص عليها ـ فكتب إليه عمر أن ينزل المدائن ويتم إعداد جيشه ثم يسير إلى أصبهان، فقدم عبدالله على حذيفة، ثم سارا بجيشيهما إلى أصبهان التي احتشد فيها الفرس بقيادة أستندار، وقبل أن يصل المسلمون إلى أصبهان جابهتهم مقدمة جيش الفرس فهزموها، ثم بارز عبدالله بن عبدالله الأنصاري أستندار القائد الفارسي، فطلب الصلح على إثر تلك المبارزة فأُجيب إليه[٢] ثم سار عبدالله الأنصاري إلى أهل جي فصالحوه ودخلوا في ذمة المسلمين، ثم كتب إليه عمر أن يسير إلى كرمان ويساند سهيل بن عدي فخرج عبدالله من أصبهان في جيش من الفرسان ليه معه مشاة، فأدرك سهيلاً وهو بالطريق إلى كرمان، وذلك سنة إحدى وعشرين للهجرة [٣].

وبعد أن أحرز المسلمون هذه الفتوح، راسل أهل الماهين حذيفة بن اليمان يطلبون الصلح فقبل حذيفة، فعاقده أحد زعماء تلك النواحي واسمه دينار،

---

١ – ينظر: البلاذري : فتوح البلدان، ص (٤٢٤) الطبري: تاريخ (٤/ ١٣٦)

٢ – ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص (٤٢٤) الطبري : تاريخ (٤/ ١٣٦) وينظر : كمال : سقوط المدائن، ص (٢١٩)

٣ – ينظر: البلاذري : فتوح البلدان ص (٤٣٠) الطبري : تاريخ (٤/ ١٤١)

فتتابع أهل تلك البلاد يصالحون حذيفة على ما صالح أهل ماه دينار [١]، والذي أعطاهم فيه حذيفة الأمان على أنفسهم وأموالهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزيرة وينصحوا المسلمين [٢]، وبعث حذيفة على جيشه البراء بن عازب الأنصاري وقيل: سلمة بن عمرو الضبي إلى حصن الفرخان بن الزينبي وكان يدعى «عارين» في الري، فصالحه ابن الزينبي بعد قتال على أن يكونوا ذمة للمسلمين، وصالحه عن أهل الري وقومس، وصالحهم عن دستبي الرازي وكانت دستبي قسمين زاريًا وقسما همدانيًا[٣].

وفي سنة (٢٢هـ) افتتح حذيفة «الدينور» عنوة ثم«همدان» عنوة أيضا[٤] ثم فتح حذيفة «ماء سندان» عنوة[٥] وكانت هذه النواحي قد فتحت في ولاية سعيد بن أبي وقاص على الكوفة .

ولم تزل «الري» تفتح وتنتقض على المسلمين بعد أن فتحها حذيفة، حتى كان آخر من فتحها، قرظة بن كعب الأنصاري، في ولاية أبي موسى الأشعري الثانية على الكوفة، في خلافة عثمان بن عفان، فاستقامت بعد فتح قرظة، فكان ولاتها يجاهدون الديلم من دستبي التي كان أحد قادة مساحلها سماك بن خرشة

---

١ – الطبري: تاريخ (٤ / ١٣٤) وينظر: ابن حبيش: غزوات (٢ / ٧٢٤)

٢ – الطبري: تاريخ (٤/ ١٣٧) وينظر: حميد الله، محمد الوثائق السياسية للعهد النبوي والخالفة الراشدة .

٣ – البلاذري : فتوح البلدان ص (٤٤٤)

٤ – ينظر: ابن حبان : الثقات (٢/ ٢٣٣) الذهبي : العبر (١/ ٢٠).

٥ – ينظر: ابن خياط : تاريخ، ص (١٥٠) ابن حبان: الثقات (٢ / ٢٣٣)

الأنصاري[١]، وهذا ليس أبا دجانة الذي يشاركه في اسمه وكان سماك بن خرشة أول قادة مسالح دستبي الذين جاهدوا الديلم [٢].

ثم كتب عمر إلى نعيم بن مقرن المزني الذي كان في «واج الروذ» أن يبعث بسماك بن خرشة إلى أذربيجان مددًا لبكير بن عبدالله هناك [٣].

جهاد الأنصار في رامهرمز وتُستر:

شارك عدد من الأنصار في قيادة الجيوش الإسلامية التي أسهمت في فتح تستر : فكان البراء بن مالك الأنصاري على ميمنة جيش البصرة، وأخوه أنس بن مالك الأنصاري على خيل ذلك الجيش الذي يقوده أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس [٤].

وكان البراء بن عازب الأنصاري على ميمنة جيش الكوفة الذي يقوده عمار بن ياسر، وعلى ميسرته حذيفة بن اليمان الأنصاري، وعلى رجالته قرظة بن كعب الأنصاري[٥] وفي الحروب التي خاضها المسلمون عندما ساروا من الكوفة والبصرة [٦]كانوا متساندين ففتحوا «رامهرمز» وكان فهيا الهرمزان، فهرب إلى تستر فحاصره المسلمون فيها مع جنده أشهراً، وكثرة المبارزات في تلك الفترة

---

١ – البلاذري: فتوح البلدان، ص (٤٤٦)

٢ – ينظر: الطبري : تاريخ (٤/ ١٤٨) (٤/ ١٥٠) . (٤/ ١٥٤)

٣ – المصدر السابق: (٤/ ١٥٠).

٤ – ينظر: ابن عبد البر : الاستيعاب (٤/ ١٧٦٢)

٥ – ينظر: البلاذري : فتوح البلدان، ص (٥٣٥) فما بعدها .

٦ – ينظر: ابن أبي شيبة : المصنف (٨/ ٢٩) الطبري : تاريخ (٣/ ٨٤)

فأكثر المسلمون فيهم القتل، حتى قتل البراء بن مالك الأنصاري فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح المسلمون تستر «مائة مبارز سوى من قتل دون ذلك»[١] وطالت الحرب في حصار تستر واشتد القتال حتى طلب المسلمون من البراء بن مالك الأنصاري أن يدعو الله بالنصر فقال: «اللهم اهزمهم واستشهدني قال: فهزموهم فأدخلوهم خنادقهم، ثم اقتحموا، وفتح الله عليهم واستشهد البراء بن مالك الأنصاري على يد الهرمزان»[٢].

قال أنس بن مالك أخو البراء: شهدت مناهضة حصن تُستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح الله لنا، قال أنس بن مالك الأنصاري: «ما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما عليها»[٣].

وتمكن المسلمون من أسر الهرمزان في قلعة تستر، فأرسل إلى الخليفة في المدينة وفد كان فيه أنس بن مالك، فانطلقوا حتى قدموا إلى عمر وهو في المسجد هون حارس أو حاجب، فأثار حال الخليفة الهرمزان وأدهشه، فلما رآه الخليفة قال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه، ثم جيء للهرمزان بماء ليشر فتظاهر

---

١ – الطبري: تاريخ (٤/ ٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية (٤/ ٨٨) العمري: الخلافة الراشدة، ص (٢٦٤).

٢ – الحاكم : المستدرك (٣/ ٢٩٠٠) الذهبي: الخلفاء الراشدون، ص (٧٩) فتح تستر كان (١٩هـ) ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) تاريخ ابن الوردي .(١/ ١٩٧)

٣ – الطبري : تاريخ (٤/ ٨٥) الذهبي : الخلفاء الراشدون ص (٧٩) ابن كثير : البداية والنهاية (٤/ ٨٨)

بالخوف، فقال له الخليفة : لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه وقال: لا حاجة لي بالماء إنما أردت أن أستأمن به، فقل له عمر: إني قاتلك، فقال: قد أمنتني، وقال أن بن مالك : صدق . فقال الخليفة : ويحك يا أنس أنا أؤمن قاتل البراء بن مالك الأنصاري ومجزأة بن ثور! فأسلم الهرمزان وامتنع بإسلامه من العقوبة [1].

وفي شهادة أنس بن مالك تظهر أمانته وجرأته في قول الحق حتى لو كان ذلك لصالح قاتل أخيه كما في شهادته للهرمزان، وفيما سبق من جهاد تظهر مشاركات الأنصار الواسعة فيها، وإن كان التأكيد في هذه الروايات على القادة منهم فقط .

١ – ينظر: ابن أبي شيبة : المصنف (٨/ ٢٩) الطبري : تاريخ (٤/ ٨٧).

مشاركة الأنصار في القتال في خلافة أمير المؤمنين علي ﷺ:

- **الأنصار ومعركة الجمل (٣٦هـ):**

بداية أودّ الإشارة إلى أنّ هذا المبحث يتابع دور الأنصار ومشاركاتهم ولن يتوسع إلى الحديث عن أسباب أو مجريات تلك معركة الجمل إلا بالقدر الذي يوضح مشاركة الأنصار إن وجدت فيها.

وقد لخص ابن حجر قصة الجمل في فتح الباري، عن عمر بن شبة من كتاب «أخبار البصرة»[١] فلم أطلع فيما رواه على أي مشاركة للأنصار فيها، إلّا أنّ هناك مصادر أخرى ذكرت أنّ بعض الأنصار شهدوا حرب الجمل، وهم الذين خرجوا مع الخليفة علي ﷺ من المدينة، منهم: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وحجاج بن غزية الأنصاري، وثابت بن قيس بن الخطيم الظفري[٢] ورفاعة بن رافع ابن العجلان الأنصاري[٣] وهو الذي سأل أمير المؤمنين ﷺ لما توجه من الرَّبَذَة يريد البصرة، فقال له: يا أمير المؤمنين؛ أي شيء تريد ؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه ؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا ؟ قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا ؟ قال:

---

١ – ينظر: ابن حجر : فتح الباري، كتاب الفتن (١٣/ ٥٩) وقال: جمع عمر بن شبة في كتاب " أخبار البصرة " قصة الجمل مطولة، وهأنذا ألخصها وأختصر على ما ورد بسند صحيح أو حسن، واعتمادا على هذا يمكن القول بأن حرب الجمل لم يشهدها أحد من الأنصار .

٢ – ابن عبد البر : الاستيعاب (١/ ٢٠٦)

٣ – ينظر: الطبري : تاريخ (٤/ ٤٧٩) ابن قتيبة : الاستبصار، ص (١٧٢)

امتنعنا منهم. قال: فنعم إذاً، وقد أعجبت هذه المحاورة حجاج بن غزية الأنصاري فقال للخليفة: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفتوت وانفر بنا واسمو بنا نحو الصوت

لا وألت نفسي إن هبت الموت[١]

ومن خلال الحوار الذي دار بين رفاعة بن رافع الأنصاري، وأمير المؤمنين علي ﷺ ومحاولة رفاعة التأكد من توجهات الخليفة[٢] وإلحاجه في السؤال عن ذلك ما يوحي بتخوف الأنصار وحذرهم من تبعات هذا المسير على ما سبق لهم من جهاد مع النبي ﷺ ضد المشركين.

ولهذا لا يمكن الجزم بمشاركة الأنصار في القتال يوم الجمل على الرغم من شهود بعضهم تلك الموقعة، وما يوضح ذلك ويؤكده موقف خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي شهد ذلك اليوم، لكنه لم يشارك في القتال فحضرها «وهو لا يسل سيفا»[٣].

---

١ – الطبري : تاريخ (٤/ ٤٧٩)

٢ – ينظر : الواقدي : الردة، ص (١٠٣) الطبري : تاريخ (٣/ ٢٧٨)

٣ – الحاكم : المستدرك (٣/ ٣٨٥) ابن الأثير : أسد الغابة (٢/ ١١٩) وسمي بذي الشهادتين، لأن رسول الله ص جعل شهادته بشهادة رجلين، وذلك أن رسول الله ص اشترى فرسا من أعرابي فجحده الأعرابي، فشهد خزيمة ولم يكن حاضرا، فقال له رسول الله ص : " ما حملك على الشهادة، ولم تكن معنا حاضرا ؟!"، قال: صدقتك بما جئت، وعملت أنك لا تقول إلا حقا فقال ص ك " من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه " وقيل: إن ذلك الرجل كان يهوديا جاء يتقاضى رسول الله ﷺ فقال له: قد قضيتك، فقال اليهودي: بينتك، فشهد خزيمة . وينظر: كنز العمال (ح ١٣/ ٢٦٠٣٧) و (ح ١٣/ ٣٩٠٣٧).

ولم يكن أحد من الفريقين يُعد لحرب يوم الجمل لا مادياً ولا إعلامياً، وإنّما كان التوجه قبيلها للإصلاح ورأب الصدع[١] لكنها فتنة مفاجئة حصلت أسبابها من غير علم أمير المؤمنين علي أو طلحة أو الزبير رضي الله عنهم أجمعين، ولكن ما حصل آنذاك يمثل صورة واضحة طالما غفلت الأمة عن مخاطرها! ألا وهي غدر ومكر الأعداء المستمر بهذه الأمة، اتضح ذلك فيما قام به السبئية من إنشاب لتلك الحرب التي أفسدت مساعي الإصلاح[٢] رغم حرص الطرفين على تجنبها وتأكيدهم على أنّ خروجهم كان بهدف الإصلاح[٣] وجمع الشمل، لكن السبئية انتهزوا فرصة تَهيُّج النفوس وكثرة اللغط الذي حصل بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ فسعّروا الفتنة بين المسلمين وهذا شأنهم في كل عصر- وحين إن لم يتصدى لهم العقلاء ودعاة الأمن والوحدة والتوحيد في الأمة.

---

١ - ينظر: الطبري، تاريخ (٤/ ٤٨٩ و ٤ / ٤٩٣)

٢ - المصدر السابق: (٤/ ٤٩٣) فما بعدها .

٣ - ينظر: الطبري: تاريخ (٤ / ٥٣٧) وروى الطبري : أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت عن عدة من الناس منهم من كان معها، ومنهم من كان مع الخليفة، فكلما نعي لها منهم واحد قالت: يرحمه الله، وبعد أن حدثها القعقاع بن عمرو التميمي عن حرب الجمل قالت: " والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة " قال القعقاع: فحدثت علياً بما قالت: فقال: " والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة "" فكان قولها واحدًا " وقال الخليفة بعد أن دفن قتلى الفريقين: " إني لأرجو ألا يكون أحد من هؤلاء نقى قلبه، إلا أدخله الله الجنة " وهذا ما كان يردده طلحة والزبير قبيل يوم الجمل، فإذا اتضحت هذه الثوابت في سياسة أصحاب رسول الله ﷺ، فكم يبدو مجانبا للحقيقة، وبعيداً عن الصواب والموضوعية، ومغذياً للفتنة من يكيل التهم للصحابة الكرام في مثل ما كتبه صاحب كتاب " يوم انحدر الجمل من السقيفة " تحت عنوان " حرب الجمل والمبشرون بالجنة بين الحقيقة والوهم " ينظر: نبيل فياض: يوم انحدر الجمل من السقيفة. ص (٩٥) فما بعدها.

موقف الأنصار في صفين [١]:

سعيهم في الصلح:

سبقت صفين مراسلات وسفارات أسهم في بعضها الأنصار، وكان الهدف فيها الحيلولة دون وقوع صدام مسلح بين الطرفين، ومحتواها يدور حول دعوة الخليفة لوالي الشام معاوية بن أبي سفيان، إلى الجماعة والبيعة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[٢] وموقف معاوية الداعي إلى القصاص من قتلة الخليفة عثمان ثم إجابته إلى «الطاعة والجماعة»[٣].

وقد شارك في إحدى السفارات، بشير بن عمرو النجاري الأنصاري الذي التقى بمعاوية فوعظه وناشده وقال: «يا معاوية، إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة، والله محاسبك بعملك ومجازيك بما قدمت يداك، وإني أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها بينها ... فقال معاوية ونطل دم عثمان؟! لا والله لا أفعل ذلك أبدًا»[٤].

---

١ - صفين: موضع قرب الرقة على شاطء الفرات من الجانب الغربي وكانت في غرة صفر سنة (٣٧) ينظر: يا قوت، معجم البلدان (٣ / ٤١٤)

٢ - الطبري: تاريخ (٤/ ٥٦١) ابن الأثير: الكامل (٣/ ١٤٢) ز

٣- المصدر السابق: (٤/ ٥٦٢) (٣/ ١٤٨)

٤ - البلاذري: أنساب الأشراف (٣/ ٨٤) ابن أعثم: الفتوح (٣/ ٢٤) ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٢٦٧)

وممن سعى بالإصلاح من الأنصار قبيل صفين أبو الدرداء عويمر بن عامر[١] وكان معه أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي، يروى أنهما ذهبا إلى معاوية فقالا له: «يا معاوية، علام تقاتل عليًا وهو أحق بهذا الأمر منك ؟! فقال معاوية: إنّي لست أزعم أنّي أحق بهذا الأمر منه، وإنّي لأعلم أنّ علياً لكما وصفتما، ولكنّي أقاتله حتى يدفع إلي قتلة عثمان، فإذا فعل ذلك كنت رجلا من المسلمين، أدخل فيما دخل فيه الناس ...»[٢] فذكرت هذه الرواية أنهما تكفلا لمعاوية ﷺ بذلك، لكنهما لم يفلحا في ذلك إذ واجهتهما السبئية ممن أجلب على عثمان ﷺ في جيش الخليفة علي ﷺ ففشلت سفارتهما، وكانت هذه السفارة بمبادرة منهما دون أن يمثلا أي طرف، وبعث معاوية من قِبله، النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ومعه أبو هريرة الدوسي إلى الخليفة ﷺ يدعوانه أن يسلم قتلة عثمان ﷺ ليقتلوا به فيصلح أمر الناس، لكنهما لم يفلحا أيضاً[٣] ومن هذه النصوص يتضح سعي الأنصار السلمي ومشاركتهم في العمل على منع الحرب.

تعاون الأنصار مع الخليفة والعمل على ﷺ الإصلاح:

اتضح مما سبق: إسهامات الأنصار في العمل على الإصلاح، وتجنب الحرب، وأنهم شاركوا بعض السفارات التي أرسلها الخليفة إلى والي الشام، وفي بعض

---

١ - لا يمكن التسليم بهذه الرواية إلا إذا كان الساعي فيها أبي الدرداء إذ إنه توفي قبل حرب صفين . ابن عبد البر: الاستيعاب (٤ / ١٦٤٦)

٢ - ينظر: ابن أعثم : الفتوح (٣/ ٩٤)

٣ - البلاذري : أنساب الأشراف (٣ / ٢٠٥)

سفارات والي الشام إلى الخليفة، ومبادرة بعضهم في محاولة الصلح دون أن يكون ممثلا لأي من الطرفين .

وإذا اتضح موقف الأنصار السلمي هذا، فإن موقفهم من القتال في صفين لم يكن موحدًا، ولم تكن لديهم رؤية واحدة لتقييم الأحداث التي جرت بعد مقتل الخليفة عثمان، ولم تكون لديهم رؤية واحدة لتقييم الأحداث التي جرت بعد مقتل الخليفة عثمان، وقد اتضح في الفصل السياسي، أنهم منهم من اعتزل الحياة السياسية لما اتضح ذلك في موقف محمد بن مسلمة الحارثي الأنصاري .

وأن منهم من كان مترددًا بين العزلة وبين المشاركة، تمثل ذلك في موقف أبي سعود البدري عقبة بن عمرو بن ثعلبة الحارثي الأنصاري، سكن بدرا ونسب إليها [1]، وكان موقفه يوضح عمق المأساة التي مر بها المسلمون في تلك المرحلة، وتشعب الفتنة وتفاوت المواقف تجاهها .

عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: «كنت جالسًا مع أبي مسعود وأبي موسى الأشعري وعمار بن ياسر فقال أبو مسعود ـ لعمار: ما من أصحابك أحد إلا لو شئت لقلت فيه غيرك، وما رأيت منك شيئاً منذ صحبت النبي ﷺ أعيب عندي من إسراعك في هذا الأمر .

قال عمار: يا أبا مسعود، وما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئا منذ صحبتما النبي ص، أعيب عندي من إبطائكم ا في هذا الأمر . فاقل أبو مسعود

١ – ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة (٣ / ٢٦٢)

وكان موسرًا ـ يا غلام، هات حلتين فأعطي إحداهما أبا موسى والأخرى، عمارا، وقال: «روحا فيها إلى الجمعة»[١].

ومن هذا التقييم المتفاوت للأحداث الجارية آنذاك يمكن تفسير المواقف التي كان يتخذها الأنصار وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وفيها ما يعذرهم ويسوغ لهم مواقفهم تلك ؟ إذ عاب كل منها موقف صاحبه، قياسًا لام يعتقد به، فعمار بن ياسر: يرى في الإبطاء مخالفة للإمام وتركا للعمل بقوله تعالى: «فقاتلوا التي تبغي حتى فيء إلى أمر الله» (الحجرات:٩) وإن الأحاديث التي تحذر من رفع السلاح على المسلم إنما تخص من كان معتدياً فقط [٢].

وأبو مسعود البدري الأنصاري ومعه أبو موسى الأشعري، يعتقدان بأنّ الإجابة والإسراع إلى حرب صفين إسراع إلى الفتنة، وأنّ ترك القتال في الفتنة أولى لما في حمل السلاح على المسلمين من التحذير والوعيد كما في كثير من الأحاديث الواردة في ذلك، مثل قوله ﷺ: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قلت: يا رسول الله هذا القاتل! فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)[٣].

---

١ – ابن حجر: فتح الباري . ك الفتن ح (١٣/ ٧١٠٧)

٢ – ينظر: ابن حجر: فتح الباري، ك الفن، شرح الحديث السابق (١٣/ ٦٤) ووأيضا، ح (١٣/ ٧٠١٤)

٣ – الجمع بين الصحيحين، باب أفراد البخاي، ح (٥٨٤) الطبري : تاريخ (٥/ ٨١) حديث الفتنة الذي رواه عبد الله بن خباب حين قتله الخوارج.

ولهذا لا يمكن تخطئة أحد منهم، فكلًّا منهم يعمل بما وصل إليه اجتهاده وفهمه، ويتمسك به ويدعو له، وهذا ما أدى إلى الاختلاف في المواقف بين الخليفة ووالي الشام، ومن تبعهما من المسلمين، فالذين قاتل بعضهم بعضا في حرب صفين إنما كان بناء على هذه المفاهيم، وبناء على هذا التأويلات.

وتجلى موقف أبي مسعود رضي الله عنه الرافض لحرب صفين، والداعي للصلح في خطبته بالكوفة حين استخلفه أمير المؤمنين علي ﷺ على الكوفة لما سار إلى صفين، ويبدو أن أبا مسعود كان على علم بتخلف بعض أهل الكوفة عن المسير إلى صفين فأعطاهم الأمان، وقال: " أيها الناس، اخرجوا فمن خرج فهو آمن، إنّا والله نعلم أنّ منكم الكاره لهذا الوجه والمتثاقل عنه، إنّا والله ما نعدها عافية أن يلتقي هذان، وكلنا نعدها عافية أن يصلح الله أمة محمد ويجمع ألفتها"[1] ثم بين رأيه في أسباب الفتنة وفيمن خرج على الخليفة عثمان فقال: " إنهم لم يدعوه وذنبه حتى يكون الله يعذبه أو يعفو عنه، ولم يدركوا الذي طلبوه، إذ حسدوه ما آتاه الله إياه»[2].

ويبدو أن أبا مسعود كان يدرك أن قوله هذا لا يتفق مع ما يراه أمير المؤمنين فكان يصف حاله ذلك وأنه لا يستطيع إقناع أمرائه، ولا يستطيع موافقتهم على ما لا يقتنع به، فقال: «كنت رجلا عزيز النفس حمي الأنف لا يستقبل مني أحد شيئا سلطان ولا غيره، فأصبح أمرائي يخبرونني بين أن أقيم على ما أرغم أنفي،

١ – ابن أبي شيبة، المصنف (٨/ ٦٨٣)

٢ – الذهبي : سير أعلام النبلاء، (٢ / ٤٩٥)

وبين أن أخذ سيفي فأضرب به فأدخل النار[١] » ولهذا كان مستعدا لدفع ثمن مواقفه دون أي تردد، فلما قدم الخليفة بعد صفين عزل أبا مسعود عن عمله لأنه «كان لا يرى الحرب»[٢] .

فترك علمه وعزم على المسير إلى المدينة، لكنه بقي متمسكا بالجماعة داعيًا لها، وحين عزم على الرحيل قال له ناس أوصنا : «قال عليكم بالجماعة، فإن الله لن يجمع الأمة على ضلالة» [٣] وأعادوا عليه فأعاد عليهم وصيته بالتمسك بالجماعة ووحدة الصف. ولم يكن أبو مسعود البدري شاذا عن قومه الأنصار فيما اتخذه من مواقف، بل يكاد منهجه أن يكون هو المنهج المتبع من أكثرة الأنصار، فكان حرصهم على وحدة الصف يدفع بهم إلى مساندة الخليفة، وخوفهم من القتال في الفتنة، ورفع السلاح في وجه المسلم، يلجم اندفاعهم المعهود عنهم في الجهاد، فيحجم مشاركتهم ويضعف عن مواقفهم، ولعل موقف خزيمة من ثابت الساعدي ذي الشهادتين في حرب الجمل يمثل هذا التوجه، إذ شهدها لكنه لم يشارك في القتال [٤] ولم يتغير موقفه هذا في حرب صفين، فهو لم يعتزل ولكنه لا يقاتل إلى على بينة فكان يقول: «أنا لا أضل بقتل عمار بن ياسر، فإني سمعت

١ – الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٥)
٢ – البلاذري : أنساب الأشراف (٣/ ١٠٥)
٣ – ابن أبي شيبة : المصنف (٨ / ٦٨٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٩٥)
٤ – ينظر : الحاكم، المستدرك، (٣/ ٣٨٥) الساعاتي: الفتح الرباني (٢٣/ ١٤٢)

رسول الله ص يقول: «تقتلك الفئة الباغية» قال: فلما قتل عمار بانت له الضلالة، فسل سيفة وقاتل حتى قتل رضي الله عنه[١] .

ولم يكن سهل بن حُنيف الحارثي إلا قريباً من هذا التوجه، على الرغم من رابطة المؤاخاة التي تربط بينه وبين الخليفة علي ﷺ وقد تكون هذه المؤاخاة وما عهده عنه الخليفة من موقف في بدر وأحد وغيرها، هي السر وراء تمسكه به، فقد استخلفه على المدينة حين خرج إلى البصرة وحرب الجمل، وأسند إليه ولاية الشام لكن خيل أهل الشام ردته عنها قبل أن يصل إليها، ثم ولّاه فارس لكن أهلها أخرجوه منها [٢] وشهد سهل بن حنيف صفين مع الخليفة، وكان على خيل أهل البصرة»[٣].

وعلى الرغم من مشاركته في موقع قيادي في صفين، يبدو أنه لم يكن متحمسا للقتال، بل كان أميل للصلح، وهذا ما يظهر من خلال خطبه التي يعبر بها عن رأي كثير من الأنصار، وفي مواقف يصعب فيها الاختيار، فلما عزم الخليفة على المسير إلى صفين استشار أصحابه فقام سهل بن حنيف ﷺ فقال: "يا أمير

١ – البخاري: التاريخ الصغير (١/ ١٠٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق (١٦/ ٣٦٩) الذهبي: دولة الإسلام تحقيق : عبد الله الأنصاري.

٢ – ينظر: ابن سعد : الطبقات (٢ / ٢٤٧) ابن الأثير : (٢ / ٣٨٩) .

٣ – ينظر : البلاذري : أنساب الأشراف، (٣/ ١٨٥) الطبري : تاريخ، (٥ / ١١)

المؤمنين، نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك، متى دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك، وليس منا خلاف»[١].

فمن هذا النص يتضح أن سهلاً لا يريد أن يتحمل أية مسئولية في الإقدام أو الاحجام وإنما الأمر للخليفة، وهو سامع مطيع، ولن يدعو للخلاف، وهذا يختلف كثيراً عمّا كان يراه قيس بن سعد الأنصاري في ذلك الموقف، ويتفق مع ما اتخذه سهل من مواقف مسالمة عندما ردّ عن ولاية الشام، وعندما فشل في تثبيت ولايته على إقليم فارس حيث أخرجه أهلها[٢] والأكثر من ذلك تغلب مروان بن الحكم وأبي البختري بن هشام على المدينة وسهل فيها[٣]حتى خرج منها مع قيس بن سعد إلى الخليفة علي ﷺ في الكوفة [٤].

كل هذه المواقف تدعو إلى التساؤل عمّا كان سهل يتخذه من مواقف، وهل كان ذلك الضعف في سياسته وقدراته، وإذا كان كذلك فلماذا يتمسك به الخليفة ﷺ إلى هذا الحد؟ الذي يمكن قوله هنا: إنه لم يعهد عن سهل ﷺ ضعف في سياسته أو إقدامه قبل؛ فكان ما يتخذه من مواقف التقريب والتسديد تصب في هذه الرؤية، فثقته بالخليفة علي ﷺ وحبه له تزيد من تعلقه به، ورؤيته للأحداث التي تحصل آنذاك على أنها فتنة تقلل من حماسته وإقدامه الذي عهده به

١- ابن أعثم : الفتوح (٢/ ٤٤٢) المنقري، نصر بن مزاحم ت (٢١٢هـ/ ٨٢٧م) وقعة صفين، تحقيق : عبد السلام هارون . ص ٩٣ .

٢- ينظر ابن الأثير : اسد الغابة (٢/ ٣٨٩)

٣- ابن العماد : شذرات الذهب (١/ ٤٨)

٤- الطبري: تاريخ ٥/ ٩٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٠)

الخليفة، فكان ينشد السلامة بين هذه المواقف، ولا أول عما يعبر عن هذه الؤية مما أخرجه الخباري عن أبي وائل قال: «لما قدم سهل بن حنيف من صفين، أتيناه نستخبره فقال: اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ـ أي يوم الحديبية ـ ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمراً أمره لرددت، والله ورسوله أعلم، وما وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلنّ بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خُصماً إلا تفجر علينا خُصم ما ندري كيف نأتي له»[1] وهذا الحديث الصحيح الذي تمثلت فيه ؤية سهل بن حنيف للأحداث في تلك المرحلة تكررت روايته [2]، وروي أنه قيل بعد رفع المصاحف في صفين عن حبيب بن أبي ثابت، قال: أتيت أبا وائل أسأله فقال: « كنا بصفين، فقال رجل: الم تر إلى الذي يدعون إلى كتاب الله تعالى؟ فقال علي ﷺ: نعم. فقال سهل ابن حنيف: اتهموا أنفسكم ..»[3] وذكر الحديث وقال علي ﷺ: نعم« أي أنا أولى بالإجابة إذا دعيت إلى العمل بكتاب الله لأنني واثق بأن الحق بيدي»[4].

١- الجمع بين الصحيحين، باب أفراد البخاري (٧٠١) العمري: الخلافة الراشدة (ص ٥٢٩).

٢- ينظر ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ح (٣١٨١) و (٣١٨٢) و (٤١٨٩) و (٤٨٤٤) و (٧٣٠٨).

٣- ابن حجر : فتح الباري، ك الجيرة والموادعة، ح (٦/ ٣١٨١)، ك التفسير، ح (٧/ ٤٨٤٤) وينظر شرحه .

٤- ابن حجر : فتح الباري، ك الجيرة والموادعة، ح (٦/ ٣١٨١)، ك التفسير، ح (٧/ ٤٨٤٤) وينظر شرحه .

فهذا الحديث قيل في صفين، ونظراً لأهميته استشهد به في أكثر من مكان . وسل أبو وائل : «هل شهدت صفين ؟ فقال: نعم، وسمعت سهل بن حنيف يقول«فذكر الحديث، ثم قال: شهدت صفين وبئست صفين»[1].

مما ينبئ عن الحال التي كان عليها كثير من المشاركين في صفين، والأسى النفسي الذي كان يحسه من كان يشارك سهل بن حُنيف للحال الذي كانت تمر به الأمة آنذاك.

فمن كل ما سبق يستنتج: أن أحداث صفين لم يشارك فيها الأنصار دون دراسة وترو، وأنها لم تكن حرب منافسة على السلطة والخلافة، وما يتبع ذلك من منافع ومصالح للفائزين بالنصر، بل إنها كانت حرب مبادئ وقناعات، بنيت على أسس عميقة بعد اجتهاد طويل وتفكير دقيق، وهذا ما يفسر التفاوت في مواقف الأنصار في تلك الأحداث، إذ كان كل منهم يراها من الزاوية التي توصل إليها اجتهاده، فمن برئت ذاته من أهوائها ورأى الإقدام، أقدم وقاتل وقتل وهو لا يبتغي من ذلك إلا رضا الله تعالى، ونصرة الحق الذي اقتنع به .

ومن لم يستطع أن يبصر خفايا تلك المحنة في ذاته، فهو لن يبصرها في ساحة القتال فلا يرى الإلا الإحجام عن المشاركة أو الاعتزال، ومنهم من عاش بين حرصه أن يكون في الجماعة، ويتمنى العافية له وللمسلمين .

وهذه المنهجية الأنصارية في التعامل لم تكن مقتصرة على صفين، وإنما يكاد أن يشترك فيها الأنصار في كثير من الأحداث السياسية والعسكرية، فمن هذه

١- المصدر السابق: ك الاعتصام بالكتاب والسنة ح (١٣/ ٧٣٠٨)

الرؤية لم يشارك أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري[١] في صفين، بينما شارك في الحرب ضد الخوارج.

عن شعبة قال: قلت للحاج بن عيينة : أشهد أبو أيوب صفين؟ قال: «لا ولكن شهد معه قتال أهل النهروان»[٢] وكان «ولاه الخليفة علي، على المدينة فاستخلف رجلا من الأنصار عليها حتى قتل علي، ولم يشهد معه صفين ولكنه شهد يوم النهر»[٣] وشارك في حرب الخوارج باندفاع كبير كما سيتضح ذلك، وكان واليا على المدينة حينما خرج إليها بُسر بن أبي أرطأة في جيش من دمشق فلما أحسه أبو أيوب «خرج منها هاربا خوفاً على نفسه»[٤].

وهذا ما يدعو إلى التساؤل عن كفاءة أبي أيوب، فالمعروف عنه أنه رجل جهاد وغزو «وأنه لم يتخلف عن غزاة إلا وهو في أخرى إلا عاماً واحداً فإنه استعمل على الجيش رجل شاب، فقعد ذلك العام فجعل بعد ذلك يتلهف ويقول ما علي من استعمل عليّ ويكررها »[٥] وقال: قال الله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ

---

١ – من بني مالك بن النجار الخزرجي، نزل عنده رسول الله ص لما هاجر، حتى بني مسجده وحجره، وانتل إليها فاستفاد من جواره، هذا آدابا وعلوما، وأصبحت له منزلة عالية في نفوس المسلمين ومن ذلك أنه زار ابن عباس فأكرمه وقال له : " أريد أن أخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله ص عن مسكنك، وأمر أهله فخرجوا وأعطاه كل شيء أعلق عليه بابه . ينظر: ابن عبد البر : الاستيعاب (٤/ ٦-١٦) ابن الأثير : أسد الغابة، (٢ / ٨٥)

٢ – الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (١/ ١٦٤)

٣ – بدران : تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٤).

٤ – ابن أعثم : الفتوح (٤ / ٥٧)

٥ – بدران : تهذيب تاريخ دمشق (٥ / ٤٦)

خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[١] فلا أجندي إلا خفيفا أو ثقيلا فلزم الجهاد [٢]، فإذا كانت هذه هي سيرة أبو أيوب الأنصاري في ممارسة الجهاد، فكيف انسحب من أمام بسر بن أبي أرطأه بهذه السهولة ؟ وأين إعداده والينا للمدينة في مرحلة تموج بالصراع ؟ وأين محاولاته لحمايتها ؟ الذي يبدو أن انسحاب أبي أيوم أمام قوة بُسر لم يكن عجزاً أو هلعاً، وأنّ ابن أعثم أو الواقدي الذي روى عنه ابن أعثم، كان مجحفاً بحق هذه الشخصية المجاهدة عندما، قال: «خرج هاربا خوفاً على نفسه»[٣] وأنّ هذا القول لم يعبر عن الحدث إلا من زاوية واحدة، ولم ينظر إلى أسباب ذلك، وبناء على ما كان يتصف به أبو أيوب ﷺ من شجاعة فإنّ هذا القول مردود، والذي يظهر أنّ ابا أيوب أو كان يؤمن بالمواجهة والقتال لما تخلف عن حرب صفين، ولأعد لمواجهة بسر ما يرده عن المدينة أو يعوق دخلوه إليها بهذه السهولة.

ولكن الذي أخرجه من المدينة، هو اعتقاده في القتال في تلك المرحلة، وخوفه من إراقة دماء بريئة، وهذا ما يظهر المنهجية التي كان عليها كثير من الأنصار آنذاك، ويجعله يشارك أبا مسعود البدري، وسهل بن حنيف وغيرهما في رؤية وتفسير أحداث الفتنة.

---

١ – سورة التوبة الآية (٤١).

٢ – ابن أعثم : الفتوح (٤ / ٥٧) .

٣ – ابن أعثم : الفتوح (٢ / ٤٤٢) المنقري : وقعة صفين (ص ٩٣)

ومن هنا يمكن القول بأنّ كل واحد من الأنصار كان يعمل وفق ما لديه من علم وما توصل إليه من اجتهاد، ومن ثم فإنّ إصدار الأحكام على مواقفهم في حرب الجمل وصفين ليس بهذه السهولة، وأن كل من وقع في تخطئة مواقف الصحابة سيكون متسرعاً وغير دقيق، وأنّ أحداث صفين أوسع من أن يحاط بها في دراسة تقتصر على جانب واحد، وأنه لا يمكن إطلاق حكم واحد على جميع الأنصار، إذ إن مواقفهم في تلك المرحلة تستند إلى فهمهم وتقييمهم للأحداث ورؤيتهم لأسبابها ونتائجها، وهذا ما يفسر اعتزال بعضهم، ولين مواقف بعضهم الآخر، كما سبق الحديث عنه، وإقدام آخرين ومشاركتهم في تلك الحروب دون أي تردد، كما فعل ذلك قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ﷺ في صفين.

الاندفاع في تأييد الخليفة علي ﷺ ونصرته:

اتضح أنّ للأنصار أكثر من موقف في حرب صفين منها السعي في الصلح والعمل على تجنب الحرب، ومنها مؤازرة الخليفة مع البحث عن فرص الصلح وتشجيعها، دون أي حماسة للقتال.

وهناك فريق ثالث، كان متحمساً في الحرب دون أنّ أطلع على أيّ نص يشير إلى تردد في مواقفه التي ساند فيها الخليفة ﷺ يمثل ذلك قيس بن سعد بن عبادة ﷺ، وهو ذو شخصية عسكرية سياسية، أوتي من الحكمة وحسن السياسة

وتقدير العواقب ما يجعله من رجالات الدول وقادتها حتى عُد من داهاة العرب رضي الله عنه .

اتسمت مواقفه بالتوافق التام مع سياسة الخليفة علي ﷺ وإيمانه العميق بالعمل على نصرته وتثبيت خلافته، ظهر ذلك منذ أن عزم الخليفة على المسير إلى صفين، ولو قارنا موقف قيس هذا بموقف سهل بن حُنيف في ذلك اليوم، لتبين حزم قيس واندفاعه، ولظهر عدم تشجيع سهل لدعوة الحرب، وإذا سار إليها فهو لا يُحمّل نفسه ولا قومه مسؤولية ذلك، وإنما هم موافقون رأي الخليفة سامعون مطيعون: «متى أمرتنا أطعناك وليس عليك منا خلاف»[١].

فسهل كان يرى أن المسير إلى صفين من مسؤولية الخليفة، ولا يتعرض لذكر أهل الشام، لكنّ قيساً كان يحث الخليفة على المسير، ويبدي رأيه في أسباب ذلك المسير، فهو يسير بخطى ثابتة لا يجد في نفسه ما يدعوه إلى التردد.

وفي المسير إلى صفين كان قيس بن سعد ﷺ على رجّالة أهل البصرة[٢] وكان زياد بن النضر الحارثي الأنصاري، يقود طليعة لجيش الخليفة، تتكون من ثمانية آلاف مقاتل[٣] وممن ذكر في المسير للقتال في صفين، الحجاج بن غزيّة الأنصاري[٤].

---

١ – البلاذري : أنساب الأشراف (٣ / ٨٥)

٢ – الطبري : تاريخ (٥ / ١١)

٣ – ابن كثير : البداية والنهاية (٤ / ٢٦٦)

٤ – الطبري : تاريخ (٥ / ٤٤)

وإذا لم تُفصل المصادر في مشاركات الأنصار في صفين، فإنّ قيس بن سعد يكاد يُستثنى من ذلك إذ دُونت أكثر مشاركاته، وما ذلك إلا لاندفاعه فيها وأنّه من قادتها، وبلغ من أهمية دوره أن أوكلت إليه قيادة العمليات في بعض أيامها [١] وبلغ من إيمانه بشرعية موقفه في تلك الحرب، أن خرج فيها حاسرا عن رأسه وهو يقول:

أنا ابن سعد وأبي عُبادة والخزرجيون رجال وسادة
يا ذا الجلال لقني الشهادة شهادة تتبعها سعادة[٢]

وكان قيس بن سعد يرى أنّ اندفاعه في أحداث صفين استمراراً لما كان عليه في عصر الرسالة، فكان يعتز بلوائه في صفين وينشد له:

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النّبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الأنصار عيبته ألّا يكون له متن غيرهم أحد[٣]

إلا أنّ ما يمكن الإشارة إليه في مواقف قيس في تلك المرحلة، أنها لم تكن نابعة من مواقف خاصة به، وإنما كانت تمثل مدى ثقته بالخليفة علي ﷺ وتظهر مدى استعداده لتحقيق تطلعاته وإنجاح مشاريعه، واستمر ملازماً للخليفة ولم يتخلف عنه في مشهد من مشاهده .

---

١ – ينظر أبن الأثير: الكامل (٣ / ١٥٠)
٢ – ابن كثير: البداية والنهاية : (٣/ ٦٢)
٣ – ابن عبد البر: الاستيعاب (٤ / ١٢٨٩)

ولما قتل الخليفة ﷺ لزم قيس الحسن بن علي وبايعه، وكان على مقدمة جيشه[١] فلما تم الصلح بين الحسن بن علي، ومعاوية بن أبي سفيان، عاد قيس إلى المدينة، فأقبل على العبادة حتى توفي سنة (٥٩أو ٦٠هـ)[٢].

وإذا اقتصرت الروايات التي تم الاطلاع عليها في هذا البحث، على الحديث عن أفراد من أعلام الأنصار وقادتهم، فهذا لا يعني أنه لا يوجد سواهم فيها، وأنّ كلاً من هؤلاء كان يمثل توجهاً داخل جماعة الأنصار، ولكل من يشاركه قناعاته ورؤيته للأحداث في تلك المرحلة، ولعل قائمة الأنصار المشاركين في صفين توضح بعضًا من ذلك.

موقف الأنصار من رفع المصاحف في صفين:

أرسل أهل الشام رجلاً إلى أمير المؤمنين علي ﷺ فجاء وهو يحمل المصحف وينادي: بيننا وبينكم كتاب الله، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٣] فقال الخليفة علي ﷺ: نعم بيننا وبينكم كتاب الله أنا أولى به منكم، قال: فجاءت الخوارج وكنا نسميهم يومئذ القراء[٤] فجاءوا بأسيافهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف فقال: "

١ – البلاذري: أنساب الأشراف (٣/ ٢٨١)

٢ – ابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ١٢٨٩) ابن الأثير: أسد الغابة (٣/ ٥٠٨).

٣ – سورة آل عمران الآية (٢٣).

٤ – قال ابن حجر: القراء الذين يبالغون في التدين، ومن ثم صار منهم الخوارج، ينظر: فتح الباريخ (١٣/ ٣٠٢)

أيها الناس اتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ثم حدثهم عن معارضة عمر ﷺ للصلح يوم الحديبية، ونزول سورة الفتح. فقال علي ﷺ: «أيها الناس إنّ هذا فتح فقبل القضية ورجع، ورجع الناس»[١].

فاستند الخليفة ﷺ في قبول الصلح إلى قصة الحديبية، وأنّ النبي ﷺ أجاب قريشاً إلى المصالحة مع ظهور غلبته لهم[٢] كأنهم اتهموا سهلاً بالتقصير في القتال حينئذ، فقال لهم: بل اتهموا أنتم رأيكم وأنفسكم فإنّي لا أقصر كما لم أكن مقصراً يوم الحديبية وقت الحاجة[٣] وكما توقفت يوم الحديبية من أجل ألا أخالف حكم رسول الله ﷺ كذلك أتوقف اليوم لأجل مصلحة المسلمين[٤] **قال أبو وائل**: (لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناه نستخبره فقال اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت والله ورسوله أعلم وما وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمر يُفظعنا إلا أسهلنّ بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ما نسد منها خُصْماً إلا انفجر علينا خُصمٌ! ما ندري كيف نأتي له؟)[٥] وقد أظهر سهل بن حُنيف ﷺ اشمئزازه من استمرار الحرب، وأبدى حيرته

---

١ – ابن أبي شيبة : المصنف، باب ما ذكر في الخوارج، ح (٥) ج ١٥/ ٣١٧.

٢ – ابن حجر: فتح الباري، ك الاعتصام بالكتاب والسنة، شرح الحديث (٧٣٠٨)

٣ – ابن حجر: فتح الباري، ك الاعتصام بالكتاب والسنة، شرح الحديث (٧٣٠٨)

٤ – م . م وينظر: جعيط : الفتنة (ص ٢٠٣) وقال: إنه من الخطأ التام أن نرى في رفع المصاحف خدعة لتجنب الهزيمة، فإن معاوية استخدم اللغة الوحيدة والمرجع المشترك الممكن فهمه فتوقفت الحرب .

٥ – صحيح البخاري: ح (٣٨٦٨).

لعدم فهم أهدافها بعد الدعوة إلى الصلح، فهو يصرح بأنه مع كل هذا القتال الذي جرى لم يصل إلى نتائج واضحة وأنه لا خيار إلا الصلح.

وتصدى عثمان بن حُنيف الأنصاري ﷺ للخوارج ومعارضي الصلح فأظهر فوائد التحكيم وحذّر من عواقب الاستمرار في القتال بين المسلمين، فقال: «وإنه لأمر منعه غير نافع ـ أي الصلح ـ وإعطاؤه غير ضائر، وقد كلت البصائر التي كنا نقاتل بها، وقد حمل الشك اليقين الذي كنا نئول إليه، وذهب الحياء الذي كنا نماري به، فاستظلوا في هذا الفيء واسكنوا في هذه العافية، فإن قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس، هيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد، فأعجب عليًا ﷺ قوله، وافتخرت به الأنصار، ولم يقل أحد أحسن من مقالته"[1] وواضح في هذا النص أسباب قبول التحكيم، إذ إن الصلح خير من الحرب واليقين به وبنتائجه خير من رفضه الذي سيقود إلى شك لأن نتائجه غير واضحة، وأن الأمور تغيرت فذهب قياس أمس ولا بد من قياس جديد ينظر فيه لمصلحة الأمة وإلى مستقبلها.

وهذا ما يوحي إلى ميل الناس ـ وفي مقدمتهم الأنصار ـ إلى الصلح، وأن معارضة الخوارج له، دفع الأنصار إلى التمسك بطاعة أمير المؤمنين علي ومؤازرته ومن ثم اقتناعهم بحرب الخوارج، وإجماعهم على ذلك دون أن يكون هناك أي تفاوت في ذلك الإجماع، فأسهموا بذلك في إنهاء أعنف حرب بين المسلمين، وفتح الباب أمام وحدتهم من خلال التفاوض، وأيضا اكتشاف خطر

١ – ابن قتيبة: الإمامة والسياسة (١/ ٩٩) جمهرة خطب العرب، ١/ ٣٩٨.

الخوارج الذي يعمل على إنهاك الأمة بحروب وفتن داخلية أودت بحياة الخليفة الرابع ﷺ وتركت الباب مفتوحاً لاستمرارها، وتسلل أعداء الأمة من ثغراته.

موقف الأنصار من الخوارج بعد صفين:

كان الأنصار رضي الله عنهم لديهم علم مسبق عن صفات الخوارج؛ قال يُسَيْر بن عمرو ﷺ قلت لسهل بن حُنيف ﷺ هل سمعت النّبي ﷺ يقول في الخوارج شيئا؟ قال: (سمعته يقول وأهوى بيده قِبل العراق: يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية)[1] وكان علي بن أبي طالب يقول: (سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2]. أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام

والخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي لما رجع من صفين وفارقوه[3] حتى أتوا حروراء [4] فنزل بها منهم أثنا عشر ألفًا[5] فلما قطعوا السبيل،

---

١ – صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج ي للتألف وأن لا ينفر الناس عنه، ح (٨٨).

٢ – صحيح البخاري: كتاب المناقب، ح (٦١).

٣ – ينظر: الطبري : تاريخ (٥/ ٦٤) ابن منظور: مادة خرج (٢ / ٢٥٠) ابن الأثير: الكامل (٣ / ١٦٥)

٤ – حروراء ـ بفتحتين ويجوز أن يكون مشتقا من الريح الحرور ـ قيل: هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب، فنسبوا إليها، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا، ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٤٥.

٥ – ينظر: الطبري: تاريخ (٥/ ٦٣) ابن الأثير: الكامل (٣ / ١٦٦)

وتعرضوا للناس[١] وقتلوا بعض المسلمين[٢] وقتلوا رسول الخليفة علي ﷺ إليهم، أجمع الناس على حربهم وعزم الخليفة ﷺ على وضع حد لهذا الخطر[٣] فقدّم بين يديه قيس بن سعد الأنصاري، وأمره أن يأتي المدائن فينزلها[٤].

وبعث إليهم قيس بن سعد يطالبهم بإخراج القتلة وقطاع السبل من بينهم وينصحهم بالعودة إلى ما كانوا عليه قبل صفين، وتساءل عن حجتهم في اتهامهم له بالشرك واستباحة دماء المسلمين، فكان جوابهم: «إن الحق قد أضاء لنا فلسنا نتابعكم أو تأتوننا بمثل عمر، فقال قيس: ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ قالوا: لا، وقال: نشدتكم في الله في أنفسكم أن تهلوكها، فإنّي لأرى الفتنة قد غليت عليكم»[٥].

وبعد مراسلة قيس بن سعد الأنصاري ﷺ لهم ومناشدتهم ودعوتهم لمراجعة موقفهم، ورفضهم لذلك، حاول معهم أبو أيوب الأنصاري ﷺ فوعظهم وذكرهم، وقال: «ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقاتلوننا؟ إني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل»[٦].

---

١ – الطبري: تاريخ (٥/ ٨١) ابن كثير: البداية والنهاية : (٤/ ٢٩٨)

٢ – المصدر السابق.

٣ – المصدر نفسه.

٤ – ينظر: البلاذري : أنساب الأشراف (٣/ ١٤٤) الطبري: تاريخ (٥/ ٨٣) ابن الأثير: الكامل (٣/ ١٧٣).

٥ – المصدر السابق.

٦ – ينظر : الطبري : تاريخ (٥/ ٨٤) ابن الأثير: الكامل (٣/ ١٧٣)

وتوسعت إسهامات الأنصار وسفاراتهم إلى الخوارج حرصًا منهم على تجنب الحرب وإعداتهم إلى طاعة الخليفة ﷺ فخرج البراء بن عازب الأنصاري ﷺ يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقّة، وبقي يذكرهم ويعظهم ويحاورهم ثلاثة أيام[١] فلم يستجيبوا له، وأصروا على موقفهم المعارض للوفاق والصلح، وتأويلهم الفاسد لأمر التحكيم، فخرج إليهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ثم الخليفة علي فحاوراهم وأبطلا تأويلاتهم [٢].

مما سبق من نصوص يتضح دور الأنصار ومشاركتهم في محاولات الإصلاح ورأب الصدع وإن لم ينجحوا فيها، فإنها أكسبتهم خبرة بمعتقداتهم ومعرفة بتأويلاتهم الفاسدة، مما زاد من تقدير الأنصار لخطورتهم ولا سيما أنهم رفضوا كل دعوات المصالحة والمهادنة، مع ضمان الخليفة ﷺ لجميع حقوقهم المالية والدينية وذلك بقوله لهم: «لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا»[٣] .. ولما رفض الخوارج كل هذه العروض، ازداد إيمان الأنصار بشرعية قتالهم فاشترك أعلامهم في حرب الخوارج ممن لم يُعرف عنهم أنهم شاركوا في الجمل أو صفين منهم: أبو سعيد الخدري ﷺ وقد كان متحمساً لقتالهم مع الخليفة ﷺ وكان يقول: «لقتال الخوارج أحبّ إلي من عدتهم من أهل الشرك»[٤] وممن شارك في

١ – ينظر: الخطيب : تاريخ بغداد (١ / ١٨٨) ابن عبد البر: الاستيعاب (١ / ١٥٥)
٢ – ينظر: الطبري: تاريخ (٥/ ٦٥) ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٣٠٠)
٣ – الطبري: تاريخ (٥/ ٣٧) ابن الأثير : الكامل (٣/ ١٦٩)
٤ – ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد (١ / ١٩٢)

قتالهم بحماسة من الأنصار ممن لم يشهد الجمل ولا صفين، أبو أيوب الأنصاري الذي أسهم في مفاوضتهم، ومما يؤكد اندفاعه في قتالهم قوله: «كعنت رجلا من الخوارج بالرمح، فأنقذته من ظهره»[١] ومما يشهد على سعة مشاركة الأنصار في حرب الخوارج يوم النهر أنّ أبا أيوب الأنصاري ﷺ كان على الخيل، وعلى الرجالة أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري ﷺ وعلى أهل المدينة قيس بن سعد الأنصاري ﷺ[٢].

وبعد أن استحر القتل في صفوف الخوارج، رفع لهم أبو أيوب الأنصاري راية أمان بأمر من الخليفة، وناداهم أبو أيوب: «من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ... فانصرف بعضهم ودارت رَحَى الحرب على أكثر من بقي»[٣].

وبعد انتهاء تلك الموقعة، قسم الخليفة ما في عسكرهم من السلاح والدواب، ثم أمر بمداوات الجرحى، ورد المتاع والعبيد والإماء إلى أهليهم[٤] وهذا قريب من سيرة الخليفة علي ﷺ بغنائم معركة الجمل، وبقي الأنصار على موقفهم المساند للخليفة في أمر الخوارج، وتتبع نشاطاتهم ورصدها [٥].

---

١ – البلاذري: أنساب الأشراف (٣/ ١٤٥) الطبري: تاريخ (٥ / ٨٧)

٢ – ينظر: خبر يوم النهرتاما سنة (٣٧) هـ وقيل (٣٨) هـ الطبري : تاريخ (٥/ ٨٢) فما بعدها .

٣ – الطبري: (٥/ ٨٥)، البلاذري: أنساب الأشراف، (٣ / ١٤٣).

٤ – الطبري: تاريخ (٥ / ٨٦)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٣١١.

٥ – الطبري: تاريخ (٥/ ٨٨).

واللافت للانتباه في هذه الأحداث، هو جرأة الخوارج على دماء المسلمين رجالا ونساءًا [١]، وتظاهرهم برعاية أهل الذمة وممتلكاتهم وحيواناتهم بما فيها خنازيرهم [٢]. فما مسوغات هذا المسلك عند الخوارج ؟ وما المؤثرات التي ولدت هذه الدوافع التي أكدوها في أكثر من موقف ؟[٣].

إن الأعمال التي قام بها الخوارج، من قتل الأبرياء، والطعن على الأمراء، والخروج على الخلفاء، ومن ثم تكفير[٤] أمير المؤمنين علي ﷺ والدعوة إلى قتال، لا يشبهها إلا الأعمال التي قام بها الخوارج الذين استباحوا دم الخليفة عثمان بن عفان.

فهل يمكن أن يقال: إن قتلة عثمان ﷺ هم الذين مهدوا الطريق لمن خرج على الخليفة علي ﷺ؟ الذي يبدوا أن ذلك هو المؤثر الأساسي، وأن كل المسوغات التي يتذرع بها الخوارج لا تخرج عن هذا الإطار، وأن أشد ما يغيظهم هو وحدة الصف وانتشار الأمن وحكم الشرع، وإلا لماذا كل هذا السخط على أمير المؤمنين علي ﷺ الذي قبل التحكيم؟ أليس لأنه يرمي إلى حقن دماء المسلمين، وتوحيد صفوفهم؟ فالخوارج استغلوا السياسة المسئولة في الخلافة الراشدة، التي لا تعمل

---

١ – المصدر السابق: (٥ / ١١٩)

٢ – ينظر: الطبري : تاريخ (٥ / ٨٢)

٣ – المصدر السابق: (٥/ ١١٩)

٤ – المصدر نفسه: (٥/ ٧٨) قالوا لعلي ﷺ: " فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواه إن الله لا يحب الخائنين " " وأتاه رجل وقال: إن الناس قد تحدثوا أنك رجعت لهم من كفرك (٥ / ٧٤).

بالتهم والشبهات، للتغطية على أهدافهم الخطيرة في إثارة الفتن وتفريق الصفوف، فعدوا على الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما فقتلوهما.

وهذه حقيقة أدركها كثير من الأنصار فعملوا كل ما في وسعهم للدفاع عن عثمانﷺ وبذلوا كل طاقاتهم لتنفيذ سياسة الخليفة ﷺ المتعلقة بالخوارج والوقوف عند حدودها، وهذا الإدراك كان وراء قتالهم للخوارج دون إشارة إلى تخلف أحد منهم، لما أدركوا من خطرهم على الإسلام والمسلمين.

الفصل الخامس

دور الأنصار الفكري في عصر الخلافة الراشدة

المبحث الأول: الأنصار والقرآن:

برز كثير من الأنصار رضي الله عنهم في الجانب الفكري؛ في علوم القرآن والحديث وفي علوم الفقه وكان العلماء النجباء الذين نبغوا في علوم القرأن والحديث النبوي الشريف هم الذين امتازوا بالفقه أيضا ذلك أنهم لم يبلغوا هذه المنزلة العلمية في الفقه إلا لرسوخ علمهم في القرأن والسنة وقد شارك علماء الأنصار في جمع القرآن الكريم في عصر الخلفاء الراشدين مشاركة فعالة وذلك أنهم كانوا حريصين على تعلمه منذ بيعة العقبة حين قالوا لرسول الله ص (ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن)[1] ومنذ أن هاجر النّبي ص اتخذ كُتّابا للوحي من الأنصار فكان ص يدعو أُبي بن كعب فإن لم يحضر أُبي؛ دعا النّبي ص زيد بن ثابت فيكتب، فكان أُبي وزيد يكتبان الوحي ويكتبان كتبه ص[2] وكان اهتمام الأنصار بالقرآن كبيرا وممن ذكر أنّه جمع القرآن حفظاً من الأنصار في حياة النبي ص كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك هم: (معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال أنس أحد عمومتي، قال الكلبي واسم أبي زيد هذا قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حزم بن جندب بن غنم بن

(١) ابن حجز العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ١٤٤.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٦٨، الذهبي: تذكرة الحفاظ،١/ ٣٢.

عدي بن النجار شهد بدرا[٣] وجارية بن مجمع جمع القرآن إلا سورة أو سورتين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم[٤].

ولما استحر القتل في أهل القرآن أيام الردة ولا سيما في معركة اليمامة مع مسيلمة الكذاب عام ١٢هـ ٦٣٣م[٥] في خلافة أبي بكر الصديق أشار عليه عمر رضي الله عنهما بجمع القرآن، فانتدب أبو بكر لذلك زيد بن ثابت الأنصاري، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان بأثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن[٦] قال زيد: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدرو الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت الأنصاري[٧] وممن شارك أيضا أُبي بن كعب الأنصاري فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أُبي وقد كان حاذقاً في التلاوة ويختبر القُرّاء فيها فإذا سمع قراءة على غير الوجه الذي يعرفه أخذ قارئها إلى رسول الله ﷺ حتى يقره على تلك القرأءة[١] فدونت نسخة من القرآن جمعت من المدونات التي عند الصحابة وبعد وفاة الخيفة أبي بكر

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٥٨. الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ١/ ٢٤٢.

(٤) ابن حبان: الثقات، ٢/ ٦٠. واختلف في اسمه ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ١/ ٤٤٦.

(٥) ابن كثير: مسند الفاروق، ٢/ ٥١١، ابن حجر فتح الباري، ح (٤٩٨٦) وكلمة جمع القرآن أحيانا يراد بها استظهار القرآن وأحيانا جمعه بمعنى كتابته، وحصل ذلك في زمان النبي ص وعصر أبي بكر الصديق وفي خلافة عثمان. الزرقاني: مناهل العرفان،١/ ١٦٧.

(٦) الساعاتي: الفتح الرباني، باب تدوين القرآن، (١٨/ ٨٦) الزرقاني: مناهل العرفان، ١/ ٩٨.

(٧) ابن حجر: فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، (٤٩٨٦) وقال: العسب: جمع عسيب، جريد النخل، واللخاف: الحجارة الرقاق.

(١) ينظر الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، قراءة أبي بن كعب، ٢٨٣.

الصدّيق ﷺ انتقلت هذه النسخة إلى الخيفة عمر ﷺ ثم إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين[٢].

وقد كان أُبي بن كعب سيد القراء بالاستحقاق وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق قرأ على النبي وقرأ عليه النّبي بعض القرآن لإرشاده وتعليمه وقرأ القرآن عليه كثير من علماء الصحابة والتابعين[٣] قال أنس: قال رسول الله ص لأبي بن كعب: (إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ أَوْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ قَالَ آللهُّ سَمَّانِي لَكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ قَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ)[٤] وقال ﷺ: (أقرأ أمتي أُبي بن كعب)[٥].

وكان زيد بن ثابت كاتب النّبي ﷺ وأمينه على الوحي دؤوبا في المحافظة على القرآن كما أنزل يستعرض لذلك المهاجرين والأنصار (أمره النّبي ص أن يتعلم اللغة العبرية فتعلمها في وقت قياسي)[٦] قال زيد: (وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب)[٧] وكان معاذ رضي الله عنه: (لا يجلس مجلسا للذكر حين يجلس إلا قال الله حكم قسط هلك المرتابون فقال معاذ بن جبل يوما إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق

(٢) العمري: الخلافة الراشدة، ٣٠٥.
(٣) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ١/ ٣١.
(٤) ابن حنبل: المسند، (١٢٨٠٩).
(٥) ابن سعد: الطبقات، ١/ ٤٢٢. ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٢٢.
(٦) ابن حبان: الأحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ٩/ ٧٠٩٢.
(٧) ابن حنبل: المسند، (٢٠٦٣٢).

والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك قائل أن يقول ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة)[٨] و(لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له يا أبا عبد الرحمن أوصنا، قال أجلسوني: فقال: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما)[٩] وفي رواية: (ومن ابتغاهما وجدهما الكتاب والسنة فاعرضوا على الكتاب كل الكلام ولا تعرضوا على شيء من الكلام)[١٠].

وكان أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الحارثي الأنصاري سيد قراء القرآن في دمشق وهو أحد الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ص وهو من العلماء الحكماء كان يحث أهل دمشق على طلب العلم قائلا: (مالي أرى علماءكم يذهبون وأرى جهالكم لا يتعلمون تعلموا قبل أن يرفع العلم فإن رفع العلم ذهاب العلماء)[١١] عن مسلم بن مشكم: قال: قال لي أبو الدرداء: "اعدد من في مجلسنا، قال: فجاؤوا ألفاً وست مئة ونيفاً، فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشره عشرة، فإذا صلى الصبح، انفتل وقرأ جزءا؛ فيحدقون به يسمعون ألفاظه، وكان ابن عامر مقدماً فيهم[١] وقال هشام بن عمار: حدثنا يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، قال: كان ابو الدرداء يصلي، ثم يقرئ ويقرأ، حتى إذا أراد القيام، قال لأصحابه: هل من وليمة أو عقيقة نشهدها؟ فإن قالوا: نعم، وإلا قال: اللهم، إني أشهدك أني

(٨) سنن أبي داود: (٣٩٩٥).
(٩) ابن حنبل: المسند، (٢١٠٨٨) سنن النسائي: ح (٨٢٥٣)
(١٠) السيوطي: جامع الأحاديث، (٤١٠٩٦)
(١١) بن أبي شيبة: المصنف، ٨/ ١٧٠. ابن ا لجوزي: صفة الصفوة، ١/ ٦٢٨.

صائم، وهو الذي سنّ هذه الحلق للقراءة، وقال القاسم بن عبدالرحمن: كان أبو الدرداء من الذين أوتوا العلم»[٧]

وقد برز الأنصار في حفظ القرأن وتعليمه فقد كان يوكل إليهم تعليم الوفود والأفردا الذين يدخلون في ا الإسلام حديثا، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن وكانيسمع لمسجد رسولالله ص ضجة بتلاوة القرآن حتيأمرهم ص أن يحفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا)[٧].

ولما قدم وفد قبيلة عبد القيس إلى النبي ﷺ أقبل على الأنصار فقال: (يا معشر الأنصار أكرموا إخوانكم فإنهم أشبهاكم في ا لإسلام وأشبه شيئ بكم أشعارا وأبشارا أسلموا طائعين غير مكرهين ولا موتورينإذ أبى ثوم أن يسلموا حتى قتلوا» فلما أصبحواقال: كيف رايتم كرامة إخوانكم لكم ضيافتهم إياكم؟ قالوا: خير إخوان ألانوا فرشنا وأطابوا مطعتمنا وباتوا وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا وسنة نبينا فأعجب النبي ص وفرح بها ثم أقبل علينا رجلا رجلا يعرضنا على ما تعلمنا وعلمنا فمنا من تعلم التحيات وأم ا لكتاب واسورة والسورتين والسنة والسنتين)[٧].

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٤٦.

(٧) الزرقاني: مناهل العرفان، ١/ ١٦٩.

(٧) الكاندهلوي: حياة الصحابة، ٤/ ٣٧.

وعن عبدالله بن مغفل المزني قال: كان النبي ص إذا هاجر أحد من العرب وكل به رجلا من الأنصار فقال: (فقهه في الدين وأقرئه القرآن فهاجرت إلى رسول الله ص فوكل بي رجلا من الانصار فقهني في الدين وأقرأني القرآن وكنت أعدو عليه فأجلس ببابه حتى يخرج فإذ خرج ترددت معه في حوائجه فأستقرئه القرآن وأسأله حتى يرجع إلى بيته فإذا دخل بيته انصرفت عنه)[٧] والأمثلة في هذا الباب كثيرة تدل على ثقة النبي ص بتعليم الأنصار الذين فتحوا بيوتهم للناس وطلاب القرآن وأمور الدين الأخرى وكما هو شأنهم كانوا دائما في المقدمة؛ إن كان ذلك في الجهاد أو العطاء أو في حماية المسلمين، فكان الأنصار يُعلمون الناس القرآن يبتغون بذلك الأجر والمثوبة، فقدموا أرقى النماذج في التعليم.

(٧) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة، ١/ ٢٦٤.

المبحث الثاني

الأنصار والحديث النبوي الشريف

الحديث لغة: نقيض القديم، وهو ما يُستخدم من قليل الكلام وكثيره[١] قال بعضهم:

وسئمت كل مآربي فكأن أطيبها خبيث
إلا الحديث فإنّه عند اسمه أبداً حديث[٢]

وفي اصطلاح المحدثين: هو قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره وهو ينصرف إلى ما يُروى عنه ﷺ بعد النبوة، والسُنّة في اللغة: هي الطريقة والسيرة، وفي الاصطلاح هي: قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره وما أثر عنه من صفة خَلقية أو خُلُقية أو سيرة[٣].

وقد حث القرآن الكريم على طاعة الرسول ﷺ والتزام سنته في آيات كثيرة قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٤] وقال عز وجل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥] وبين القرآن مهمة النّبي ﷺ في تفصيل ما أجمله الكتاب وتقييد ما أطلقه،

١- ابن منظور لسان العرب، مادة (حدث) الزبيدي: تاج العروس، مادة (حدث).
٢- المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ١/ ٢ .
٣- الملباري: علوم الحديث في تطبيقات العلماء النقاد، ١/ ٨، القاسمي: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ١/ ١٧.
٤- سورة الحشر الآية (٧).
٥- سورة النور الآية (٦٣).

وتخصيص ما ورد فيه من ألفاظ العموم، وغير ذلك، وكل هذا مفصل في مواضعه في كتب علوم الحديث، والذي يعنينا في هذا البحث هو بيان أثر الأنصار رضي الله عنهم في رواية الحديث وحفظه وتعليمه في العصر الرشدي.

واهتمّ الأنصار بالحديث في حياة النّبي ﷺ وحرصوا أن لا يفوتهم شيء منه قال أبو سعيد الخدري ﷺ: كنا نغزوا وندع الرجل والرجلين لحديث رسول الله ﷺ فنجيء من غزاتنا فيحدثونا بما حدّث به رسول الله ﷺ فنُحدث به)[١] إلا أنّ موقفهم لم يكن موحدا من تدوينه وتعليمه! فمنهم من تشدد في روايته وتدوينه ذلك أنّ النّبي ﷺ قال: (لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ومن كتب شيئا سوى القرآن فليمحه)[٢] وكان أمير المؤمنين عمر ﷺ ممن يتحرج من تدوين الحديث، قال: (إني كنت أريد أن أكتب السُنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أُلبس كتاب الله بشيء أبدا)[٣] وحين ودع عمر ﷺ مجموعة من الأنصار كانوا ذاهبين إلى الكوفة، قال لهم: (إنكم تأتون أهل قرية يعني الكوفة ولهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تحدثوهم بالأحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن وأقلّوا الرواية)[٤].

١- القاسمي: قواعد الحديث، ٥ . الكاندهلوي: حياة الصحابة، ٤/ ٤٠ .

٢- ابن حنبل: المسند، (١٠٦٦٣)، سنن النسائي الكبرى: ح (٨٠٠٨).

٣- مصنف عبد الرزاق: كتاب العلم، ح (٢٠٤٨٤) ابن كثير: مسند الفاروق، ٢/ ٦٢٤. قلعجي: موسوعة فقه زيد بن ثابت، ١٥ .

٤- ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٣٧٣، وقال: قرظة بن كعب الحارثي الأنصاري، أحد العشرة من الأنصار الذين وجههم الخليفة عمر إلى الكوفة.

وعن أبي نضرة قال قلنا لأبي سعيد الخدري ﷺ: إنك تحدثنا بأحاديث معجبة وإنا نخاف أن نزيد أو ننقص، فلوا كتبناها! قال: لن تكتبوه ولن تجعلوه قرآنا ولكن تحفظوا عنا كما حفظنا)[١] وانسجاما مع هذا المنهج كان بعض علماء الأنصار مُقلّين من الرواية ولا يروون إلا الأحاديث القليلة، ولعل زيد بن ثابت الأنصاري من هؤلاء حيث لم يروى عنه سوى اثنين وتسعين حديثاً[٢] مع شدة ملازمته للنّبي ﷺ وكتابته للوحي وسعة علمه واطلاعه! ذلك أنّه كان لا يرى جواز كتابة الحديث، روى الطبراني أن مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت ﷺ: لو أنك تركتنا لكتبنا عنك حديثك؛ فقال زيد: لا، فأجلس له مروان كاتباً خلف القبة فجعل هو يسأل زيداً ويكتب الكاتب ما يحدث به زيد! فقال مران: ما أرانا إلا قد ظفرنا بما أبيت! قال: والله لا أرمّ حتى أوتى به فجاء بالكتاب فشقه، وقال: إنّ رسول الله ﷺ نهانا أن نكتب حديثه)[٣] .

فكان زيد يرى أنّ النهي عن كتابة الحديث عامّاً وليس مخصوصاً بزمن فبقي متمسكاً بذلك، وقد دخل يوماً على معاوية ﷺ فحدثه حديثاً فأمر معاوية أحدهم أن يكتب، فقال زيد: إنّ رسول الله ﷺ نهى أن نكتب شيئاً من حديثه فمحاه معاوية)[٤] وقد كان زيد ﷺ دقيقا في حفظ ألفاظ الحديث وفهم معانيها وأسباب ورودها، وكان موقف الأنصار هذا منسجماً مع المنهج العام أنذاك

---

١ – الحاكم: المستدرك، ٣/ ٥٦٤ .

٢ – قلعجي: موسوعة فقه زيد، ١٦ .

٣ – الطبراني: المعجم الكبير، ٥/ ١٣٧.

٤ – ابن حنبل: المسند ٥/ ١٨٢.

الرامي إلى ترسيخ القرآن الكريم في نفوس الناس وعدم صرفهم عنه حتى تتأصل معانيه في حياة المجتمع وتستقر علومه، لذل اقتصد الصحابة عامة ومنهم الأنصار في نشر الحديث أيّام الراشدين إلّا في إجابة سائل أو استدراك أو توضيح، خوفا من زيادة أو نقصان في ألفاظه، وكان أنس بن مالك الأنصاري ﷺ يرغب في الحديث لكنه يقتصد في روايته خشية الخطأ فيقول لتلامذته: لولا أنّي أخشى أن أُخطئ لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله ﷺ لكنه قال: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[1] ومعلوم أنه حين احتاج الناس إلى الحديث كانوا يحدثون بما يحفظونه بكل حرص وأمانة فكان أنس ﷺ إذا حدّث ختم حديثه بقوله: أو كما قال رسول الله ﷺ خشية من الزيادة أو النقصان في نص الحديث.

ولكن بعد اتساع دولة الإسلام وكثرة المسلمين لم يسعهم الصمت فاهتم بعضهم بحفظ الحديث وسماعه ونشره، ولتحقيق ذلك اتبعوا عدة وسائل منها: إدامة السؤال عنه، ومنها تدريسه والمواظبة على مراجعته وترديده، وكان أبو سعيد الخدري يقول: (تحدّثوا فإنّ الحديث يُذكر بعضه بعضاً)[2] وكان يشجع أصحابه على سماع الحديث وطلب العلم فيقول: (مرحباً بوصية رسول الله ﷺ إن النّبي قال: الناس لكم تبع وإنّ رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهوا في

١ – الساعاتي: الفتح الرباني، باب النهي عن كتابة الحديث ١/ ٥٥ .
٢ – الطبراني: المعجم الأوسط، ٣/ ٢٣٤ .

الدين وإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا)[١] فالصحابة التزموا بوصايا النبي ﷺ لكن تفسيرهم لها كان مختلفا فمنهم من كان لا يرى حرجاً في كتابة الحديث مستدلاً بما جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ «اكتب والذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق «وقال أبو هريرة ما كان أحد أعلم مني بحديث رسول الله ﷺ إلا ما كان من عبدالله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه)[٢].

وبناء على هذا فإنّ بعض علماء الأنصار كان يجيز كتابة الحديث مع تمسكه بالحذر من الخطأ وكان منهم أنس بن مالك، قال معبد بن هلال: كنا إذا أكثرنا على أنس بن مالك أخرج إلينا مجالًّا – جمع مجلة وهي الصحيفة فيها الحكمة- عنده فقال: هذه سمعتها من النبي ﷺ)[٣] وروى قوله ﷺ: (قيدوا العلم بالكتابة)[٤] وكان شداد بن أوس بن ثابت ﷺ يقول: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا في السفر والحضر فأملى علينا وكتبنا)[٥].

وكان أنس بن مالك الأنصاري ﷺ من كبار رواة الحديث فقد روي عنه «ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثا»[٦] أعانه على ذلك طول ملازمته لرسول الله

---

١ – ابن حمزة: أسباب ورود الحديث، ح، ١٨٤. الكاندهلوي: حياة الصحابة ٤/ ٥٥ .

٢ – الساعاتي: الفتح الرباني، باب الرخصة في كتابة الحديث، ١/ ٥٩ .

٣ – ينظر: طهماز : أنس بن مالك، ١١٣.

٤ – ينظر: طهماز : أنس بن مالك، ١١٣.

٥ – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٦٤ .

٦ – القاسمي: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ٧٢.

ﷺ وامتداد عمره الذي أمضاه متنقلا قبل استقراره في البصرة مدة تزيد على ستين سنة وهو يُعلم الناس سنّة رسول الله ﷺ ولم يقتصر أنس على ما رواه من النبي ﷺ بل روى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين[١].

وكان أنس حريصاً على تعليم أصحابه؛ شديد المحبة لتلاميذه يدنيهم ويكرمهم قائلاً ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ والله لأنتم أحب إلي من عدة ولدي إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم وإني لأدعو لكم بالأسحار[٢] وهذا المنهج مكنه من تكوين جيل من الرواة أخذوا عنه وبقي أصحاب أنس الثقات إلى ما بعد الخمسين ومائة من الهجرة؛ وله ﷺ في المسند الجامع ثمانمائة وخمس وثلاثون حديثا في أبواب شتى موزعة على البيوع والمزارعة والإيمان والنكاح والطلاق والنذور والوصايا والفرائض والحدود والديات والأقضية والأطعمة والأشربة واللباس والزينة والصيد والطب والمرض والقرآن والعلم والجهاد والإمارة ...الخ[٣] وقد واجه الصحابة مسؤوليات نشر الدعوة وعلوم الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ فبذلوا في ذلك الجهود المشكورة وكان من أبرز العاملين في حديث النبي ﷺ من الأنصار أنس بن مالك ﷺ فعلى الرغم من أنه ثالث حفاظ الحديث في الأمّة بعد أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما إلا أنه روى عن بعض

١ – المزي: تهذيب الكمال، ٣ / ٣٥٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٩٥.
٢ – المزي: تهذيب الكمال ٣/ ٣٧١، طهماز: أنس بن مالك ١٣٦.
٣ – عواد وأخرون: مسند الجامع، الجزء الخامس عشر كاملاً.

الصحابة ورحل لسماع الحديث[١] وقد سمع من عدد من علماء الأنصار منهم معاذ بن جبل وأسيد بن حضير الأشهلي وأبي طلحة زيد بن سهل الخزرجي، وأُبي بن كعب النجاري وزيد بن ثابت النجاري وثابت بن قيس الخزرجي وروى عن عنه خلق عظيم من الصحابة والتابعين[٢] ولا سيما في البصرة فترك فيها أثره في العلم والزهد والعبادة.

وكان من دوافع الرحلة في طلب الحديث أن يتصف الراحل بصفتي التعلم والتعليم فضلاً عن العمل والتطبيق بعد العلم، ولعلّ من أهم دوافع الأنصار في سعيهم لطلب الحدث زيادة على ما سبق، العمل بوصايا رسول الله ﷺ في مثل قوله: (ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب)[٤] .

فما بين الرغبة في الأجر بتبليغ الحديث ونشره، والخوف من الإثم في كتمانه، روي الحديث النبوي وبُلّغ للناس، وكان للأنصالر دور ظاهر في روايته وأدائه، يحثهم على ذلك كثرة الدوافع والرغبات التي تحث على ذلك، وما يترتب على ذلك من أحكام فيما يروونه من أحاديث، ولاسيما أن الأنصار يعلمون كثرة الحديث النبوي ومظانّه عند الصحابة، قال أبو زيد الأنصاري: (فأعلمنا أحفظنا)[٥].

---

١ – عواد وأخرون: مسند الجامع، الجزء الخامس عشر كاملاً .

٢ – المزي: تهذيب الكمال: ٣/ ٣٥٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء،

(٤) المزي: تهذيب الكمال، ٣/ ٣٧٦.

(٥) الساعاتي: الفتح الرباني، باب فضل طلب العلم (ح١/ ٢١) .

دور نســـــاء الأنصار في رواية الحديث:

حرصت نساء الأنصار على العلم فكنَّ يشهدن الصلوات عند رسول الله ﷺ ولاسيما في الجُمع والأعياد، فيسمعنّ منه ويروين الحديث عنه، ويسألنه عن أمور الدين ويتفقهن فيه، قال ﷺ: (إنّ نساء الأنصار نساء يسألن عن الفقه)[٦] وقالت السيدة عائشة أم المؤمنين: (نِعمَ النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألنّ عن الدين ويتفقهن فيه)[٧] وكان رسول الله ﷺ يشجع على التعلم ويتحين المناسبات الاجتماعية وغيرها في هذا الصدد، عن الربُيّع بنت معوذ الأنصارية أن رسول الله ﷺ زارهم وعندها جاريتان تضربان بدُف وقالتا فيما تقولان: (وفينا نبي يعلم ما في غد) فقال: (أما هذا فلا تقولاه)[٨] ومن هذا النص يظهر أن التعليم كان مفتوحاً وأن الأنصار يتعلمون من رسول الله ﷺ وهو يُقرّ لهم الصواب ويرشدهم إلى اتباعه، كان ﷺ يزور أمّ ورقة بنت عبدالله بن الحارث الأنصارية في الأحايين والأوقات، ومعه بعض أصحابه حتى بلغت منزلة علمية عالية، فجمعت القرآن الكريم[٩]

وحفظته، فأمرها ﷺ أن تؤمّ أهل دارها فكان لها مؤذن فتؤمّ أهلها، وكانت تؤم المؤمنات المهاجرات[١].

---

(٦) الهندي: كنز العمال (ح١٢/ ٣٤٤٢٢) .

(٧) الكاندهلوي: حياة الصحابة (٤/ ٧٣) .

٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٩) .

(٩ الأصبهاني: أبو نعيم: حلية الأولياء (٢/ ٦٣) . كحالة: أعلام النساء (٥/ ٢٨٤) .

(١) الأصبهاني: أبو نعيم: حلية الأولياء (٢/ ٦٣) .

وكانت أمّ حرام الأنصارية زوجة عُبادة بن الصامت تحدث المجاهدين عمّا سمعته من رسول الله ﷺ[٢] وكانت خولة بنت ثعلبة وقيل بنت حكيم الأنصارية زوجة أوس بن الصامت الأنصاري، تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناقشه ولا تكتفي بالسماع منه فقط، يتضح ذلك في تفسير قوله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما)[٣] .

وبلغ شأن خولة الأنصارية أن توجه نصحها لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقد التقت به يوماً على قارعة الطريق وقالت له: هاهاً يا عمر! عهدتك وأنت تُسمى عميراً وأنت في سوق عكاظ، ترعى القيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين، فاتقِ الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف المومت خشي الفوت، فقال له قائل حبست الناس لأجل هذه العجوز؟! قال: ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه مرأة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها[٤]، ولا شك أ، هذه مرتبة فكرية عالية بلغتها خولة بما كان لديها من علم ينبئ بما كانت عليه المرأة الأنصارية من مستوىً فكري مرموق، يؤيد ذلك عدد من الأنصاريات اللاتي روين عن رسول الله حديثه كما جاء ذلك مفصلاً بالقوائم .

---

(٢) المصدر السابق: (٢/ ٦٢) .

(٣) سورة المجادلة: آية (١). وينظر: تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، سورة المجادلة الآية(١).

(٤) ابن سعد: الطبقات (٨/ ٤٢٨) . ابن شبة: تاريخ المدينة (١/ ٢٢٤) . ابن العماد: شذرات الذهب (١/ ١٩) .

المبحث الثالث: الأنصار والفقه

الفقه لغة هو العلم بالشيء والفهم له)[١] أما في الاصطلاح: فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية وعلى الرغم من تطور الفقه فإنه بقي مرتبطا بما كان عليه فقه رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار المستمد من كاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى سُمي فقه ذلك الوقت بفقه الوحي)[٢].

ومصادر الفقه القرآن والسنّة ثم الاجتهاد بالرأي قال معاذ بن جبل الأنصاري رضي الله عنه بعثني رسول الله ﷺ قاضيا إلى اليمن فقال لي: كيف تصنع إذا عرض لك القضاء؟ قال أقضي بما في كتاب الله قال فإن لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله قال فإن لم يكن في سنة رسول الله قال: أجتهد رأيي ولا آلوا، قال معاذ: فضرب رسول الله ﷺ على صدري وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ)[٣].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (فقه) .

(٢) الصالح، صبحي: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، (ط٢)، بيروت، دار العلم للملايين (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) . (ص٢٠٤) .إبراهيم الكروي وعبد التواب شرف الدين: المرجع في الحضارة العبيرة الإسلامية، (ط٢)، الكويت، دار ذات السلاسل (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، (ص٢٣٤) .

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٣) . وكيع: أخبار القضاة (١/ ٩٨) .

وكان النبي ﷺ يأذن بالاجتهاد ويشجعه بمثل قوله: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فأخطأ فله أجر واحد)[٤] وقد كان الأنصار يتفاوتون في الاجتهاد والعلم بالأحكام بحسب حفظهم لكتاب الله وملازمتهم للنبي ﷺ وقد وروثوا علومهم عن النبي ﷺ فصار عمل أهل المدينة حجة في الفقه، قال أبو بكر بن حزم الأنصاري: (إذا وجدت أهل المدينة على أمر مستجمعين عليه؛ فلا شك أنه الحق)[٥].

ويبدو أنّ اشتهار الأنصار بالعلم واختاصهم ببعض جوانب الفقه كان معلوماً لدى الصحابة قال سعد بن أبي وقاص في شيء من القضاء: (ما عرفناه حتى علمناه من زيد بن ثابت الأنصاري)[٦] وقال الزهري: (لولا أنّ زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس)[٧] وكان رافع بن خديج الانصار عالما بفقه ا لمزارعة والمساقاة) وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «القضاء في الأنصار» وقد شهد عبدالله بن عباس للأنصار بالعلم فقال: " وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، وإن كنت لأقيل

(٤) ينظر: ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م): أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، دمشق، مطبعة جامعة دمشق (١٣٨١هـ ١٩٦١م) . (ص٢٢) . ابن القيم: أعلام الموقعين عن رب العالمين، (بلا.ط) القاهرة المطبعة المنيرية (بلا. تا) (٤/ ١٢١) . أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية، (بلا. ط) بيروت، (بلا. تا) (ص٢٣٥) فما بعدها .

(٥) وكيع: أخبار القضاة (١/ ١٠٧) .

(٦) المصدر السابق.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٦) .

بباب أحدهم ولو شئت أن يؤذن لي عليه ولكن أبتغي طيب نفسه" وسئل علي بن أبي كالب عن حذيفة بن اليمان الأنصاري فقال: علم المنافقين وسأل عن المعضلات فإن تسألوه تجدوه عالما وسأل رجل حذيفة ما النفاق قال أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به وكان حذيفة يقول: (والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة)[1]

فهذه النصوص تشير إلى ما امتاز به الأنصار من الفقه في عامة علوم الإسلام مع تفردهم ببعض الاختصاصات، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث فإنهم كثير؛ قال: واعجبا لك يابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله من فيهم؟ قال: فترك ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله عن الحديث فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فاتوسد ردائي على بابه تسفي الريح عليّ من التراب فيخرج فيقول: يابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك ألا أرسلت إليّ فآتيك فأسأله عن الحديث قال: فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآتني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني)[2] أي لمتابعته العلماء وسؤاله عن لهم وأخذ العلم عنهم ولهذه المنزلة التي عرفها ابن عباس في علماء الأنصار كان يجلهم وينظر إليهم بمنظار التلميذ إلى أستاذه قال: الحسن البصري أتى ابن عباس يأخذ بركاب أُبي بن كعب

(١) ابن الأثير: أسد الغابة (١/ ٤٢٢) . الذهبي: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٣) .
(٢) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، (١/ ٢٣٦) .

الأنصاري فقيل له أنت ابن عم رسول الله ﷺ تأخذ بركاب رجل من الأنصار؟ فقال: إنه ينبغي للعالم أن يُعظم ويُشَّرف)[٣] وعلماء الأنصار كثير؛ ومن مشاهيرهم معاذ بن جبل السلمي، وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وأبو الدرداء وكلهم من بني النجار الأنصاريون)[٤] وامتاز فقهاء الأنصار بالشواهد العلمية لمعايشتهم كثيرا من المسائل الفقهية وقد كان زيد بنثابت يستدرك على بعض المحدثين ويوضح أسباب ورود الحديث وعم عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبو اليَسر كعب بن عمرو السلمي الأنصار ثم مضينا حتى أتينا جابر بن عبدالله الأنصاري في مسجده فذكر له قصة تتعلق بنظافة المسجد وتطييبه فكنفقه الأنصارمقر ونابما شاهد وهو وعوهمن رسول الله ﷺ فيلمون السنة للناس ويجيبون من يسألهم إجابات عملية مقرونة بأمثلة حية حدث مثلها في حياة النبي ﷺ لهم أو لغيرهم فأفتى فيها رسول الله ﷺ وحفظوا فتواه قال حذيفة بن اليمنان الأنصاري أخذ النبي ﷺ بعضلة ساقي فقال ﷺ الائتزار هاهنا فإن أبيت فأسفل فإن أبيت فلا حق للإزار فيما أسفل الكعبين)[١]

(٣) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، (١/ ٢٣٦) . وينظر: الطبراني: المعجم الكبير (٥/ ١٠٧) .

(٤) اليعقوبي: تاريخ، (٢/ ٥٤) . ابن عساكر: تاريخ دمشق، (٥٨/ ٤٢١) .

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٣) .

فكان الأنصار يتعلمون لتزكية أنفسهم والارتقاء بأخلاقهم فقد روى جابر الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها) فلم يكن الفقه عند الأنصار إلا للعمل والتطبيق قال أبو الدرداء الأنصاري: (من عمل بعُشر ما يعلم علمه الله ما يجهل) لهذا كان اندفاعهم للعلم قويا وعميقا وكانوا يرحلون من أجل الحديث حتى حاطوا بكثير من العلوم فاشتملت فتاواهم على أحكام العبادات والمعاملات وما ينظم النشاط الفردي والجماعي في ذلك العصر مستندين إلى الكتاب والسنة والاجتهاد حتى برز عدد منهم في الفقه.

موقف فقهاء الأنصار من الإفتاء:

كثير من الأنصار بإمكانهم التصدي للإفتاء لملازمتهم لرسول الله ﷺ وذلك أن طريق الفقه في حق الصحابة خطاب الله تعلى وخطاب رسوله ﷺ وما عقل منهما وأفعال النبي ﷺ وما عقل منها فقد كانوا يفهمون خطاب رسولالله ﷺ وشاهدو ذلك وعرفوه وتكرر عليهم وفهموه، ومن نظر فيما نقلوه عن رسول الله ﷺ من أقواله وتأمل ما وصفوه من أفعاله في العبادات وغيرها اضطروه إلى العلم بفقههم وفضلهم غير أن الذي اشتهر منهم بالإفتاء والأحكام وتكلم في الحلال والحرام جماعة مخصوصة منهم: أُبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدرداء عويمر وأبو سعيد الخدري ومعاذ بن جبل وجميعهم من الخزرج الأنصار رضي الله عنهم.

ومن أمثالهم جابر بن عبدالله السلمي وأنس بن مالك النجاري وعثمان بن حنيف الأوسي الذي مسح السواد في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه ومعه حذيفة بن اليمان ومع علو مكانة علماء الأنصار الفقهية وقدرتهم على الفتوى فإنّ ورعهم كان يجزهم عن الإفتاء في كل ما يُسألون عنه ولاسيما فيما لا يقع من الأحداث والمسائل، عن مسروق قال سألت أُبي بن كعب الأنصاري عن مسألة فقال: يابن أخي أكان هذا؟ قلت لا قال فاحمنا حتى يكون ذلك فإذا كان اجتهدنا لك رأينا(١)

إلا أنه يبدو أنه طلبة العلم والمستفتين لم يعودوا يقبلون بمثل هذه الأعذار وبدؤا يُلحون بالأسئلة أكثر؛ عن عتي بن ضمرة قال: قلت: لأُبي بن كعب ما لكم أصحاب رسول الله نأتيكم من البعد نرجوا عندكم الخير أن تعلمونا فإذا أتيناكم استخففتم أمرنا؟ كأنا نهون عليكم؟ فقال والله لئن عشت إلى هذه الجمعة لأقولنّ فيها قولاً لا أبالي استحييتموني عليه أو قتلتموني! ويبدو أن هذا الخبر تكرر مع أكثر من طالب علم فقد روي شبهه عن جندب بن عبدالله البجلي قال أتيت المدينة أتبغي العلم فأتيت أُبي بن كعب الأنصاري فتتبعته حتى أتى منزله فإذا هو رث المنزل رث الهيئة فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ثم سألني من أنت؟ قلت من أهل العراق، قال: أكثر مني سؤالاً، قال: لما قال ذلك غضبت فبكى أُبي بن كعب وجعل يترضاني ثم قال اللهم إني أعاهدك لئن أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمنّ بما سمعت من رسول الله لا أخاف فيه لومة لائم، قال: لما قال

(١) ابن سعد: الطبقات، (٣/ ٢٦٠) . الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٣) .

ذلك انصرفت عنه وجعلت أنتظر الجمعة، فلما كان يوم الخميس خرجت لبعض حاجتي فإذا السكك غاصّة من الناس قالوا: مات سيد المسلمين أُبي بن كعب وهذا النص يبين الحرص على طلب العلم وتجشم أصحابه الصعاب للحصول على بغيتهم، وإنفاقهم المال والوقت في سبيل هذه الغاية، كما يظهر فيهام أنّ علماء الأنصار كانوا وجهة طلاب والعلم وبغيتهم، ويتبين فيها حال العلماء أنذاك وماكانوا عليه من الورع والزهد والتواضع.

وكان زيد بن ثابت الأنصاري لا يرغب في كثرة الإفتاء وكان من عادته الامتناع عن الفتوى فيما لم يقع من أحداث وهو الذي قال فيه النبي ﷺ (أفرض أمتي زيد بن ثابت) ولما كان لا مناص للفقهاء من الإفتاء فإنهم كانوا يضيقون دائرة الفتوى ما استطاعوا خشية من مجانبة الصواب، وكان إذا سئل عما حدث أجاب السائل؛ وإن لم يحدث قال: ذروه حتى يحدث وأحياناً يستحلف السائل أن مسألته واقعة إمعاناً في دفع الفتوى، فإذا حلف السائل أفتاه بما يعلم وإذا أفتاه فإنه لا يُجيز له كتابة فتواه إلا أنّ امتناع زيد عن الإفتاء فيما لا يقع لم يكن ليصده عن قول الحق وإصدار الفتوى فيما هو واقع دون أن يسأله أحد، فلما كان مروان بن الحكم واليا على المدينة خرجت صكوك للناس فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم يستوفونها فدخل زيد بن ثابت ورجل من أصحاب رسول الله ﷺ إلى مروان فقالا له أتحلّ بيع الربا يا مروان؟ فقال: أعوذ بالله وما ذاك؟ قالا: هذه الصحكوك يتبايعها الناس ثم يبيعونها قبل أن يستوفوها فبعث مروان الحرس

يتبعونها ينتزعونها من أيدي الناس ويردونها إلى أهلها، فكانوا يتدخلون لتأصيل الأحكام وتنفيذها على الوجه الصحيح.

وقد سال معاوية زيداً عن ميراث الجد فكتب إليه إنّ ذلك مما لم يكن يقضي فيه الأمراء وقد حضرت الخليفتين قبلك يعطيانه مع الأخ الواحد النصف فإن كان كثر الإخوة لم ينقصوه عن الثلث وهذا يوضح منهج زيد في الإفتاء فهو إذا لم يجد ما يجيب به من كتاب الله أو سنة رسوله ص أخذبعمل الخلفاء من قبله ودم ما عملوا به على رأيه واجتهاده، فكان زيد من أكثر أهل المدينة آثاراً فقهية ومن أبرز تلامذته سعيد بن المسيّب الذي لا يكاد يفارق قوله قول زيد إلا قليلاً وكل ما أخذ به سعيد بن المسيب من القضاء والإفتاء فهو عن زيد، وكل قضاء أو فتوى جليله ترد عليه أو تحكى له عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلا قال فأين زيد بن ثابت من هذا؟ إنّ زيداً أعلم الناس بما تقدّم من قضاء وأبصرهم بما يرد عليه مما لم يُسمع فيه بشيء)[1] ولعل هذا النص شاهد ومعبر عما يعتلج في نفوس فقهاء الأنصارر عندما يتأنون في إعطاء الفتوى حتى يعلموا حقيقتها فيبذلون عند ذلك قصارى جهدهم ومبلغ علمهم لإصابة الحقيقة وكانوا يعيبون المتسرعين في الفتوى والذين يحرصون عليها كما ظهر هذا في تشبيه معاذ لمن يحرص على ذلك لما يترتب عليه من المفاسد والأخطار وأإبطال الحقوق.

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٤٣١) . قلعجي: موسوعة فقه زيد بن ثابت، ص ٢٩.

مكانة فقهاء الانصار العلمية:

مما يظهر مكانة علماء الأنصار الفقهية وسماتهم العلمية ما جاء في قوله ﷺ : (وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل)[1] وقول ابن عباس رضي الله عنهما: (إن علم رسول الله ص عند هذا الحي من الأنصار).

وكان عبدالله بن مسعود يثني على معاذ بن جبل الأنصاري فيحدث أصحابه مشيرا إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] فيقول إن معاذاً: (كَانَ أُمَّةً قانتا للهِّ) قالوا وما الأمّة؟ قال: الذي يُعلم الناس الخير، ثم قال: هل تدرون ما القانت؟ قالوا لا، قال القانت المطيع لله[2] وإن معاذاً كان كذلك فكان ابن مسعود يشبه معاذا بنبي الله إبراهيم عليه السلام وذلك لما امتاز به معاذ من فهم وعلم وفقه، قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: (عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ)[3] وكان من أهل الشورى عند عمر رضي الله عنه من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت[4] وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يحب أن يسمع الحديث من الأنصار فيقول: حدثونا عن العاقلين!

---

(١) ابن حنبل: المسند، ١٣٩٩٠، الترمذي: سنن الترمذي، ٢٧٢٣.

(١) سورة النحل الآية (١٢٠).

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، (٥٨/ ٤١٠٠) . الذهبي: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٠) .

(٣) المزي: تهذيب الكمال، (٢٨/ ١١٣) .

(٤) ابن سعد: الطبقات (١/ ٤٢٦) .

فيقال من العاقلان؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء[١] ولما خطب الخليفة عمر في الجابية من أرض الشام قال: من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليات معاذ بن جبل[٢] فهذه شهادات لفقهاء الأنصار كانت تناط بهم في حياتهم مما ينبي عن أثرهم الكبير في المجتمع آنذاك وحين يكون الثناء منطلقا من الفاروق وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم فهذا يعني أن من ذكروه قد بلغ القمة في ميدان العلم الذي أشاروا إليه.

وكان عمر رضي الله عنه يقول إن الخلافة لا تستغني عن وجود معاذ بن جبل في المدينة وكان معارضا لخروجه من المدينة إلى الشام فكان يردد بعد خروج معاذا إلى الشام فيقول: لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به وبغد كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه فأبى علي وقال: رجل أراد الشهادة فلا أحبسه فقلت: والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيم الغنى عن مصره)[٣] وهذا شرف عظيم لمعاذ حين يحتاجه الناس في عصر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وإن كانت ظهرت حاجة الناس إلى علم معاذ في المدينة فإنه أغنى طلاب العلم في الشام فكان لوجوده هناك أثر عظيم في

---

(١) ابن سعد : الطبقات (١/ ٤٢٦) .

(٢) م. ن . وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥١) . وينظر: حمدان، عبد الحميد صالح: إمام العلماء معاذ ابن جبل (بلا. ط) القاهره، الدار المصرية اللبنانية، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) (ص٥٥) .

(٣) ابن سعد : الطبقات (١/ ٤٢٥) . ابن عساكر: تاريخ دمشق، (٥٨/ ١٢٣) . الذهبي: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٢) .

نشر علم الكتاب والسنة ومعالجة المستجدات هناك، قال أبومسلم الخولاني: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلا من أصحاب رسول الله ص وإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا ساكت لا يتكلم فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه فقلت لجليس لي من هذا؟قال: معاذ بن جبل)[١] وهذا مكان القمة في العلم في عصر أهل العلم وأئمته.

ومن طبقة معاذ بن جبل من الأنصار زيد بن ثابت الأنصاري قال عنه الذهبي: (شيخ المقرئين والفرضيين مفتي المدينة كاتب الوحي)[٢] وكان مستشاراً فقهياً لجميع الخلفاء الذين عاصرهم بدءاً من أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه)[٣] وعن مسروق قال: قدمت المدينة فلقيت فيها من الراسخين في العلم زيد بن ثابت)[٤]

وكان سعيد بن المسيب يقول: (أعلم الناس بما تقدمه من قضاء وأبصرهم بما يرد عليه مما ليسمع فيه شيء ولا أعلم لزيد بن ثابت قولا لا يعلم به أهل مصر- وإنه لياتينا عن غيره أحاديث وعلم ما رأيت أحدا من الناس يعمل بها ولا من هو بين ظهرانيهم)[٥].

---

(١) ابن سعد : الطبقات (٧/ ١٨٥) .

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٦) .

(٣) ابن سعد : الطبقات (٢/ ٤٣١) . قلعجي: موسوعة فقه زيد، (ص٢٠) .

(٤) ابن الجعد: مسند ابن الجعد (ح٢/ ٢٦٠٨) .

(٥) ابن سعد : الطبقات (١/ ٤٣١) .

ولهذا استأثر الخليفة عمر بزيد بن ثابت لأهل المدينة وشؤن الخلافة فإذا وجه أحداإلى البلدان وقيل له زيد بن ثابت يقول: لم يسقط علي مكانه ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده مما يحدث لهم ما لا يجدون عند غيره)[١] وكان عمر يستخلفه في أسفاره[٢] وإذا كثر عنده الخصوم صرفهم إلى زيد فلقي رجلا ممن صرفه إلى زيد فقال له: ما صنعت؟ قال: قضي عليّ يا أمير المؤمنين، قال لو كن أنا لقضيت لك قال: فما يمنعك وأنت أولى بالأمر؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو سنة نبيه لفعلت ولكني إنما أردك إلى رأي والرأي مشير)[٣].

وهذا نص عظيم يشير إلى آفاق الحرية التي كان يتمتع بها القضاة والدعاة دولة الخلافة كما يشير إلى المكانة السامية لزيد بن ثابت رضي الله عنه وقد اشتهر فقه زيد في المدينة أكثر من غيره وعملوا بفاواه وأصبحوا يرون رأيه هو الرأي ولا يترددون في التشنيع على من يرد رأي زيد ولم يقدموا اجتهاده اجتهاد أحد من الصحابة)[٤] وبلغ من مكانة زيد العلمية أنه قضى بين أمير المؤمنين عمر وسيد القراء أُبي كعب رضي الله عنهما)[٥] وقال ابن سعد: (كان زيد مترئسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلي ومعاوية حتى

(١) المصدر السابق، الكاندهلوي: حياة الصحابة، (٤/ ٤٥) .
(٢) المصدر السابق.
(٣) ابن شبة: تاريخ المدينة، ١/ ٣٦٧.
(٤) الصنعاني: المصنف، (٦/ ٣١٩) قلعجي: موسوعة فقه زيد، (ص١٩).
(٥) وكيع: أخبار القضاة (١/ ١٠٨).

توفي سنة خمس وأربعين)[١] وهذا يشير إلى القيادة الفكرية لعلماء الأنصار في عصامة الإسلام في عصر أئمة العلم والفقه من كبار الصحابة وهذا جعل مكانة زيد سامية في نفوس الناس فأحبوه وأكرمه الخلفاء وأجله العلماء وكان ابن عباس يأخذ بركابه ويقول: (هكذا يُصنع بالعلماء)[٢] ولما توفي زيد رضي الله عنه افتقده العلماء وقال ابن عباس: (هكذا ذهاب العلم! دفن اليوم علم كثير)[٣] وقال عبدالله بن عمر عن زيد: يرحمه الله فقد كان علام الناس في خلافة عمر فرقهم عمر في البدلان ونهاهم أ، يفتوا برأيهم وجلس زيد بالمدينة يفتي أهلها وغيرهم من ا لطراء)[٤].

وكان أُبي بن كعب الأنصاري رأسا في العلم والعمل وبلغ من ذلك أن النبي ﷺ هنأه بمرتبة العلم قائلاً: (ليهنك العلم ابا المنذر)[٥] وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يرغب أن يبيقى أبي بن كعب متفرغا للتعليم الناس وتفقيههم فلما قال للخليفة: ما لك لا تستعملني؟قال أكره أن يدنس دينك)[٦] وكان عامة علم ابن عباس من ثلاثة أحدهم أُبي بن كعب الأنصاري[٧] وعامة فقه أبي كان من كتاب الله وكان يحث أصحابه وسائليه على اتخاذ كتاب الله إماما واستنباط

(١) ابن سعد: الطبقات (١/ ٤٣١).
(٢) ابن سعد: الطبقات (١/ ٤٣١) الحاكم: المستدرك. (٣/ ٤٢٨).
(٣) الحاكم: المستدرك. (٣/ ٤٢٨).
(٤) ابن سعد: الطبقات (١/ ٤٣٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٤).
(٥) بدران: تهذيب تاريخ ابن عساكر، (٧/ ٣٣٥) .
(٦) النووي: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٠٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٤).
(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٩) . النووي: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٠٩) .

الأحكام منه[٣] وقد كان ممن يفتي في عهد رسول الله ص وكان في عصر النبوة يدعى سيد الأنصار ولم يمت حتى قيل عنه سيد المسلمين[١] أي أنه بقي في حالة سمو في وارتقاء وسمو حتى بلغ المنتهى من ذلك.

فهذه النصوص تبين المكانة العلمية السامية والقيادة الفقهية الراقية لعلماء الأنصار في أمة لازال فيها كبار الصحابة رضي الله عنهم، ولعل في هذا ما يشير إلى القيادة الفقهية للأنصار مقابل دورهم السياسي والعسكري آنذاك إلا أن الفارق بين هاتين المرتبتين أن القيادة السياسية أو العسكرية يسد فيها الكثير من الناس أما القيادة العلمية وما فيها من علوم القرآن والسنة والفقه وما يستنبط بعد ذلك من علوم ومسائل لا يسد فيها إلا العلماء الذين شهد لهم الصحابة بالمنزلة العالية والمكانة الرفيعة فأحبهم الناس وحرص الخلافاء على قربهم ومشاورتهم وتفويض كثير من الأمور إليهم ثقة بعلمهم ودينهم وأمانتهم وهذه من مناقب علماء الأنصار رضي الله عنهم.

وبعد هذه الجولة العلمية اتضح أن مما امتاز به الأنصار في العصر الراشدي العلم وأنه لا يوجد أحد من الأنصار إلا ولديه علم قل أو كثر[٢] لكن علماء الأنصار مشهود لهم من كبار الصحابة رضي الله عنهم وبعضهم بلغ مرتبته أن ينال تنويه وثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على علمهم وفقههم وجميل

(١) الذهبي: تذكرة الحافظ (١/ ٧).

(٢) ابن سعد : الطبقات (٢/ ٢٦١) . الذهبي: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٦) .

(٣) الأنصار في العصر الراشدي، ص ٣٧٩–٤٠٤ قوائم رواة الحديث من رجال ونساء الأنصار رضي الله عنهم.

فهمهم لنصوص الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة، وبذلكنالوا مرتبة الخيرية التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (**مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**، وَاللهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)[1].

برز كثير من الأنصار رضي الله عنهم في الجانب الفكري؛ في علوم القرآن والحديث وفي علوم الفقه وكان العلماء النجباء الذين نبغوا في علوم القرأن والحديث النبوي الشريف هم الذين امتازوا بالفقه أيضا ذلك أنهم لم يبلغوا هذه المنزلة العلمية في الفقه إلا لرسوخ علمهم في القرأن والسنة وقد شارك علماء الأنصار في جمع القرآن الكريم في عصر الخلفاء الراشدين مشاركة فعالة وذلك أنهم كانوا حريصين على تعلمه منذ بيعة العقبة حين قالوا لرسول الله ص (ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن)[2] ومنذ أن هاجر النّبي ص اتخذ كُتّابا للوحي من الأنصار فكان ص يدعو أبي بن كعب فإن لم يحضر أبي ؛ دعا النّبي ص زيد بن ثابت فيكتب، فكان أبي زيد يكتبان الوحي ويكتبان كتبه[3] ومن أشهر المشاركين في عملية جمع القرآن على الإطلاق زيد بن ثابت الأنصاري وذلك لما اجتمع له من مناقب لم تجتمع لغيره منها: أن قرأءته كانتعلى آخر عرضة

(١) صحيح البخاري: ح (٢٨٨٤).

(٢) ابن حجز العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ١٤٤.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٦٨، الذهبي: تذكرة الحفاظ،١/ ٣٢.

عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام، وهذه الأشياء توجب تقديمه لذلك وتخصصه بها[١].

وممن ذكر أنّه جمع القرآن حفظاً من الأنصار سوى أُبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل، أبو الدرداء مالك بن سنان وسعد بن عبادة وأبو زيد النجاري[٢] وجارية بن مجمع حفظ القرآن[٣] وهؤلاء كانوا من مشهورين في حياة النبي ﷺ واستمروا على ذلك في أيام الراشدين وبقيت الأمة تعرف لهم ذلك على مر السنين، وهؤلاء الأربعة ما هم إلا نموذج يوضح اهتمام الأنصار بالقرآن وقد أخذ الناس القرآن عنهم فتعلمون وعلموه عملا بقوله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٤].

---

(٥) الهوامش غير موجودة بالنسخة الأصلية.

(٦)

(٧)

(٨)

الخـــاتـــــمة

الأنصار مع إخوانهم المهاجرين جيل فريد لا يمكن أن يتكرر مرة أخرى فهم قرة عين البشرية، إخوان الأنبياء وأئمة الصالحين والأولياء، بجهادهم انتشر الإسلام، وبعلمهم ساد البشرية العدل والأمان، جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجهاد ووفوا ببيعتهم التي بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها في قتال الاحمر والأسود بلا ريبة ولا تردد، حتى صدق فيهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1] وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم التفوا حول خليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه فبايعوه في السقيفة ولم يتخلف منهم أحد، ثم ساروا من حوله لينشرو الإسلام ويردوا عادية المرتدين على الخلافة الراشدة، وقد نجحوا في ذلك وتركوا آثارا سامية ومفاخر عالية ستبقى شاهداً على حسن جهادهم وجميل صبرهم، فضوا على المتنبئين الكذابين مثل مسيلمة الكذاب وردة بني حنيفة، والأسود العنسي وردة اليمن، وطليحة بن خويلد الأسدي ومالك بن نويرة ومن أعانهم من المرتدين وغيرهم.

ومثلما سطر الأنصار مع إخوانهم المهاجرون رضي الله عنهم أجمعين، ملاحم النصر على المرتدين وأعوانهم نفروا إلى جهاد الروم والفرس مع خالد بن الوليد والجيوش التي نفرت إلى الشام ومع من نفر إلى فارس فكانت الفتوح التي أزالت

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٥).

الجاهلية وأحكامها وظلمها، ونشرت الإسلام بعدله ورحمته وسماحته فساد الأمن وعم الرفاه في البلاد التي حكمها المسلمون.

ثم صحب الأنصار الفاروق عمر رضي الله عنه في خلافته فكانوا مجاهدين في الميادين وسفراء ومستشارين ومحاسبين للولاة المخالفين، ومعلمين للجاهلين، يقرأون الواقع من حولهم قراءة صحيحة لا يبالون بأقوال الناس ولا بمخاطر الأحداث، وهكذا كانوا مع أمير المؤمنين عثمان رضي الله حتى قتل وكانوا له كالولد البار يأتمرون بأمره وينتهون عند نهية، وكان لديهم رغبة جامحة للدفاع عنه ليكونوا أنصاراً للخلافة كما كانوا أنصارا للنبوة، لكن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه آثر أن يموت هو لتحييا أمته ويحياى إخوته المهاجرون والأنصار فلم يأذن لهم في القتال من أجله! ثم جاء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فبايعوه ولم يتخلف منهم أحد عن البيعة، لكن مواقفهم من الفتنة التي حصلت في خلافته كانت مبنية على علم وتجربة فلم يدخل عامتهم في الفتنة وكفوا أيدهم وألسنتهم كما كان عثمان رضي الله عنه يفعل ذلك لعل الغوغاء يعودون إلى رشدهم، لكن من عمي قلبه عن معرفة حق عثمان رضي الله عنه وسابقته ومصاهرته وحق طاعته في الخلافة فإنه لن يبالي بأحد بعده، فبعد غدرهم بذي النورين رضي الله عنه، سعّروا الفتن في الأمة وكانوا وراء فتنة الجمل وصفين، ومن ثم اغتيال أمير المؤمنين علي رضي الله، ثم جاء أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه فوحد الأمة وانطلق بأبنائها في الفتوح، فكان الأنصار في المقدمة وما أبو أيوب الأنصاري

الذي دفن عند أسوار القسطنطينية إلا شاهد على ذلك الجهاد والإخلاص في نصرة الدين وحماية المسلمين.

ومثلما كان الأنصار رضي الله عنهم في المقدمة؛ في البيعة على الإسلام والسبق إليه، والفوز بشرف استقبال النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته، ورعاية المهاجرين بعد تركهم الأهل والديار والأموال، كذلك كان الأنصار في المقدمة في حفظ القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه ونشره في العالمين، وفي رواية الحديث وحفظه وتعليمه، ومثل ذلك في الفقه واستنباطاته وقواعده وإفتاء الناس في ما يحصل من نوازل ومستجدات في حياتهم.

فالأنصار رضي الله عنهم أهل لكل محبة وتبجيل، ولا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فكانوا علامة فارقة في الأمة؛ بوجودهم تزدان المواقف نوراً وجمالاً ووضوحاً وعزاً وانتصاراً، وبغيابهم تختلط الحقيقة مع غيرها، فضلاً عن جودهم وكرمهم وإيثارهم لإخوانهم المهاجرين على مرِّ سنين الدعوة التي عاشوها سوية تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجها والعلم والدعوة والبذل والعطاء والإيثار.

قال تعالى في الأنصار رضي الله عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

(١) سورة الحشر الآية (٩).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول: إسلام الأنصار واستقبالهم للنبي ﷺ وتسميتهم بالأنصار	٣
المبحث الأول: اتصال الأنصار برسول الله صلى الله عليه وسلم	٣
مقدمة	٣
اتصال الأنصار برسول الله صلى الله عليه وسلم	٣
استقبال الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم	١٢
المبحث الثاني: مشاركة الأنصار في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه	٢٠
مشاركة الأنصار في المغازي	٢٠
المبحث الثالث: جهاد الأنصار في السرايا	٤٨
الفصل الثاني: يوم السقيفة والموقف من بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٥٩
المبحث الأول يوم السقيفة يوم تجلت فيه الشورى وتألق الحوار	٥٩
المبحث الثاني: حوار السقيفة ومواقف الأنصار رضي الله عنهم	٧٢
أولاً: الدعوة لبيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه	٧٦
ثانياً: معرفة الأنصار بأحقية أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٨٥

المبحث الثالث: بيعة سعد بن عبادة الأنصاري ﷺ	٩٧
الفصل الثالث: دور الأنصار السياسي والإداري في العصر الراشدي	١٠٣
استعانة عمر ببعض الأنصار في تنفيذ سياسته	١٠٦
ولاية عمير بن سعد الأنصاري ﷺ على حمص	١١٢
الأنصار والشورى في خلافة عمر ﷺ	١١٥
ومن إسهامات الأنصار الأخرى، ومكانتهم عند عمر	١١٨
المبحث الثاني: الأنصار في خلافة عثمان رضي الله عنه	١٢١
تصور الأنصار للفتنة وموقفهم منها	١٢٣
المبحث الثالث: الأنصار في خلافة علي رضي الله عنه	١٢٧
موقف الأنصار من قرار الخليفة علي رضي الله عنه الخروج من المدينة!	١٣٠
الفصل الرابع: دور الأنصار العسكري في عصر الخلافة الراشدة	١٣٦
المبحث الأول: دور الأنصار في القضاء على الردة	١٣٦
دور الأنصار في معركة اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب	١٤١
صور من مشاركات الأنصار في موقعة اليمامة	١٤٤
مقتل مسيلمة الكذاب	١٥٥
شهداء الأنصار في اليمامة (١٢هـ)	١٥٦

الأنصار والردة في اليمن	١٦٢
المبحث الثاني: مشاركات الأنصار في فتوح الشام ومصر والعراق والمشرق	١٧١
سفارة معاذ بن جبل ﷺ إلى الروم قبيل موقعة فحل	١٧٦
مشاركة الأنصار في فتح حمص واللاذقية	١٧٨
مشاركة الأنصار في فتح قيسارية	١٨١
مشاركة الأنصار في فتح مصر والإسكندرية	١٨٣
مشاركة الأنصار في فتح قبرص (٢٧هـ)	١٨٨
مشاركة الأنصار في فتوح العراق والمشرق	١٩٠
مشاركة الأنصار في موقعة القادسية (١٤هـ)	١٩٤
الأنصار في فتح قزوين	١٩٥
الأنصار في نهاوند وما بعهدها	١٩٧
مشاركة الأنصار في القتال في خلافة أمير المؤمنين علي ﷺ	٢٠٣
موقف الأنصار في صفين	٢٠٦
موقف الأنصار من الخوارج بعد صفين	٢٢٥
الفصل الخامس: دور الأنصار الفكري في عصر الخلافة الراشدة	٢٣١
المبحث الثاني: الأنصار والحديث النبوي الشريف	٢٣٧

دور نســـــاء الأنصار في رواية الحديث	٢٤٤
المبحث الثالث: الأنصار والفقه	٢٤٦
موقف فقهاء الأنصار من الإفتاء	٢٥٠
الخاتمة	٢٦٢